الأسلوب العدولي في الفاصلة القرآنية
دراسة صرفية نحوية أسلوبية

إعداد

د. خليل عبد العال خليل

وكيل كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

المقدمة

بين يدي هذا البحث

هذا البحث ليس تفسيرًا جديدًا للقران الكريم، وليس استعراضًا واستقراءً كاملًا لكل محتوى القرآن الكريم من موضوعات وقضايا نحوية، بل هو بحث في جانب واحد وفى زاوية واحدة من زوايا هذا النص العظيم، القران الكريم، والزاوية التي سوف يعيش فيها هذا البحث هي " زاوية "الفاصلة القرآنية " .

غير أن الفاصلة القرآنية ليست زاوية ضيقة أو محدودة بل هي زاوية تتسع لمباحث كثيرة، وقد أُلِّفت فيها بحوث كثيرة على حسب الموضوعات التي تشتمل عليها علم الفاصلة القرآنية .

وقد نظر الكثير من العلماء إلى الفاصلة على أساس أنها علم له قواعده وأصوله التي يجب مراعاتها إذا أُريد البحث فيه، وبناء على هذه النظرة الواسعة للفاصلة القرآنية، توالت البحوث حول الفاصلة القرآنية وحول موضوعاتها، وقد تتبع د. الحسناوي في بحثه حول الفاصلة القرآنية الذي بعنوان " الفاصلة في القرآن "(١) "في فصل كامل من هذا الكتاب هو الفصل الثاني الذي بعنوان "جهود القدماء في الفاصلة " حيث تتبع من خلاله جهود القدماء في التأليف في الفاصلة ودراستها دراسة علمية مفيدة، ثم أفرد فصلًا آخر هو "الفصل الرابع" تحدث فيه عن جهود المحدثين، وجاءت هذه الفصول ضمن محتوى الباب الثاني من الكتاب، وقد استغرقت هذه الفصول قرابة ٤٤ أربعًا و أربعين صفحة من ٣٣– ٨٧ .

---

(١) الفاصلة في القرآن طبعة دار عمار، عمان، الأردن ١٩٨٣ م .

أحصى فيها د. الحسناوي معظم ما كتب حول الفاصلة ثم علّق على بعضها وذكر الرأي الذي يرتضيه، وناقش الآراء التي لا يرتضيها حول الفاصلة .

ولا شك أنه قد ظهرت بحوث أخرى قبل وبعد صدور كتاب الحسناوي عام ١٩٨٣م في علم الفاصلة في مصر وفي غيرها من دول العالم . حيث كان قد صدر في عام ١٩٨٢ م

كتاب بعنوان : الفاصلة القرآنية، د. عبد الفتاح لاشين [١].

ومن البحوث التي جاءت بعد كتاب الحسناوي " البيان في روائع القرآن"، أ.د. تمام حسان، عالم الكتب بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة، ١٩٩٣م .

وكان منها رسالة دكتوراه بدار العلوم القاهرة، للباحثة عائشة الأنصاري بعنوان " الظواهر النحوية في فواصل القرآن الكريم "[٢].

وكان منها أخيرًا وليس آخرًا : " نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقا " "، د. أحمد عبد المجيد خليفة[٣].

ولقد تتبع د. الحسناوي ورود مصطلح الفاصلة عند القدماء من أمثال الخليل وسيبويه والفراء والأخفش والجاحظ وغير هؤلاء، وأولئك ممن قسمهم إلى أربع طوائف على حسب التدرج الزماني :

١- علماء الكلام بما فيهم المعتزلة والأشاعرة .

٢- اللغويون : من رجال النحو على وجه الخصوص .

٣- المفسرون وجماعة علوم القرآن .

٤- البلاغيون .

وعرض الحسناوي كثيرا من هذه المؤلفات بالتعليق والمناقشة .

ثم عرض لجهود المحدثين في الفصل الرابع، بدأها بجهود الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" ثم ختم جهود المحدثين بآراء محمد رجب البيومي بعد أن

---

(١) الفاصلة القرآنية د. عبد الفتاح لاشين، طبعة دار المريخ، الرياض .

(٢) تحت رقم ١٨١ / ١٠٨٨، ١٩٩٧ م

(٣) نشر مكتبة الآداب، مصر، الطبعة الأولي، ٢٠٠٦م

عرض لأهم عشرة باحثين كبار كانت لهم آراء مهمة في بحوث قيمة في الفاصلة القرآنية، وقد ذكر منهم أ.مصطفى صادق الرافعي[1] رحمه الله والشيخ المرحوم سيد قطب[2] رحمه الله، ود. إبراهيم أنيس [3] رحمه الله، و د. محمد عبد الوهاب حمودة [4] وأحمد أحمد بدوي [5] ود.علي الجندي [6] رحمه الله، ومحمد المبارك [7] و د. عائشة عبد الرحمن [8] رحمها الله، د. عبد الكريم الخطيب [9]، و د . لبيب السعيد [10]، وكامل السيد شاهين [11]، ثم أخيرًا محمد رجب البيومي [12] " .

وقد حاول الدكتور الحسناوي أن يلخص بحوث هؤلاء تلخيصًا علميًّا دقيقًا، ولكنه اعترض على من كان له رأي يبيح القول بوجود السجع في القرآن الكريم أو يبيح أن

---

(١) تاريخ آداب العرب ج٢/٢٢٢ – المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م، ط٣

(٢) في ظلال القرآن – لسيد قطب – دار العربية، بيروت ١٣٨٧هـ = ١٩٦٨م، ط٤

(٣) موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥ م ط٣

(٤) مجلة لواء الإسلام – عدد ١٠ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ، مقال بعنوان : موسيقى القرآن .

(٥) من بلاغة القرآن د. أحمد أحمد بدوي – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٥م – وانظر : أسس النقد الأدبي عند العرب .

(٦) صور البديع – فن الأسجاع " د. علي الجندي – دار الفكر العربي بالقاهرة ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١م، في جزأين

(٧) من منهل الأدب الخالد – محمد المبارك – طبعة أولى عام ١٩٦٠ م، ودراسة أدبية لنصوص من القرآن.

(٨) التفسير البياني للقرآن الكريم – بنت الشاطئ د. عائشة عبد الرحمن – درا المعارف بمصر ١٣٩١ هـ، ص ٢٣٥ .

(٩)– إعجاز القرآن – عبد الكريم الخطيب – دار الفكر العربي ١٣٨٣ هـ، ١٩٦٤ م، والإعجاز في دراسات السابقين – دار الفكر العربي

(١٠)– التغني بالقرآن د. لبيب السعيد – إصدار الهيئة العامة للتأليف والنشر – المكتبة الثقافية ٢٥١٤ .

(١١)– البيان القرآني، د. محمد رجب البيومي، من سلسلة البحوث الإسلامية، ١٩٧١ م

(١٢)– مجلة الوعي الإسلامي، عدد ٢١، ص ١٦ – ٢٣، مقال بعنوان "فواصل القرآن" كامل السيد شاهين .

تكون بعض الكلمات قد جاءت على كيفية معينة لموافقة الفواصل، أو لموافقة رؤوس الآيات، سواء كان هذا القول لعالم من العلماء القدامى أم كان لأحد الباحثين المحدثين بدءًا من القرن التاسع عشر حتى القرن الحادي والعشرين، ولست أدري سببًا علميًا واحدًا يجعل د.الحسناوي ينحو باللائمة على من يقولون بواحد من الرأيين الماضيين، ذلك لأن السجع حلية لفظية تحدث جرسًا موسيقيًا قد اعتاد العرب على استخدامه وقد اعتادوا على سماعه، بل هو قد أصبح لازمة من لوازم لغتهم عند الخاصة منهم وعند العامة، وفي الظروف العامة، وهم أشد ملازمة له في ظروفهم الخاصة .

وبرغم التقدير الكبير الذي أذكر به جهود د. الحسناوي إلا أنني أرى أن ما قاله فريق من العلماء القدماء، وفريق من العلماء المحدثين لهو أمكن الأقوال والآراء حول أهمية الفاصلة القرآنية في النظم القرآني، ولقد أولاها النظم القرآني اهتمامًا بالغًا فلا يصح منا أن نغفل هذا الاهتمام، أو أن ننقص من أهميتها بعد أن نالت من النظم القرآني كل هذه الرعاية وكل هذا الاهتمام حيث إننا لم نجد سورة واحدة قد أهملت رعاية الفاصلة في آياتها، وقد تنبه لهذا علماؤنا قدامى ومحدثين كما سيأتي بيانه من هذه الدراسة إن شاء الله .

أما تسمية هذه الفاصلة بأنها سجعة أو أنها فاصلة لمقابلة السجع في النثر والقوافي في الشعر فهو أمر اصطلاحي تفرضه ظروف البحث العلمي، وأعتقد أنّ هذا آخر ما استقر عليه الأمر في درس الفاصلة قديمًا وحديثًا حيث اتفق على تسميتها فاصلة لمقابلة السجع في النثر، والقافية في الشعر .

ولعلني لا أكون مبالغًا عندما أنادي بتبسيط الأمور وعدم التشدد في استخدام المصطلحات تخوفًا من أن يقال بالسجع في القرآن الكريم أو بمشابهته للشعر . ذلك لأن عَلمًا كبيرًا وعلامة كبرى في سماء العلم هو المرحوم الشيخ سيد قطب قد استخدام لفظة قافية لنهاية الآيات [١]، وهو لا يقصد أكثر من كونها نهاية للآية كما القافية نهاية لبيت الشعر .

---

(١) – فـــي ظلال القرآن جـــ ٣٠/ ١١٧ – ١١٨ وقال في التصوير الفني ص ٨٧ متحدثا عن حكاية قـــول إبـــراهيم : قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ

ودراستنا من أولها لآخرها تسير مع كل رأي علمي يقدس القرآن ويعطيه حقه في القداسة دون أن يحجر على الآراء الأخرى التي ترى أن قداسة هذا النص المقدس تكمن في أهمية التعامل معه على أنه نص لغوي مقدس تحدى به الله سبحانه أرباب البيان فعجزوا أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بآية من مثله مع أنهم أهل الشعر وأهل النثر وأهل الفصاحة وأهل البلاغة والبيان .

إن هذه الدراسة تقصد قصدًا إلى تجاوز مرحلة الحديث عن السجع في القرآن إثباتًا ونفيًا، وتقصد قصدًا إلى إثبات البيان في نظم القرآن وقد ملك هذا البيان كل القرآن فظهرت آثاره في فواصله، وفي كلماته وحروفه وجمله، وفي نظمها وتأليفها وفيما اشتملت عليه من موضوعات وعبر وعظات وترغيب وترهيب، وحجج دامغة، لكل التخرصات الواهية .

إن كثيرًا ممن استخدموا لفظ السجع في القرآن أو استخدموا لفظ – مصطلح القافية للنغم أو الأنغام الظاهرية الخارجية للنص القرآني، لم يقصدوا الإساءة إلى النص القرآني ولم يقصدوا مساواة القرآن بالشعر، إنهم قصدوا التعبير عن الموسيقى القرآنية المعجزة بألفاظ قديمة مشابهة للفظة موسيقى .

قال الشيخ سيد قطب : قلنا : إن في القرآن إيقاعًا موسيقيًا متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان، ولما كانت هذه الموسيقى القرآنية إشعاعًا للنظم الخاص في كل موضع وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة .... فإننا نؤثر أن نتحدث عن هذه الظواهر كلها مجتمعة .

=الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) قال الشيخ العلامة رحمه الله : فقد خطفت ياء المتكلم في : يهدين، ويسقين، ويشفين، ويحيين " محافظة على حرف القافية مع "تعبدون" .... "الأقدمون"، والدين ..... " ومثلها خطفت الياء الأصلية في الكلمة : نحو : وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) فقد صرح الشيخ بكلمة قافية ولم يجد في ذلك حرجا.

لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع، وسحر وجدانهم بما فيه من منطق ساحر، و أخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل، وتلك خصائص الشعر الأساسية . إذا نحن أغفلنا القافية و التفاعيل " [١] على أن النسق القرآني قد جمع مزايا النثر والشعر جميعًا فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ في الوقت ذاته من خصائص الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي، وضم ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا فشأنه شأن النثر والنظم جميعًا" [٢] وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه، يبرز بروزًا واضحًا في السورة القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة، ويتوارى قليلًا أو كثيرًا في السور الطوال، ولكنه على كل حال – ملحوظ دائمًا في بناء النظم .

اقرأ معي " سورة النجم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) [٣]

وعلق الشيخ على هذه الآيات قائلًا : هذه فواصل متساوية في الوزن تقريبًا – على نظام غير نظام الشعر العربي، متحدة في حرف التقفية تمامًا، ذات إيقاع موسيقي

(١)– التصوير الفني ص ٨٦، ٨٧

(٢)– السابق

(٣)– التصوير الفني ص ٨٨ .

متحد تبعًا لهذا ولذلك، وتبعًا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية ؛ لأنه ينبعث من تآلف الحروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، ومرده إلى الحس الداخلي، والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع آخر، ولو اتحدت الفواصل والأوزان " (١)

ولعلك تلاحظ معي أن الإيقاع الموسيقى هنا متوسط الزمن لتوسط الجملة الموسيقية في الطول متحد تبعًا لتوحد الأسلوب الموسيقي، ومسترسل الروي كجو الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي، وهذا كله ملحوظ، وفي بعض الفواصل يبدو ذلك جليًا مثل : **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)** فلو أنك قلت : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة، لاختلت القافية، ولتأثير الإيقاع ولو قلت : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة، لاختلت القافية ولتأثير الإيقاع، ولو قلت : أفر أيتم اللات والعزى ومناة الأخرى ؟ " فالوزن يختل وكذلك في قوله : **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢)** فلو قلت : تلك قسمة ضيزى؟ لاختل الإيقاع المستقيم بوجود كلمة إذن فيختل بحذفها "ويستقيم بوجودها "

ولا يعني هذا أن كلمة "الأخرى" أو كلمة "الثالثة" أو كلمة "إذن"، أو كلمة "ضيزى" هي زائدة لمجرد القافية أو الوزن ؛ لأنها ضرورية للسياق لنكت معنوية خاصة، وتلك ميزة فنية أخرى، أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق، وتؤدي تناسبًا في الإيقاع دون أن يطغى هذا على ذاك أو تخضع النظم للضرورات .

إنّ ملاحظة اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل تبدو واضحة في كل موضع على نحو ما ذكرنا أو قريبًا من هذه الدقة الكبرى، ودليل ذلك أن يُعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة أو يبنى النسق على نحو يختل إذا قدمت أو أخرت فيه أو عدلت في النظم أي تعديل ".

وسوف تجيء لكل ذلك نماذج عديدة في المواضع المخصصة لذلك فيما بعد .

إذن قد اتضح من حديث الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – أنه لا غضاضة من استخدام مثل هذه المصطلحات عند دراسة نظم القرآن الخاص بفواصله، فلفظة " إيقاع

---

(١)– السابق .

قرآني أو سجع قرآني، أو موسيقى قرآنية أو فواصل قرآنية، أو قوافي قرآنية، فكل هذه مصطلحات مقبولة ؛ لأنها لا تمس قداسة القرآن في شيء .

ويسير د. إبراهيم أنيس – رحمه الله – في ذات طريق هؤلاء العلماء الذين لا يرون بأسًا في استخدام مصطلحات السجع القرآني أو الفواصل القرآنية حيث نراه يهاجم الباقلاني الذي ذم القائلين بوجود السجع في القرآن، أو بمماثلة القرآن لأنظمة العرب في فنونهم الشعرية والنثرية، مع علوه عنها وتفوقه عليها، وقد لخص د.أنيس ردود الباقلاني في نفي الشعر عن القرآن في أربعة أدلة[١] ولخص ردود الباقلاني في نفي السجع عن القرآن في أربعة أدلة أيضًا، نقل كل ذلك د. أنيس ثم علق عليه قائلا[٢]: "وفي الحق إن وصف القرآن بأنه من نوع كلامهم وهو مع هذا معجز لهم أمر يسمو بأدب القرآن إلى الذروة ويجعل إعجازه وتحديه لفصحاء العرب ذا مغزى سامٍ جليل يجب أن نحرص عليه وأن نتمسك به، وذلك خير من أن نقول عنه إنه كلام خارج عن كل مناهج الكلام والآداب عند العرب " ولعل الذي دعا القدماء من أصحاب البلاغة إلى سلوك هذا المسلك، ما جاء في القرآن من ذم الشعراء وتنزيه الرسول عن أن يكون شاعرًا " **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩)**" يس، وقوله سبحانه "**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ** " الأنبياء (٥)، وقوله "**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥)** " الشعراء، وغير ذلك من الآيات التي تنفي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعرًا، وتنزهه عن قول الشعر .

وقد ذم الرسول الكريم السجع، واستهجنه على ألسنة قائليه، لكن ذلك كله لا ينفي أن الرسول كان يطرب عند سماعه الشعر، وكان يهش لقائليه ولروايته مما يحمل معاني سامية وأدبًا سامقًا خاليًا من الإسفاف والابتذال والكذب، وقد نص عبد القاهر الجرجاني على ذلك وتهكم من هؤلاء الذين نفوا أن يكون رسول الله قد استمع الشعر أو مدح أصحابه، قال الشيخ عبد القاهر – رحمه الله:– في فصل بدأه بقوله :– أما ارتياحه

(١)– موسيقى الشعر ص ٣٥٨ .

(٢) موسيقى الشعر ٣٥٦ – ٣٦٦

– صلى الله عليه وسلم – للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر من وجوه، من ذلك حديث النابغة الجعدي قال: أنشدت رسول الله عليه وسلم قولي :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   و إنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين المظهر يا أبا ليلى ؟

فقلت : الجنة يا رسول الله

قال : أجل إن شاء الله، ثم قال : أنشدني فأنشدته :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له   بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له   حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال الرسول الكريم :– أجدت لا يفضضن الله فاك "..............."

واستمر الشيخ عبد القاهر كما قال د. إبراهيم أنيس يذكر أمثله ونماذج لاستحسان رسول الله للشعر ثم يورد عليها التعليقات التي تثبت عدم استهجانه للشعر .

ثم يقول د. أنيس : نعم قد اتفق مع القدماء في أن ما وقع في القرآن من آيات موزونة أو مقفاة لم يكن عن عمد أو قصد، وإنما هو الكلام العربي الموسيقي في أكثر نواحيه، وقد يقع كلام الناس موزونًا دون إرادة الوزن، كأن يقول القائل : "أغلق الباب وائتني بالطعام" أو أن يقول : "أكرموا من لقيتم من تميم " أو يقول: "اسقني الماء يا غلام سريعًا" فكل ذلك مما جاء على أوزان الشعر المعهود، لكن الجمال في أسلوب القرآن أن معظمه جاء متناسق المقاطع يصلح أن يضمن في شعر الشاعر دون مشقة أو عنت فمن جمال الأسلوب القرآني أن وقع فيه ذلك القدر من آيات موزونة موسيقية تطمئن إليه الأسماع وتنفذ إلى القلوب، ولم يجد بعض أصحاب العروض مشقة أو عسرًا حين وضعوا ضوابط وشواهد لأوزان الشعر وضمنوها بعض آيات القرآن الكريم، ومن ذلك :

– " **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** " الطويل . سورة الكهف آية ٢٩

– " **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا** ... " الكامل . سورة الفتح آية ١٠

– " **فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ** " البسيط . سورة الأحقاف آية ٢٥

– " **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ** " الخفيف . سورة الشعراء آية ٢١٧

- " قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ " الرمل . سورة الملك آية ٢٩
- " وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا " المتقارب . سورة الفتح آية ٣
- " يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ " السريع . سورة طه آية ٩٠
- " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ " السريع . سورة الحج آية ١
- " يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ " المديد . سورة يوسف آية ١٩
- " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ " المتدارك . سورة الكوثر آية ١
- " كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ " الرجز . سورة الحاقة آية ٧

ومن شاء المزيد من الآيات الموزونة وجدها يسيرة في العثور عليها حين يقرأ القرآن الكريم، ويتلمس أوزان الآيات، وتوالي المقاطع فيها، وليس يكفي أن توافق الآيات في توالي المقاطع ما جرت على أوزان العروض من خضوعها لنظام خاص في توالي مقاطعها بل لا بد من أمر هام هو إنشاد الآية كما ينشد الشعر، فإذا تليت كما يرتل القرآن بعدت الآية عن الموسيقى الخاصة التي يتطلبها الشعر في إنشاده من صعود وهبوط Intonation، فقد ترتل كل الآيات السالفة الذكر الترتيل القرآني المعهود، وحينئذ لا يكاد يدرك السامع ما فيها من وزن، فموسيقى القرآن قد تشترك مع موسيقى الشعر في الأوزان والقوافي، ويتميز القرآن بترتيله، كما يتميز الشعر بإنشاده".

ثم يقول د. أنيس : فليس يعيب القرآن أن نحكم على أن في ألفاظه موسيقى كموسيقى الشعر، وقوافي، كقوافي الشعر أو السجع بل تلك ناحية من نواحي الجمال فيه، وليس يعيب القرآن أن نقول إن تردد مقاطع بعينها في قوله سبحانه " وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ(١٢٢)" قد جعل موسى يذكر قبل هارون، في حين أنه ذكر بعده في قوله سبحانه : وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) .

إن لكل ذلك أسرارًا خفية كما قال الشيخ سيد قطب، قد نوفق في اكتشاف بعضها، وقد يغيب عنا بعضها الآخر، فيوفق الله آخرين في اكتشافه .

أما كتاب الفاصلة القرآنية للدكتور عبد الفتاح لاشين [1] فقد درس فيه حوالي مائة فاصلة، لكن دراسته تمحورت حول إبراز الصلة بين لفظة الفاصلة أو الجملة التي وردت فيها تلكم الفاصلة بصفة عامة وبين النسيج الداخلي للآية، فهو مثلا مشغول بدراسة السر وراء مجيء نهاية الآية رقم ٣٨ من سورة المائدة على : " **والله عزيز حكيم** " ولماذا لم تجئ على : " **والله غفور رحيم** " وهكذا أقامت الدراسة محاورها في دراسة فواصل مائة آية من فواصل القرآن الكريم شغلت حوالي ١٦٥ مائة وخمسا وستين صفحة تقريبا .

وواضح أن خط الدراسة يختلف عما توافرت عليه دراستنا للفواصل التي جمعناها وأدرنا دراستنا حولها .

أما البيان في روائع القرآن بجزأيه الأول والثاني – طبعة قصور الثقافة – وكذلك كتاب التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها للدكتور تمام حسان أيضا [2] فقد عرض فيهما صاحبهما الأسلوب العدولي في القرآن الكريم عرضا وافيا ينم عن فهم واعٍ لاشتمال النص القرآني على عدد غير قليل من مواضع عدولية في آيات القرآن الكريم في الفواصل وفي نسيج الآيات .

وقد جعل الدكتور تمام الأسلوب العدولي موردا من موارد التأنق في الأسلوب العربي قديما وحديثا ، وليس من الصحيح رده أو الحكم عليه بالخطأ ، ولقد كان سيادته قد أشار في كتابه التمهيد إلى أنه قد اكتشف أن هناك نظرية تحتاج إلى وضع حجر الأساس لها ، وهو بصدد ذلك ، هذه النظرية هي نظرية الأسلوبي العدولي في الكلام العربي شعره ونثره ، وقد تنبه لها الأقدمون فوردت في مؤلفاتهم في مواضع شتى عند حديثهم عن النقل والترخيم وإعراب الجوار وإسكان المتحرك وتحريك الساكن واختلاف الاعتبار وحذف الرابط وضمير الفصل وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، وعدم المرجع وتجاهل الاختصاص والإبدال والمناسبة الصوتية ، والاعتراض، والحذف والزيادة ، والتقديم والتأخير والتضمين ، إلى جانب ما ذكره

---

(١) الفاصلة القرآنية د. عبد الفتاح لاشين، طبعة دار المريخ، الرياض .

(٢) طبعة معهد اللغة العربية جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٩٨٤ م .

البلاغيون في بحوثهم كتسخير اللفظ لتوليد المعنى ، والالتفات والتغليب والمجاز ، ثم قال : لقد كان الأقدمون على علم بكل تلك الظواهر ، لكنهم لم يجمعوا أشتاتها في إطار واحد ، ولم يقيموا بينها شركة في تفسير واحد .

لقد كانت هاتان الدراستان (التمهيد) و (البيان في روائع القرآن) وغيرهما من مؤلفات الدكتور تمام حسان ذات الصلة بالدراسات القرآنية ، وبخاصة ما فيها من موضوعات تخص الفاصلة رافدا مهما لكثير من الدراسات التي اهتمت بالفاصلة .

لقد فصل د.تمام الحديث عن الأسلوب العدولي في اللغة وفي فواصل القرآن وفي غير الفواصل ، في أكثر من مؤلف من مؤلفاته ، حيث رأى أن الأسلوب العدولي هو خروج عن الأصل أو مخالفة القاعدة لكن هذا الخروج أو تلك المخالفة اكتسبا من الاستعمال الأسلوبي قدرا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها ، أو هو الاستعمال المعدول به عن أصل القياس وفي موضع آخر يقول : " ارتضت النصوص العربية عددا من النصوص العدولية التي تنبى على العدول عن أصول اللغويين والنحاة ، والتي لقيت من الحفاوة في الاستعمال ما حولها إلى مؤشرات أسلوبية ، وهذا العدول وإن كان خروجا عن الأصل لكنه يقاس عليه وهو مسموح به الآن كما كان مسموحا به في القديم[1] .

وقد فرق د. تمام بين الترخص الذي هو انتهاك للقاعدة والقاعدة الموضعية والمؤشر الأسلوبي في أكثر من موضع من دراساته ، جاعلا الأسلوب العدولي مزية من مزايا لغة القرآن الكريم [2].

أما دراسة د. عائشة الأنصاري : وهي رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم عام ١٩٩٧ بعنوان "ظواهر نحوية في فواصل القرآن الكريم " فلفت النظر فيها أنها جاءت

---

(١) انظر درجات الصواب والخطأ في النحو والأسلوب د.تمام ص ٦٦ ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٥ م . وانظر ظاهرة الترخص عند أمن اللبس على المستويات المختلفة، وخواطر من تأمل لغة القرآن الكريم ، عالم الكتب ٢٠٠٦، للمؤلف .

(٢) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم ١١٣

في فصولها الأولى مشابهة لما في دراسة د.الحسناوي حول تاريخ الفاصلة القرآنية، أما الفصول التالية الثالث والرابع فقد درست فيهما كثيرًا من الظواهر النحوية التي أثارتها الفواصل، لكنها لم تركز على مبحث أو موضوع بعينه لتوفيه حقه في الدراسة، لذلك وجدناها تمس كثيرًا من موضوعات النحو مسًا خفيفًا في إيجاز مفيد.

يبد أن الأمانة العلمية تقتضي القول أن المنهج العام والتخطيط الهيكلي للدراسة كان تخطيطًا منهجيًا، قد اقتضت ظروف البحث عدم عمق في دراسة كثير من الموضوعات؛ وذلك بسبب كثرة الموضوعات التي تناولها هذا البحث وكثرة الفواصل التي وردت فيه.

وأما كتاب " نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقا " للدكتور أحمد عبد المجيد خليفة، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٦ م .

فهو دراسة تقوم على تعظيم النص القرآني لكن بسلبه مقومات الإعجاز والعظمة، فكيف يكون النص معجزًا ونحن نقول إن فواصله قد خلت من السجع أو التقفية، أو القرينة أو حتى مجرد تسمية ذلك فاصلة ؛ لأن ذلك لم يرد عن السلف ؟!!

وكيف نقول إن النص معجز مع عدم القول بالعدول في فواصله .

وكيف تقوم الدراسة كلها على النسيج الداخلي للآيات أو الآية الواحدة، فتعالج وتناقش القضايا الداخلية في صلب الآية، وكأننا درسنا بذلك الفواصل . إن هذا البحث لم يدرس إلا ثلاثًا وعشرين فاصلة فقط من جملة مئات الموضوعات التي أثارها في النسيج الداخلي للآيات، ولست أدري كيف تقوم دراسة بعنوان " نهايات الآيات القرآنية " لكنها تدرس وسط الآيات وبداياتها ولا تركز على نهايات الآيات إلا نادرًا ؟!!

ولا شك أن فروقًا كثيرة تتبدى عند المقارنة بين دراسة الفاصلة وما تحتويه من قضايا وموضوعات وبين دراسة هذه الموضوعات وتلكم القضايا عند ورودها في وسط الآيات أو في بداياتها .

ويبدو أن دراسة صاحب كتاب نهايات الآيات كان يحتاج إلى تعديل بسيط في العنوان – مع تعديل كل ما يحتاج إلى تعديل تبعًا لذلك فيكون : بدايات الآيات القرآنية ووسطها ونهاياتها بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقا.

العدل والعدول لغة واصطلاحًا :

أ- قال في اللسان عن العدل والعدول في اللغة : " وعَدَل عن الشيء يَعْدِل عَدْلًا وعدولًا حَادَ، وعن الطريق جار، وعَدَلَ إليه عدولًا : رجع، وما له مَعْدِلٌ ولا معدول أي مَصْرِفٌ، وعَدَلَ الطريقُ مالَ، ويُقَالُ : أخذ الرجل في معدل الحق ومعدل الباطل، أي في طريقه ومذهبه.

ب - **وجاءت التقسيمات الآتية عن العدل اصطلاحًا في معجم المصطلحات النحوية** (1): قال : العدل : علة لفظية من علل منع الأسماء من الصرف، ولا بد لهذه العلة من الاجتماع بعلة أخرى هي : العلمية أو الوصفية حتى يتحقق للاسم منعه من التنوين، والعَدْل في الاصطلاح : إخراج الكلمة عن صيغتها الأصلية لغير قلب أو تخفيف أو إلحاق أو معنى زائد، وفائدته في عمومه تخفيف اللفظ والانتحاء به إلى صوت يخف به اللسان .

.. وينقسم العدل باعتبار الدلالة عليه إلى قسمين :

عدل تحقيقي نحو غُدَرة وذلك إن دلَّ عليه غير منع الصرف .

وعدل تقديري إن لم يدلَّ عليه إلا منع الصرف مثل عمر .

كما ينقسم باعتبار محله إلى أربعة أقسام هي :

١- عدل بتغيير الشكل فقط مثل : جُمَع عند مَنْ قال إنه معدول عن جميع.

٢- عدل بالنقص كعدل سحر وأمس وأُخر معدول عن السحر - الأمس - الآخر: جمع للأخرى التي مؤنثها آخَر بمعنى مغاير وهو لفظ معدول عما فيه الألف واللام لأنه من باب أفعل التفضيل وله أحكامه .

٣- عدل بالنقص وتغيير الشكل كعمر معدول عن عامر .

٤- عدل بالزيادة والنقص وتغيير الشكل مثل حذام معدول عن حاذمة، ومَثْلَث المعدول عن ثلاثة ثلاثة، وقد حدد العلماء الألفاظ التي تمنع من الصرف لوجود علة العدل مع الوصفية أو العلمية فكانت كما يلي :

---

(1) معجم المصطلحات النحوية ص ١٤٧

١- العلم الوارد على وزن فُعَل، وقد قدر عدله عن فاعل وذلك نحو زُفَر عُمَر زُحَل ثُمَل، وقد عد النحاة ما سمع من ذلك حتى أوصلوه إلى خمسة عشر علمًا .

٢- التعريف والعدل، وينسحبان على ألفاظ التوكيد وهي جُمَع وكُتَع وبُصع وبُتَع كما ينسحبان على لفظ "سحر" مجردًا من الألف واللام والإضافة ومرادًا به سحر يوم بعينه مثل سأزورك اليوم سحر .

٣- الوصفية والعدل وذلك في أمرين هما : الأعداد التي

على وزن فُعال أو مفعل وذلك نحو ←— أحاد وموحد إلى عشار ومعشر، وهي معدولة عن واحد واحد عشرة عشرة، ولفظة أُخَر جمع لأخرى مؤنث آخر بمعنى مغاير وهو لفظ معدول عما فيه ألف ولام .

وقد ورد لفظ العدول عند سيبويه وذلك عندما تحدث عن تغيير الأسماء المبهمة إذا صارت علامات خاصة فتحدث عن "أمس" إذا صارت اسمًا لرجل فسأل الخليل عنها فأجابه : بأنه مصروف ؛ لأنه لما فارق الموضع الذي وضع له، فقالوا، ذهب أمسُ بما فيه، لم يصرفوه، قال : فلما عدلوه عن أصله في الكلام ومجراه تركوا صرفه كما تركوا صرف "أخر" حين فارقت أخواتها في حذف الألف واللام منها، وكما تركوا صرف "سحر" ظرفًا ؛ لأنه إذا كان مجرورًا أو مرفوعًا أو منصوبًا غير ظرف لم يكن معرفة إلا وفيه الألف واللام أو يكون نكرة إذا أخرجتا منه، فلما صار معرفة في الظروف بغير ألف ولام خالف التعريف في هذه المواضع، وصار معدولًا عندهم كما عدلت "أخر" فتركوا صرفه في هذا الموضع كما ترك صرف "أمس" في الرفع " (١)

وقد تحدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي عن العدل و العدول على اعتبار أنه مسلك شائع في لغة العرب قائلا : إن في الفاصلة القرآنية عن مألوف الاستعمال اللغوي عدولا، وإن هذا العدول شائع في لغة العرب وفي كلامها (٢).

---

(١) الكتاب جـ ٣/ ٢٨٠ – ٢٨٤ .

(٢) مجاز القرآن تحقيق فؤاد سيزكين ج٢ / ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٧ ،

ووافقه على ذلك أبو البقاء العكبري ٦١٦ هـ[١]، وضياء الدين ابن الأثير ٦٣٧ هـ[٢]، والآلوسي ٦٧٠ هـ [٣]، والزركشي في البرهان ، والسيوطي ٩١١ هـ في الإتقان [٤].

وقال ابن هشام بالعدل في لفظة "سحر" وذلك حيث قال : وأما "سحر" فجميع العرب تمنعه من الصرف بشرطين ؛ أحدهما أن يكون ظرفاً، والثاني أن يكون من يوم معين، كقولك: جئتك يوم الجمعة سحر ؛ لأنه حينئذٍ معدول عن "السحر" كما قدر التميميون أمسِ معدولاً عن الأمس، فإن كان سحر غير يوم معين انصرف كقوله تعالي:" نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤)" [٥]

وقد جرى استخدام مصطلح العدل عند هؤلاء جميعاً، وقد استخدموه بمعناه العام الذي هو تحويل الاسم من حالة لفظية إلى أخرى مع بقاء المعنى الأصلي، وبعضهم توسع في ذلك فجعل العدل يكون من معنى إلى معنى، وبالعدول عن صيغة إلى صيغة أخرى، أو من زمن إلى زمن، أو من جملة إلى جملة، أو من فعل إلى اسم، أو من اسم إلى فعل، أو من حرف إلى حرف ... إلخ .

ولم يهمل النحاة أهم قضية من قضايا العدل ألا وهي حدود العدل ونهايته، هل هو سلوك لغوي بلا ضابط أم أنه مسلك لغوي له ضابط يضبطه، فلا يتخطاه إلى ما لا نهاية، نجد ذلك في حديث ابن جني الذي نقله صاحب الاقتراح في مسألة "الدَّوْر" حيث قال السيوطي : قال في الخصائص [٦]– يقصد ابن جني – قال عن مفهوم "الدَّوْر" وذلك أن تؤدي الصنعة إلى حكم ما مثله مما يقتضي التغيير فإن أنت غيَّرت صرت إلى مراجعة مثل ما منه هربت، فحين إذن يجب أن تقيم على أول رتبة !! .

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ، ج ٢ ، ٢٩٥

(٢) المثل السائر ، تحقيق محمد أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، ١٩٥٥ ط. ١ ، ج ١/ ٣٤٠

(٣) روح المعاني في مواضع كثيرة وسيأتي ذكرها

(٤)الإتقان للسيوطي ، نشر مصطفى الباب الحلبي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، أكثر من موضع

(٥) قطر الندى ص ٣١٥، أوضح المسالك جـ٤/ ١٢٩ .

(٦) جـ١/ ٢٠٨، ٢١٢

وذلك كأن تبني من " قويت " مثل "رسالة" فإنك تقول : قِواءة، ثم تكسرها على قواء، ثم تبدل من الهمزة الواو لتطرفها بعد ألف ساكنة فتقول : "قَوَاو" فتجمع بين واوين مكتنفي ألف التكسير، ولا حاجز بين الأخيرة والطرف، فإن أنت فررت من ذلك وقلت أهمز، كما همزت في أوائل، لزمك أن تقول : قواء كما كان أولًا، وتصير هكذا تبدل من الهمزة واوًا، ثم من الواو همزة إلى ما لا نهاية له، فإن أدت الصيغة إلى نحو هذا وجبت الإقامة على أول رتبة ولا يعدل عنها [1].

إذن فالصنعة النحوية والصرفية توقفان العدل وتحكمان بعدم حدوثه إذا كان العدول من صيغة إلى صيغة سوف يجعلنا ندور في حلقة مفرغة .

العدل في كتب اللغة:-

لقد كرر ابن سيده حديثه عن العدل والعدول في أكثر من موضع في كتابه المخصص، حيث عقد بابًا عند حديثه عن المذكر والمؤنث قائلًا : هذا باب ما جاء معدولًا عن حده من المؤنث كما جاء المذكر معدولًا عن حده .

ثم قال نحو فُسَق، ولُكَع، وعُمَر، وزُفَر ... ثم أخذ يقسّم العدول إلى التأنيث إلى مراحل وكذلك العدول إلى التذكير، ثم خلص من ذلك إلى كلام المبرد الذي جعل كثرة العدول في اللفظ الواحد تؤدي به إلى البناء .

واعترض على المبرد بأن ذلك ليس صحيحًا لأن الكلمة إذا تم فيها أكثر من عدول فلا يؤدي ذلك إلى الحكم عليها بالبناء لأن البناء ليس نتيجة للعدول في بعض الألفاظ وإنما هو شيء آخر يتعلق بأصل الوضع ... إلخ " [2] .

وتحدث ابن سيده عن العدل فقال : " اعلم أن المعدول عن جهته من العدد يُمنع الإجراء ويكون للمذكر والمؤنث بلفظ واحد تقول ادخلوا أُحَاد وأنت تعني واحدًا واحدًا ... إلى رُبَاع ...

ونقل كلام سيبويه في ذلك ثم قال: قال أبو سعيد: اعلم أن أحاد وثناء قد عُدل لفظه ومعناه، وذلك أنك إذا قلت مررت بواحد أو اثنين أو ثلاثة فإنك إنما تريد تلك

---

(١) الاقتراح ١٦٨، ١٦٩ .

(٢) المخصص السفر السابع عشر جـ ٦٢/٥ .

العِدة بعينها، لا أقل منها ولا أكثر فإذا قلت جاءني قوم أُحادَ أو ثناء أو ثلاث أو رُباع فإنما تريد أنهم جاءوني واحدًا واحدًا أو اثنين اثنين ... وإن كانوا ألوفًا، والمانع من الصرف فيه أربعة أقاويل منهم مَنْ قال إنه عدل في اللفظ وفي المعنى فصار كأن فيه عدلين، وهما علتان : فأما عدل اللفظ فمن واحدٍ إلى أحاد ومن اثنين إلى ثناء، وأما عدل المعنى فتغيير العِدة المحصورة بلفظ الاثنين والثلاثة إلى أكثر من ذلك مما لا يحصى عددًا ثم ذكر قولًا ثالثًا ورابعًا عن كيفية العدل وأنه معدول وأنه جمع لأنه بالعدل قد صار أكثر من العِدة الأولى...

قال أبو علي الفارسي : اعلم أن العدل ضرب من الاشتقاق ونوع منه فكل معدول مشتق وليس كل مشتق معدولًا وإنما صار ثقلًا وثانيًا أنك تلفظ بالكلمة وتريد بها كلمة على لفظ آخر فمن هنا صار ثقلًا وثانيًا، ألا ترى أنك تريد بـــ عُمَر وزُفَر في المعرفة عامرًا وزافرًا معرفتين، فأنت تلفظ بكلمة وتريد أخرى وليس كذلك سائر المشتقات لأنك تريد بسائر ما تشتقه نفس اللفظ المشتق المسموع ولست تحيل به على لفظ آخر يدل على ذلك أن ضاربًا ومضروبًا ومستضربًا ومضطربًا ونحو ذلك لا تريد بلفظ شيء منه لفظ غيره كما تريد بـــ عمر عامرًا وبـــ زفر زافرًا، وبمثنى اثنين اثنين، فصار المعدول لما ذكرنا من مخالفته لسائر المشتقات ثقلًا إذ ليس في هذا الجنس شيء على حده فلما كان العدل في كلامهم ما وصفناه لم يجز أن يكون العدل في المعنى على حد كونه في اللفظ ؛ لأنه لو كان في المعنى على حد كونه في اللفظ لوجب أن يكون المعنى في حال العَدْل غير المعنى الذي كان قبل العدل، كما أن لفظ العدل غيرُ اللفظ الذي كان قبل العدل وليس الأمر كذلك، ألا ترى أن المعنى في عمر هو المعنى الذي كان في عامر والمعنى في مَثْنى هو المعنى في اثنين اثنين ..." [1].

وأخذ أبو علي يلح على فكرة عدم ارتباط الثقل في العدل بالصرف ومنع الصرف ؛ لأن ذلك سوف يؤدي إلى الحكم على كل ما يوصف بأنه معدول ومسمى به بأنه ممنوع من الصرف، وأصل فكرة المنع من الصرف للعملية والعدل أو الوصفية والعدل هو السماع فقط، وليس فيها عند النحاة قياس .

---

(١) المخصص مجلد ٥ السفر السابع عشر ص ١٢٤ .

فالقول بالعدل في مثل هذه الألفاظ هو تفسير وشرح لأسباب القول بالمنع من الصرف في مثل عمر وزفر، مثني وثلاث ورباع ... إلخ .

لكننا قد لا نوافق مَنْ قال إنّ العدل في اللفظ لا يستوجبه عدل في المعنى ؛ لأن العدل في اللفظ قد يصاحبه عدل في المعنى وإلا فما قيمة العدل من تركيب إلى تركيب ومن لفظ إلى لفظ .

لكننا أيضًا – كما سنرى في مواضع ليست كثيرة من هذه الدراسة أنّ بعض أنماط العدل وبعض صوره وأشكاله قد لا يكون هناك أي تغيير في المعنى بسبب حدوث العدل، حيث يكون المعنى قبل العدل هو نفسه بعد العدول ويكون السبب في العدول هو سبب آخر أو أسباب أُخَر ليس منها المعنى .

لكنّ هناك فريقًا من العلماء المحدثين يرى أنه لا وجود للعدل أصلًا، بل إن كل ما قيل في العدل وتعريفه، وتقسيمه وفائدته، يعتبر شيئًا مصنوعًا متكلفًا، ولا مرد لشيء فيه إلا للسماع .

ذلك لأنه لا يوجد دليل – في رأيه – يدل على أن العرب الأوائل عدلوا عن استعمال اسم العدد الأصلى المكرر إلى استعمال الاسم المعدول، لا دليل ولا ما يشبهه . والحق أن العرب استعملوا النوعين وأحدهما مصروف، والآخر ممنوع من الصرف ... إلخ[1] .

لقد لاحظنا عدم اقتناع بعض الباحثين والعلماء بهذه العلة وبما يندرج تحتها، وما يتفرع عنها ، لكنني هنا لا أنحاز إلى مَنْ قبل هذه العلة وجعلها علة تمنع الاسم من الصرف إذا اجتمعت معها علة أخرى – أي سبب آخر – ولا أنحاز إلى مَنْ رَفَضَها، ولكنني أرى أن رفض مبدأ العدل أو العدول في اللغة أمر متسرّع، ورأي لا يتماشى مع فهم طبيعة لغتنا .

فعلى مَنْ ينكرون أن العدل أو العدول علة مانعة للصرف أن يسلموا بأن العدل أو العدول مبدأ لغوي أصيل في اللغة تنزع إليه لغتنا العربية في جميع مراحل عمرها وبكل مستوياتها، بل إن جميع اللغات الإنسانية الحية تنزع إلى مبدأ العدل أو العدول في

---

(١)- النحو الوافي للشيخ عباس حسن – رحمه الله – جـ ٤/ ٢٢١، ٢٢٢ .

صيغها ومفرداتها وحروفها وتراكيبها، فإن لم تنزع اللغة أي لغة إلى هذا المبدأ – على أنه مبدأ وليس علة، فلا بد من الحكم عليها بالجمود ثم الموت ؛ لأن مبدأ العدول في اللغة يعد وسيلة من الوسائل المهمة التي تساعد اللغة – أي لغة – في الاستمرار بثراء وعطاء متواصل في أداء حي بقواعد حية .

وقد خلط الكثيرون بين "العدول" أو "العدل" باعتباره علة أو سببًا لمنع الاسم أو الصفة من الصرف وبين "العدل" أو "العدول" باعتباره مبدأ أو خاصية من خواص لغتنا العربية الجميلة، ونتج عن ذلك الخلط كرهُ كثير من الدارسين لمبدأ العدل باعتباره علة، أو عيبًا أو وهمًا توهمه النحاة ليقولوا بمنع بعض الألفاظ من الصرف، والحقيقة أننا ناقشنا قضية الممنوع من الصرف ورأينا ضرورة التخفف من هذا الباب بدراسته دراسة خالية من كل محتواه أو من أكثره وأشرت هناك [1] إلى قضية العدل أو العدول، لكنني هنا أناقش مبدأ العدل أو العدول أو خاصية العدل أو العدول لأقول بأصالتها في صرح وكيان لغتنا العربية، ولأقول إننا أمام لغة تجدد نفسها وتستخدم جميع الأدوات والوسائل التي تعينها على البقاء حية جميلة على ألسنة متكلميها .

ولقد اهتمت الدراسات الغربية بنظرية الأسلوب العدولي التي بدأت تتطور في أواخر القرن التاسع عشر واعتبرت الأسلوب العدولي عدولا عن المعيار وقد عرف أول الأمر من قبل فون دير جابلنتر (١٨٧٥) بأنه درس تفضيل كاتب من الكتاب بعض وسائل اللغة على بعض .

وعرفه موروزو بعد ذلك (١٩٣١) بأنه دراسة المظهر والجودة الناتجين عن الاختيارين تلك الوسائل التي تضعها اللغة بين يدي كل متكلم ، وهذا الاختيار يمكن أن يقاس بما يسمى " حالة الحياد اللغوية " أو بما سما موروزو " الانطلاق من نوع من درجة الصفر " في الأسلوب، أو " من شكل لغوي أقل ما يمكن تميزا " .

وقد نظر ليوسبيترز (١٩٤٨) إلى الأسلوبية على أنها استخدام العناصر التي تمدنا بها اللغة استخداما منظما ، وأن ما يمكن من كشف ذلك الاستخدام – وهو الصفة الأسلوبية – الانحراف الأسلوبي الفردي أي العدول عن الاستعمال العادي .

---

(١) انظر الممنوع من الصرف بين التقعيد والاستعمال مجلة كلية دار العلوم بالفيوم ٢٠٠١م .

وقد بحث بيرو جيرو (١٩٥٤) عن مقياس موضوعي لهذه الأنواع من العدول بفضل منهج إحصائي فالألفاظ ذات التواتر غير العادي لدى كاتب من الكتاب بالنسبة إلى التواتر الموضوعي من خلال عدد كبير من الكتاب الآخرين المعاصرين له ، تكون الألفاظ المفاتيح عند ذلك الكاتب .

ويحاول ريفيتير (١٩٦١) أن يضبط مفهوم هذا العدول عن المعيار أكثر بتعريفه بأنه " احتمال ضعيف في خصوص ظهور شكل من الأشكال اللغوية ، وهو ما يجنب اللجوء إلى مفاهيم المعيار أو الاستعمال العادي الذي يصعب إقراره .

وعلى حين يقرر كيبيدي فارجا (١٩٦٣) الأسلوب بأنه " المفاجأة " فإن جاكبسون يعرفه بأنه الانتظار الخائب Deviated expectancy [(١)]

وقد أيدتْ الفاصلة القرآنية مبدأ العدل أو خاصية العدل أو ظاهرة العدل أو العدول في اللغة العربية، نعم أيدت الفاصلة القرآنية هذه الظاهرة، ظاهرة العدول في اللغة، فجاءت فواصل القرآن الكريم قوية متينة في مكانها لا تقوى رياح النقد أو التشكيك على النيل منها .

إن كثيرا من فواصل القرآن – نهايات الآيات – قد حدث فيها عدول في الاستخدام وقد جاء هذا العدول في صور كثيرة، كان منها : عدول صرفي تمثل في العدول إلى الصيغة المستخدمة في الفاصلة بدلا عن صيغة أخرى متروكة مثل قوله سبحانه : " **إنك بالواد المقدس طوى** " فلفظة "طوى" تعتبر لفظة معدولة عن لفظة أخرى هي " طاو"وقد تركت الفاصلة لفظة "طاوي" وعدلت عنه إلى لفظة "طوى " وسوف تجيء الدراسة بتفصيل ذلك فيما بعد بإذن الله.

ومن صور العدول في فواصل القرآن أيضا العدول إلى التذكير أو العدول إلى التأنيث، أو العدول إلى الإفراد أو إلى التثنية أو إلى الجمع أو العدول إلى الجملة بدلا من المفرد أو المفرد بدلا من الجملة، أو العدول إلى الإضمار بدلا من الإظهار أو الإظهار بدلا من الإضمار أو العدول إلى الجملة الفعلية بدلا من الجملة الاسمية أو العكس وهذا كله ضمن العدول النحوي وكان من العدول الأسلوبي التقديم أو التأخير أو الاستغناء – الحذف – فكل هذه صور من صور العدول جاءت بها الفاصلة القرآنية .

ولقد أخذ البحث على عاتقه مهمة البحث عن الأسباب اللفظية أو المعنوية التي أدت إلى هذا العدول، وهي محاولة ليست نهائية ولم تقل الكلمة الأخيرة في الموضوع

---

(١)- نقلا عن ظواهر نحوية في الشعر (دراسة في شعر صلاح عبد الصبور) د. محمد حماسة عبد اللطيف ١٥٥ ، ١٥٦ .

ولكنها محاولة قد بذل فيها جهد استمر أكثر من أربع سنوات لجمع مادة الدراسة ومطالعة كل البحوث قريبة الصلة ببحث الفاصلة القرآنية ومحاولة تلافي أي تكرار قد يظهر في هذه الدراسة وأحمد الله سبحانه أن هذه الدراسة قد نجحت إلى حد كبير في تحقيق ذلك، فابتعدت عن التكرار المخل أو الممل وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين وخاتمة، كان عنوان الفصل الأول العدول الصرفي، حيث جمعت فيه معظم الفواصل التي تم فيها عدول صرفي مع دراسة هذه الفواصل مع جاراتها من السورة لمعرفة بعض أسرارها اللفظية والدلالية وكان عنوان الفصل الثاني العدول النحوي والأسلوبي، وقد نهض بمهمة دراسة الفواصل التي تتصل من قريب بالأبواب النحوية مع البحث عن أسرار ورودها على هذه الكيفية ، واضطلع بدراسة الفواصل التي لها علاقة بالبحث الأسلوبي تقديما أو تأخيرا .

وكان مما فرضته طبيعة دراسة فواصل القرآن أن كل فاصلة احتاجت دراسة خاصة بها، قد يتفق منهج تناولها مع غيرها وقد يختلف، والذي يهمني في ذلك كله هو الوصول إلى تفسير مقبول حول مجيء الفاصلة على هذا النحو العدولي راجيا أن يكون ذلك التفسير هو التفسير الأقرب إلى مراد الله في كتابه إنه هو العليم الخبير.

ولقد نجح هذا البحث في دراسة حوالي (١٧٥) فاصلة تقريبا من مجموع فواصل القرآن التي حدث فيها عدول وعددها (٩٠٠) فاصلة تقريبا مع العلم أن فواصل القرآن كله حوالي (٦٢٣٦) فاصلة بحسب العد الكوفي .

مع ملاحظة أن البون الشاسع في عدد الفواصل هو في عدد الآيات التي ورد فيها عدول حسب إحصاء هذه الدراسة، وهو ليس إحصاءً نهائيا بل هو إحصاء شخصي قام به الباحث بشكل فردي غير مسبوق وقد يحدث أن تقوم دراسات أخرى باستدراكات على هذا الإحصاء فتحذف منه أو تضيف إليه وهي استدراكات - إن وجدت - تقوي البحث وتؤصله .

والله أسأل أن يكون الجهد المبذول في هذا العمل في ميزان حسناتنا يوم القيامة، إن الله على كل شيء قدير، وهو بالإجابة جدير ، والحمد لله رب العالمين .

" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ " **النمل (١٩)**

الفصل الأول

العدول الصرفي

العدول في الصيغ في بعض فواصل القرآن

١- العدول إلى المصدر بدلًا من اسم الفاعل:

ورد العدول إلى صيغة المصدر في قوله سبحانه:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾{الفرقان(٧٧)}

نقل ابن خالويه عن أبي السمال أنه قرأ:لَزَام على وزن حَذَام، جعله مصدرًا معدولًا عن اللزمة كـــ فجار معدول عن الفجرة "[١]

قال الزجاج: قال أبو عبيدة:**﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾** أي فيصلًا [٢] قال وجاء في التفسير عن الجماعة أنه يعني به يوم بدر .

أما قراءة **﴿لَزَامًا﴾** أي فسوف يلزمكم تكذيبكم لَزَامًا وتلزمكم به العقوبة، ولا تُعْطَوْن التوبة ويدخل في هذا يوم بدر وغيره من أيام عذابهم .[٣]

واللِّزام : مصدر لازمَ ، واللَّزام بفتح اللام مصدر لَزِم ، كالْسلام بمعنى سلم ، قد قرئ بها جميعا ،فمن كسر أوقعه موقع ملازم،ومَنْ فتح أوقعه موقع لازم .

وقد جاء في القرآن الكريم في موضع آخر ليس فاصلة: **﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾** {طه (١٢٩)}

أي: لكان العذاب لازمًا في الدنيا ، لكن الله يؤخره إلى يوم القيامة .

قال الكسائي: تقول سببته سُبَّةً تكون لَزَامِ .

مثلُ قَطامِ: أي لازمةً ، وحكى ثعلبٌ : لأضربنك ضربة تكون لَزَامِ، كما يقول دَرَاكِ ونَظَارِ، أي:ضربةً يُذكَر بها فتكون له لِزامًا أي لازمة" [٤] ولعلنا لاحظنا من خلال دراسة سورة الفرقان أن هذه السورة قد غلبت عليها نغمة الفتحة على روي

---

(١)- ابن خالويه ٨٩

(٢)- مجاز القرآن جزء ٢ ص ٧٧

(٣)- البحر المحيط جزء ٦ ص ٥١٨

(٤)- لسان العرب مادة : ل ز م

فواصلها ، وقد تعاونت الفواصل فيما بينها على تحقيق هذا الإيقاع الجميل الذي يسعد الأذن المؤمنة برنته الجميلة .

وقد جاءت فاصله هذه الآية متساوقة مع هذه الرنة ذات النغمات العذبة .

لكن اللافت للنظر هو هذا العدول الذي تحدث عنه بعض العلماء حول "لَزَام" بدلًا من "لِزَام" والحقيقة أن كلتا الصيغتين قد حدث فيهما عدول فإذا كانت قراءة حفص وغيره على ﴿لِزَامًا﴾ بكسر اللام فهي صيغة معدولة عن اسم فاعل أي "لازمًا" وإذا كانت القراءة التي رويت عن أبي السمّال ﴿لَزَامًا﴾ بفتح اللام فهي أيضًا معدولة عن المصدر "اللزمة" كما قال ابن خالويه ، مثل فَجار معدولة عن الفجرة "

ونحن نلاحظ أن الصيغتين المعدول عنهما لا يناسبان الفاصلة التي بين أيدينا ؛ لأن أيًّا منهما لا تعطي الإيقاع الذي أعطته فاصلة ﴿لِزَامًا﴾ ذات الحركة السريعة والإيقاع الحازم.

ولنا أن نقارن بين " فسوف يكون لَزْمة" وبين ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ وبين "فسوف يكون لازمًا " وبين " فَسَوْفَ يَكُونُ لَزَامًا "

إن صيغة﴿ لِزَامًا﴾بكسر اللام " هي أمكن الصيغ في تحقيق النغمة المعادلة للمعاني التي حملتها هذه الآية والآيات المحيطة بها ، وهي كذلك أمكن الصيغ في تحقيق الإيقاع المتنامي المناسب لبقية الفواصل المحيطة بهذه الفاصلة .

٢ –العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فعيل :

ورد ذلك في قوله سبحانه في الآيات الآتية :

أ- ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ {يوسف (٨٤)}

ب- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ { النحل (٥٨)}

ج-﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ {الزخرف (١٧)}

د- وفي قوله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾{الإسراء(٨)}

قال أبو عبيدة عن مثل هذه الصيغ " إن ﴿كَظِيمٌ ﴾ في موضع كاظم ،خرج مخرج عليم وعالم " وكذلك ﴿حَصِيرًا﴾ أي حاصرًا" [1].

وقد تحدثنا عن صيغة "حصير" عند الحديث عن العدول إلى تذكير الصيغة أو العدول عن المؤنث إلى المذكر .

العدول من "كاظم" إلى ﴿كَظِيمٌ ﴾ في سورة يوسف

أما العدول من "كاظم" إلى ﴿كَظِيمٌ ﴾ في سورة يوسف ٨٤ فقد ورد في بعض التفاسير أن ﴿ كَظِيمٌ ﴾ بمعنى كاظم ، وورد في الآخرى أن ﴿كَظِيمٌ﴾ بمعني مكظوم قال القرطبي[2]: فهو ﴿كَظِيمٌ ﴾ أي : مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يَبُثُّه ، ومنه كَظْم الغيظ وهو إخفاؤه ، فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه ، ومنه قوله سبحانه : **﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾** " أي مملوء كربًا .

ثم قال القرطبي:" ويجوز أن يكون ﴿كَظِيمٌ ﴾ بمعنى "كاظم" ، وهو المشتمل على حزنه" [3]

وروي عن ابن عباس أن ﴿كَظِيمٌ ﴾ بمعنى مغموم ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

فإن أك كاظمًا لمصاب شاسٍ فإني اليوم منطلقٌ لساني[4]

وروي أن ﴿كَظِيمٌ ﴾ بمعنى مكروب ، أو كمد ، والكَمَد: الحزنُ المكتوم ، تقول منه: كَمِد الرجل فهو كَمِدٌ وكَمِيدٌ أي : حزين ولا يشكو حزنه ، قال الشاعر :

فخصصت قومي واحتسبت قتالهم والقوم من خوف المنايا كُظَّمُ[5]

ومما يلفت النظر حول العدول في هذه اللفظة أن القرآن الكريم قد استخدم من مادة "ك .ظ. م"

صيغة المبالغة ﴿كَظِيمٌ ﴾ ، واسم الفاعل "كاظم" ورد ذلك في النسيج الداخلي للآيات وفي فواصلها ، ومن ذلك قوله تعالى﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**

---

(1)- دراسات لأسلوب القرآن قسم ٣ جزء ٤ ص ١٢٠ ومجاز القرآن لأبي عبيدة جزء ١ ص ٢٩٣

(2)- القرطبي ٢٤٩/٩

(3)- تفسير القرطبي ح ٢٤٩/٩

(٢)- اللسان :- كظم

(٣) - لسان العرب : مادة كظم

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾آل عمران (١٣٤) وجاءت صيغة كاظم في سورة غافر (آية ١٨) في قوله سبحانه﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾ وجاءت صيغة﴿ **مَكْظُومٌ** ﴾ في قوله سبحانه في (سورة القلم(٤٨)) ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**﴾ إذن فالصيغ الثلاث قد جاءت في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، حيث جاءت (**كظيم ، ومكظوم ، وكاظمين**)

فهل نقول بناء على ذلك إن كل صيغة جاءت على حقيقتها، وليست معدولة عن صيغة أخرى؟ الحقيقة أن الله وحده – سبحانه – هو الأعلم بحقيقة مراده ، ونحن مخلوقاته تسعى جاهدة لتفسير أشبه بمراد الله حسب قدرات الطبيعة البشرية القاصرة ، ولأن الله سبحانه قد أمر مخلوقاته بالتفكر والتدبر ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا(٢٤**)﴾

فقد بذل علماؤنا أقصى ما يملكون من طاقات المعرفة في محاولة فهم لمعرفة أسرار كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد " فإذا أعدنا قراءة آيات سورة يوسف عليه السلام لوجدنا أن صيغة ﴿كَظِيمٌ ﴾ في الآية تنقل المعنى أبلغ نقل، وتصور حالة نبي الله يعقوب أدق تصوير ، فقد كظم غيظه أكثر من مرة وهو في هذه المرة قد وصل إلى أقصى درجات الحزن المكمود المكبوت الذي أدى إلى بياض عينيه ولذلك عدل النص القرآني البديع الإيقاع إلى هذه اللفظة التي تصور حالة هذا الأب الذي يعاني من قسوة قلوب أبنائه على أخيهم يوسف أولًا ثم على أخيهم الآخر – بنيامين ثانيًا[١].

إنه يكظم حزنه وغيظه وهمه في حرقة – وفي حسرة إنه كاظمٌ لهذا كله مرات ومرات .إذن فالعدل هنا كان حتميًا لنقل هذه الصورة التي كان عليها هذا الأب المهموم ، المكمود ... وليس مهمًا أن يكون العدول في صيغة ﴿كَظِيمٌ ﴾ هو عن صيغة كاظم أو مكظوم ، فالأمران سيان ، وإن كانت صيغة اسم الفاعل كاظم أقرب إلى الصيغة المعدول عنها منها إلى صيغة اسم المفعول ﴿مَكْظُوم﴾ .

(١) – في ظلال القرآن ، سيد قطب ، المجلد الرابع جزء ١٢- ١٨ ص٢٠٢٤

والأمر نفسه مع آية سورة " النحل ٥٨ " ، وآية سورة " الزخرف ١٧" ، فالآية تصور حالة هؤلاء المشركين الذين بلغت بهم القسوة مبلغًا حيث لا رحمة في قلوبهم ولا شفقة حتى على أبنائهم من أصلابهم وفلذة أكبادهم ، فهم في هم وحزن وكمد بسب كثرة ما يسمعون من تهكم الآخرين عليهم وتعييرهم بما لحق بهم بسبب تبكيرهم بالأنثى إنه العارُ الذي ليس بعده عار ، إنها الهموم التي لا تساويها هموم ، إنها هَمٌّ في صغرها وشبابها وكبرها !!

هكذا كان كثير من العرب يشعر تجاه رزقه بمولودة أنثى ، وكأنها نكبة ، لا يخلصه منها إلا وأدها فلا بد من أن يوصف بأنه ﴿كَظِيمٌ ﴾ بهذه الصيغة المعبرة عن كل ما مضى ذكره وعما هو أكبر منه وأشد إيلاما ولا تصلح هنا أي صيغة أخرى لتصوير هذه الحالة ؛ من أجل ذلك عدل القرآن إلى هذه الصيغة ﴿كَظِيمٌ ﴾ لنقل هذه المشاعر والأحاسيس ولكي يظل للفاصلة وقعها وتأثيرها ، الذي يصل إلى القلوب والعقول بعدما يؤثر في الأسماع الواعية .

ولقد كان تعليق أبي عبيدة الماضي في مجاز القرآن على اختيار صيغة ﴿كَظِيمٌ ﴾ لدلالتها بقوله : ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ " أي : يكظم شدة حزنه ووجده ، ولا يظهره وهو في موضع "كاظم" خرج مخرج عليم وعالم "[1] يدل على فهم واع للعدول في فاصلة هذه الآيات ، وهو عدول قد قامت هذه الدراسة بدراسته مفرقًا ومجمعًا .

<u>٣- العدول إلى صيغة فُعَل بدلا من صيغة فاعل ورد ذلك :</u>

أ - في سورة " طه (١٢)" في قوله سبحانه: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

ب- وفي سورة " النازعات ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)﴾. تحدث **الشيخ عضيمة** "رحمه الله" عن صيغة "فُعَل" المعدول إليها تحت عنوان: " **فعل المعدول** "

تحدث فيه عن أثر العدول في هذه الصيغة على الصرف والمنع من الصرف ، ثم ذكر نص كلام **سيبويه** في ذلك بقوله : قال **سيبويه** : باب فُعَل : اعلم أنّ كل فعل

---

(١) - مجاز القرآن جزء ١ ص٢٦١

كان اسمًا معروفًا في الكلام أو صفة فهو مصروف ، فالأسماء نحو صُرَد وجُعَل ونُقَب، وحُفَر ، إذا أردت جماع الحفرة والنقبة[1] .

أما الصفات فنحو قولك هذا رجل حُطَم ، فإنما صرفت ما ذكرت لك ؛ لأنه ليس باسم يشبه الفعل الذي في أوله زيادة، وليس في آخره زيادة تأنيث وليس بفعل لا نظير له في الأسماء ، فصار ما كان منه اسمًا ولم يكن جمعًا بمنزلة حُجَر، ونحوه ، وصار ما كان منه بمنزلة كُسَر وإبر ، وأما ما كان صفة فصار بمنزله قولك: هذا رجل عُمَل، إذا أردت معنى كثير العمل "

ثم قال **الشيخ عضيمة – رحمه الله** – وأما عمر وزفر فإنما منعهم من صرفهما وأشباههما أنهما ليس كشيء مما ذكرنا ، وإنما هما محدودان عن البناء الذي هو أولى بهما ، وهو بناؤهما ، في الأصل ، فلما خالفا بناءهما في الأصل تركوا صرفهما ، وذلك نحو عامر وزافر ولا يجيء عمر وأشباهه محدودًا عن البناء الذي هو أولى به إلا وذلك البناء معرفة ، كذلك جرى في هذا الكلام، فإن قلت : عمر آخر صرفته لأنه نكرة" [2]

وزُحَل معدول في حالة إذا أردت اسم الكوكب فلا يصرف ، وسألته عن **جُمَع وكُتَع**، فقال : هما معرفة بمنزلة كلهم ، وهما معدولتان عن جمع جمعاء وجمع كتعاء ، وهما متصرفان في النكرة ، وسألته – أي سألت **الخليل**- عن صغر من قوله : الصغرى فقال : أصرف هذا في المعرفة لأنه بمنزلة ثقبة ، وثُقَب" [3] .

كل ذلك عن العدل المانع من الصرف في مثل هذه الكلمات ، والذي يعنينا حول هذا الكلام كله هو أن هذه الكلمات **طوًى** معدولة عن طاوٍ فأما ما كان منه نكرة ويعرَّف بالألف واللام فهو مصروف واحدًا كان أم جمعا " كما قال المبرد :

وأما ما كان منه لم يقع إلا معرفة نحو عمر وقثم ولكع فإنه غير مصروف في المعرفة لأنه الذي عدل فيه ألا ترى أنك لا تقول هذا القثم ، ولا هذا العمر" [4] .

---

(١) – الكتاب ٢/١٣– ١٤ نقلا عن دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث جزء ٤ ص ٢٤٦

(٢) – الكتاب ٢/١٣– ١٤ نقلا عن دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث جزء ٤ ص ٢٤٦

(٣) – السابقان الجزء والصفحة .

(٤)– المقتضب جزء ٣ ص ٣٢٣

ويعلق الرضي على ذلك القول بقوله : ويعني بالعدل المحقق ما يتحقق حاله بدليل يدل عليه غير كون الاسم غير منصرف ، بحيث لو وجدناه أيضًا منصرفًا لكان هناك طريق إلى معرفة كونه معدولًا بخلاف العدل المقدر فإنه الذي يصار إليه لضرورة وجدان الاسم غير منصرف ، وتعذر سبب آخر غير العدل" [1]. هذا أمر ، ومما يؤيد ما قلناه عن عدل الصيغة في طوًى حوَّلها من طاوٍ إلى طوًى ، ما نقله **الشيخ عضيمة** عن **أبي عبيد وابن قتيبة** : قال : وقد قيل إن طوًى معدول عن طاوٍ ، **كعمر عن عامر**، والقراءتان حسنتان ، غير أني أوثر ترك الصرف؛ لأن الحرميين ، وأبا عمر عليه" [2] واختار أبو عبيد التنوين ، واختار ابن قتيبة ترك التنوين وعند مكي بن أبي طالب أن طوى لو قيل فيها بالمنع من الصرف بسبب العلمية والعدل فهذا يتطلب منا معرفة المعدول عنه ، وهو غير معروف لدينا !!"

قال مكي : وحجة من نونه جعله اسمًا للوادي فأبدله منه ، فصرفه في المعرفة ، والنكرة ؛ لأنه سمى مذكرًا بمذكر ، وحجة مَنْ لم ينونه أنه جعله اسما للبقعة والأرض، فيكون قد سُمي مؤنث بمذكر ، فلا ينصرف في المعرفة ، لانتقاله من الخفة إلى الثقل والتعريف وقد يجوز أن يكون معدولًا كـ عمر ، وإن كان لا يعرف عن أي شيء عُدل،كما أنّ كتع وجمع معدولان، ولم يستعمل ما عدلا عنه "[3].

ومهما يكن من أمر فقد عدلت فاصلة هاتين الآيتين عن طاوٍ إلى طوى وهي صيغة تتماشى مع فواصل الآيات المحيطة بها ، هذا أمر وأمر آخر لا يمكن إهماله في لفظة طوى هو أن هذه اللفظة فيها قراءات ، ففيها – كما قلنا – تنوين طوًى ، وفيها عدم التنوين ، وفيها ضم الطاء وفيها كسر الطاء ، والذي يناسب العدل هنا هو ضم الطاء وعدم التنوين في الوقف على طوًى لمشاكلة رؤوس الآيات" [4] . وكذلك

(١) الرضي جزء ١ ص ٣٦ ، والمقتضب جزء ٣ ص٣٢٣

(٢) دراسات القسم الثالث جزء ٤ ص ٢٤٦

(٣) الكشف عن وجوه القراءات للمكي جزء ٣ ص ٩١ ومعاني القرآن للفراء جزء ٢ ص ١٧٥ – ١٧٦

(٤) – البحر الجزء ٦ / ص ٢٥٣ ، وغيث النفع ص ١٦٦

"سوى"[١] ورد فيها ضم السين وكسرها ، والتنوين وعدمه ، وقراءة ضم السين بلا تنوين إجراءً للوصل مجرى الوقف أو العدل هي القراءة المناسبة لرؤوس الآيات وفواصلها .

وهذا يعني أن القراءات القرآنية لها دور في العدول في فواصل القرآن لا يستهان به ويجب التنبيه إليه فإذا عدنا إلى قراءة سورة " طه ١٩ " لرأينا أن عدد آيات سورة طه هو ١٣٥ آية هو{ مائة وخمس وثلاثون آية } النسبة الغالبة لحرف الروي هي الألف أو الفتحة حيث بلغ ما جاء على ذلك حوالي ١٠٧ { مائة وسبع آيات } من المجموع الكلي البالغ ١٣٥ { مائة وخمس وثلاثون آية } إذن فالنسبة الغالبة هي حركة الفتح سواء كانت على حرف صحيح أو كان الفتح بسبب وجود الألف في حرف الروي.

وعلى هذا كانت موسيقى سورة طه ذات إيقاع خاص يتطلب هذا العدول من طاوٍ إلى طوًى يقول الشيخ سيد قطب: إن الإيقاع الموسيقي للسورة كلها يستطرد في مثل هذا الجو من مطلعها إلى ختامها رخيًا شجيًا نديًا بذلك المد الذاهب مع الألف المقصورة في القافية"[٢] كلها تقريبًا فقد بدئت هذه السورة وختمت بخطاب للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لبيان وظيفته وحدود تكاليفه وذلك كله ليس شقاء له وليس عنتًا أو عذابا إنها الدعوة والتذكرة .

وبين المطلع والختام تعرض قصة موسى عليه السلام من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر ، مفصلة مطولة ... ثم تعرض السورة قصة آدم سريعة قصيرة تتجلى فيها رحمة الله الرحيم وتحيط بالقصة مشاهد القيامة ومصير أهل الإيمان ومصير أهل الكفر، ومن بداية السورة إلى نهايتها يسير الإيقاع الموسيقي للآيات سواء ما في داخل الآيات أو ما في فاصلتها يسير مناسبًا لموضوعات مقاطعها والمعاني التي تمثلتْ فيها والظلال التي توحي بها" [٣].

---

(١)- من قوله سبحانه : " فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) " طه – ٥٨

(٢)- يقصد بالقافية : الروي وهو آخر حرف في كلمة الفاصلة .

(٣)- ظلال القرآن : سورة طه .

وإذا كانت سورة طه قد غلب عليها قانون التوازن والتساوي والتوازي والتغير فإن هذه القوانين لا خلاف فيما بينها لأن التساوي والتوازي والتوازن كلها قوانين إيقاعية موسيقية تنحو إلى شيء من النظام أما قانون التغير فهو يصف الإيقاع العام المسموع في هذه السورة .

ولقد كان العدول من طاوٍ إلى طوى أمرًا حتميًا ليتحقق به الإيقاع المرجو من تتابع فواصل المد في هذا المقطع الذي وردت فيه هذه الآية ، وكذلك لفظة سوى في الآية ٥٨ من السورة ذاتها .

ولنا أن نقارن بين نطق الآية بفاصلة " طاوٍ " وبخاصة عند الوقف عليها ، ونطق الآية باللفظة المعدول إليها " طوى " بالوقف عليها أيضًا ، فسوف نتمسك بالنطق المعدول إليه "طوى" للوهلة الأولى وهو انسجام إيقاع هذه اللفظة في الفاصلة مع بقية الفواصل المحيطة في ذات المقطع ولعدم انسجام " طاوْ " فاصلة لهذه الآية في محيطها مع آيات ذات المقطع ، مما يثير نفورًا وعدم ارتياح ، والشيء نفسه في استخدام لفظة " سوى " بدلًا من مستوٍ أو غيرها".

فإذا عدنا إلى سورة النازعات وجدناها محتوية على " ٤٦ آية " وقد جاء حرف الفاصلة فيها مفتوحًا باستثناء ثماني آيات من الآية ٦-١٤ حيث جاءت كلها منتهية بتاء مربوطة تتحول إلى هاء في الوقف ، للخروج من تعدد وتغير حركة الفاصلة من الضم أو الكسر أو الفتح وهذا أمر متعارف عليه في جميع فواصل القرآن ، وفي غير الفواصل ، حيث يؤدي الوقف إلى ذهاب الحركة والاستعاضة عنها بالسكون ، إلى جانب تحول التاء المربوطة إلى هاء وتحول التنوين بالنصب إلى ألف ... إلخ

ويلاحظ أن العدول في الآية ١٦ ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ قد حقق للآيات في ذلك المقطع النغم الإيقاعي المرجو ، فبدون هذا العدول كنا سنفقد هذا الإيقاع حيث ستصبح الآية " إذ ناداه ربه بالواد المقدس طاو " وهو إيقاع مكسور وبه نفور ، ولذلك فهو غير مقبول .

<u>٤- العدول من صيغة فاعل إلى فُعَلَة : في سورة الهُمَزة</u>

ورد ذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ الهمزة (١)

قال الرضي: " التاء التي تدخل لتوكيد الصفة قد تدخل كثيرًا على فُعَل مفتوح العين ، بمعنى الفاعل وعلى فُعْل ساكنها بمعنى مفعول نحو : سُبَبَة ، وسبْة ، ولُعَنَة ، وهي في هذين الوزنين لازمة " [1]

ولعل بداية سورة الهمزة هي حجر الزاوية في كل فواصل السورة حتى إن هذه السورة تعد من السور المكية ذات الروي الواحد "تاء " مربوطة من أول فاصلة إلى آخر فاصلة .

فكيف تبدأ السورة بفاصلة على وزن فاعل أو مفعول " ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ " ثم تجيء بقية فواصلها بتاء أو بهاء ؟ إن إيقاع الفواصل ما كان سينسجم انسجامه مع العدول إلى صيغة ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ للتأثير على أذن السامعين بهذه الصيغة ذات الوقع العنيف لكل من يتصف بهذه الصفة ، فكان لا بد من العدول إلى صيغة فُعلة للدلالة على المبالغة . ولكن الأمر كان سيختلف تمامًا لو أننا سمعنا النص يقول " وَيْلٌ لِّكُلِّ هامز لامز" فربما أحسسنا بأن العذاب والويل سوف يكون لأي شخص يهمز ولو مرة واحدة في حياته ، أما العدول إلى صيغة فُعَلة ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ فقد علمنا منه أن الويل سوف يكون لهؤلاء الذين كانوا في عهد النبوة من فئة الوليد بن المغيرة وغيره ومَنْ سيتصف بمثل هذه الأخلاق إلى يوم القيامة ، الذين لا هم لهم إلا همز الناس ولمزهم ؛ سخرية واستهزاء وأذى في السر والعلن . وتعد سورة الهمزة التي تكونت من تسع آيات من ذات الفواصل الموحدة فقد انتهت آياتها التسع ، بحرف واحد هو الهاء أو التاء المربوطة التي تتحول إلى هاء عند الوقف . إن هذه السورة تعكس وتبرز صورة من الصور الواقعية في حياة الدعوة في عهدها الأول وهو نموذج يتكرر في كل بيئة ، وفي كل زمان ومكان، إنها تبرز ، وتصوِّر حال هذا اللئيم الصغير النفس ، الذي يُؤْتَى المال فتسيطر نفسه به ، حتى ما يطيق نفسه !!

ويروح يشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة ، تلكم القيمة التي تَهُون أمامها جميع القيم والأقدار، أقدار الناس، وأقدار المعاني، وأقدار الحقائق"[2] .

---

(1)- سورة الهمزة آية (1) .

(2)- في ظلال القرآن جـ 30/ 3972 .

كما يروح هذا الإنسان الوضيع ذو الخلق الدني يحسب أن هذا المال قادر على كل شيء لا يعجز عن فعل شيء حتى دفع الموت وتخليد الحياة ثم تنطلق في كيان هذا الإنسان نفخة فاجرة كاذبة تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكرامتهم فنراه يهمزهم ويلمزهم يسخر منهم ويعيبهم بلسانه ، وبحركاته " [1] .

تصور الآيات مشهدين متناقضين متقابلين فهذا الإنسان الذي مضت صفاته الموصوفة بالمبالغة في هذه الصفحة القبيحة لكثرة تكرارها منه تجاه الآخرين ، هذا الإنسان سوف يكون له جزاء مبالغ فيه على سبيل الحقيقة لا التهديد ، إن مصيَرهُ سوف يكون بالنبذ – الإلقاء المهين – في الحُطمَة **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ *نَارُ اللَّه الْمُوقَدَةُ ﴾** " إذنْ فالتأنيث الدال على المبالغة في **﴿هُمَزَة لُمَزَة ﴾** جاء في أول فاصلة ، فتماشت معه بقية فواصل السورة ، ليس على سبيل الحلية اللفظية وإنما على سبيل البناء الشامخ الذي تمثل كل فاصلة فيه عمودًا أساسيًا لا يمكن تبديله ، لذلك عدل النظم القرآني من استخدام " ويل لكل هامز لامز " إلى " **﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَة لُّمَزَة﴾** لكل ما سلف ذكره ، ولحكمة أوْ حِكم أخرى يعلمها رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن .

٥- <u>العدول إلى وزن فاعل بدلًا من مفعول :</u>

ورد ذلك في قوله تعالى: -

أ- **﴿ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ﴾** الطارق (٦)"

ب- **﴿ فَهُوَ فِي عِيشَة رَّاضِيَة﴾** " القارعة(٧)"

لقد لاحظ المنشغلون بتفسير النص القرآني والمنشغلون بإعرابه أو بيان معانيه أنّ لفظتي " دافق " و " راضية " كل منهما جاءت على وزن " فاعل " لكنَّ دلالة كل منهما في سياقها تقضي بأن تكون على وزن " مفعول " أي "مد فوق "و" مرضيّ" "مرضية" وهذا يعني أنّ هاتين اللفظتين قد حدث فيهما عدول إلى الصيغة من وزن مفعول إلى وزن فاعل .

والسؤال الذي يفرض نفسه – عادة – هو لماذا تم هذا العدول ؟ أو ما السر وراء ذلك العدول ؟

---

(١)- السابق الجزء والصفحة .

قال الفراء[1] وقوله عز وجل ﴿ **خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ** ﴾ قد قيل إن أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم ، أن يجعلوا المفعول فاعلًا ، إذا كان في مذهب نعت ، كقول العرب:هذا سر كاتم، وهمٌّ ناصب ، وليل نائم ، وعيشة راضية ، أعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هي مَعَهُنَّ ".

وقد استطاع الفراء – من خلال نصه السابق – أن يضع أيدينا على سر هذا العدول في هذه الصيغة عند العرب، فجعله في سببين :

الأول : أن أهل الحجاز هم أكثر العرب ميلًا إلى استعمال المفعول بلفظ الفاعل،وبخاصة إذا كان نعتًا، ومما جرى على لسانهم في ذلك قولهم: هذا سرٌّ كاتم أي مكتوم،وهَمٌّ ناصب أي: منصوب، وليل نائم أي منوم فيه،و﴿**عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾ أي مرضيّ عنها ...

الثاني : أن هذا العدول قد أعان على حدوثه أمر مهم لا تقل أهميته عن الأمر الأول الخاص بدلالة الآيات ، وذلك الأمر هو مراعاة رؤوس الآيات التي هي معهن ؛ لأن قوانين الإيقاع الموسيقي تشير إلى أن هذه السورة قد اشتملت على قانون "التغير" الذي قسّمها إلى أكثر من مقطع جاءت فاصلة هذه الآية في المقطع الثاني من حيث حرف الروي لكن هذه الفاصلة قد شاركت فواصل السورة التالية لها والسابقة عليها في ردف الألف وهو ردف قليل الورود في السور القرآنية لكنه عندما يرد يحقق كل ما يراد منه تحقيقه من إحداث هذا النغم الموسيقي الجميل .

" ويخلص هذا المقطع إلى لمسة تؤكد حقيقة التدبير والتقدير التي أقسم الله عليها "بالسماء والطارق" في أول السورة : فلينظر الإنسان من أي شيء خلق ، وإلى أي شيء صار، إنه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب خلق من هذا الماء الذي يجتمع من صلب الرجل وهو عظام ظهره الفقارية ، ومن ترائب المرأة وهي عظام صدرها العلوية ... ولقد كان هذا سرًا مكنونًا في علم الله لا يعلمه البشر حتى كان نصف القرن العشرين حيث اطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة ... والمسافة

---

(1) الفراء جـ ٣/٢٥٥

الهائلة بين المنشأ والمصير[1] تصورها هذه الموسيقى ، وتعبر عنها هذه النغمات المنبعثة من مد الألف الذي جاء في ردف هذه الفواصل المتتابعة ... إننا أمام مشهد كوني معجز يتعلق بهذا الإنسان العجيب والمملوء بالعجائب في بدايته الأولى ، ومرورًا بمراحل شبابه وقوته وانتهاء بشيخوخته وفنائه ... ثم بعد ذلك هو خصيم مبين . أما العدول إلى صيغة " راضية " بدلًا من صيغة "مرضية" هنا ، فقد لمسناه أيضًا في حديث الفراء حول العدول في صيغة "دافق"

وذلك عندما أشار إلى أن أهل الحجاز يميلون إلى مثل هذا الاستخدام في كلامهم وأكد أبو حيان هذه الحقيقة بقراءة زيد بن علي لآية سورة الطارق : " من ماء مدفوق " ووجدنا القرطبي[2] يشير إلى ذلك في قوله: " ومعنى عيشة راضية أي : عيش مرضيّ يرضاه صاحبه " الذي قد جعل حياته في الدنيا معبرًا للآخرة الباقية فكان حريصًا على تثقيل ميزانه بكثرة الطاعات ، والبعد عن أهل المعاصي وقد تعاونت الدلالة السياقية للآيات مع هذه الفواصل ذات النهاية الهائية على إبراز مقصد الله سبحانه من نزول هذه السورة على سمع محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغها للناس أجمعين .

إن مشهد السورة في بدايتها هو مشهد هذه القارعة إنه مشهد هول تتناول آثاره الناس والجبال فيبدو الناس في ظله صغارًا ضئالًا على كثرتهم فهم ﴿ **كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)** ﴾ مستطارون مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك ... وتبدو الجبال التي كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح وتعبث به ، حتى الأنسام لها عليه تأثير.

هذا هو المشهد المخيف يعقبه مشهد العبرة والاعتبار بالنتيجة الحتمية لكل سلوك إنساني"﴿ **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)** ﴾

نعم هي عيشة راضية ، مرضي عنها من قبل أهل الطاعات لأنهم وجدوا أكثر مما يتوقعون من الجزاء ، إنه نعيم مقيم ، لا تقوى الكلمات على تصويره وفي الجهة

---

(١)- ظلال القرآن مجلد ٦ ص ٣٨٧٨ .

(٢) القرطبي حـ٢٠ /١٦٦

الأخرى مَنْ خفت موازينه الذين ركنوا إلى الدعة في الدنيا وركنوا إلى المعاصي وللزخرف الزائل فأمه هاوية " يجْمع لهم بين ما يتوقع من حنان الأم وقسوة النار !! إنها مفاجأة تعبيرية تمثل الحقيقة القاسية"(١)

ولقد تعاونت فواصل سورة القارعة على إبراز هذه النغمات الموسيقية المواكبة لدلالات هذه الآيات ، فقد استخدمت فواصل هذه السورة وزن " فاعل" و" فاعلة " ثم آثرت أن يكون ردف روي فواصلها هو ألف المد في معظم الفواصل بالإضافة إلى مد الواو في " المبثوث – المنفوش " كل ذلك لتحقيق الموسيقى العالية المسموعة في هذه السورة وفي فواصلها.

فإذا أضفنا إلى ذلك عدول السورة في فواصلها إلى استخدام " هاء السكت " لتحقيق هذا النغم القوي العنيف على آذان الكفار ، الرقيق الجميل على آذان المؤمنين – أقول إذا أضفنا هذا إلى ما سبق لعلمنا أن العدول في هذه السورة كان متعدد الأبعاد متعدد الأهداف .

٦–**العدول في الصيغة من صيغة مفعول إلى صيغة فعيل :**

جاء ذلك في الفواصل الآتية :

أ– في قوله سبحانه ﴿ **فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ** ﴾ " هود ٦٩/١١ "

ب– في قوله سبحانه ﴿ **وحفظناها من كل شيطان رجيم**﴾" الذاريات ١٧/١٥"

ج– ﴿ **فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ** ﴾ " الذاريات ٢٩/٥١ "

د– ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾ " المدثر ٣٨/٧٤ "

قلنا إن العدول في الصيغ أمر مألوف في اللغة العربية وهو كذلك في كثير من اللغات الحية ، وقد جاءت فواصل الآيات السابقة في سورها معدولة عن صيغة أخرى، إذ جاءت لفظة " **حَنِيذٍ** " وهي على وزن فعيل معدولة عن محنوذ الذي على وزن "مفعول" .

وكذلك لفظة "عقيم" عدل بها عن "معقوم" وكذلك لفظ "رهينة" عدل بها عن"رهين"، و"رهين" عدل بها عن "مرهون".

(١)– الظلال حـــ ٢٠ / ٣٩٦٠ .

وقد قلنا عند الدراسة الإحصائية لسورة "هود" إن هذه السورة تعد من السور ذات المقاطع المتغيرة الرويّ وأنّ القانون الإيقاعي الذي ساد في هذه السورة هو قانون التغير في روي الفواصل لكن السورة استعاضت عن التغير في روي الفواصل بقانون إيقاعي آخر هو قانون النظام في الردف – في حرف المد السابق للروي – حيث التزمت الفواصل بردفين اثنين كانت تراوح بينهما .

والناظر في المساحة التي وردت فيها آية ﴿ **فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ** ﴾ يرى أن هذه الآية قد سبقت بآيتين جاء ردفهما ياء ثم جاءت الآية التالية لهما بردف الواو" لوط " ثم جاءت آية ٦٩ بردف يائي "حنيذ" ثم جاءت بعدها مباشرة آية ٧٠ بردف واوي "قوم لوط" ، وكذلك جاءت بعدها فاصلة ٧١ بردف واوي " يعقوب " وتستمر الآيات تراوح بين ردف الواو وردف الياء حتى إن القارئ أو السامع لهذا النص لا يشعر أن ثمة تغييرًا منفرًا ، بل إنه تغيير محبب مقبول مطلوب ، تمليه إيقاعات الألفاظ وإيقاعات الحروف أيضًا الواردة في ثنايا كل آية فليس من قبيل الصدفة الاعتباطية أن يجيء ردف الياء في فاصلة الآية التي تكرر فيها حرف الياء في ثنايا الآية مرات عديدة حيث جاءت كلمات عديدة محتوية على حرف الياء في الآية التي جاء ردف فاصلتها ياء ، ويكون حرف الياء هو الأكثر دورانًا في كلمات الآية من حرف الواو فإذا جاء الردف واوًا تكررت الواو كثيرًا في ثنايا الآية أكثر من الياء بحيث ترد الكلمات المحتوية على الواو أكثر من الكلمات المحتوية على حرف الياء .

فالآية ٦٦ " ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦)** ﴾" ٦٦ سورة ....

فالكلمات جاء – نجينا – الذين – خزي يومئذ – القوي – العزيز كلها كلمات قد احتوت على حرف الياء إما ظاهرًا وإما باعتبار أصل الكلمة وهكذا .

وكذلك الآية ٦٧ وكذلك الآية ٦٩

أما الآية ٦٨ فقد جاء ردفها على حرف الواو ، واحتوت كلماتها على حرف الواو وأكثر من حرف الياء، نلاحظ ذلك عند قراءة الآية ﴿ **كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨)** ﴾ .

حيث جاءت كلمات " يغنوا " " ثمود – كفروا – لثمود".

وبرغم أن ورود قرينة في داخل الآية يعد مؤشرًا لخاتمتها ، وورود عناصر الآية ينبئ عن إيقاع فاصلتها الواوي الردف ، برغم كل هذا إلا أن الآيات قد ظلت على هذه المراوحة بين ردف الواو وردف الياء حتى كأننا على موعد مع كل كلمة في صلب الآية وفي فاصلتها وكأننا على موعد مع كل حرف في صلب الآية وفي فاصلتها وفي ردفها.

وقد تحدث علماؤنا – الأقدمون – عن التبادل أو العدول بين صيغة فعيل ومفعول بشكل عام ، وتحدثوا عنه بشكل خاص بكل لفظة في مكان ورودها في بعض المواضع:

قال سيبويه : " وأما فعيل إذا كان في معنى مفعول فهو في المذكر والمؤنث سواء وهو بمنزلة مفعول ولا تجمعه بالواو والنون كما لا تجمع فعول لأن قصته كقصته ، وإذا كسرته فعلى " فعلى " وذلك مثل قتيل وقتلى ، وجريح وجرحى ، وعقير وعقرى ، ولديغ ولدغى " [1]

لكن صاحب التسهيل قال : " وصوغ فعيل بمعنى مفعول مع كثرته غير مقيس "لكن الفراء كان قد قال : وامرأة قتيل وكف خضيب ، طرحوا الهاء من هذا لأنه مصروف عن جهته، وكان ينبغي أن يقول "كف مخضوبة" ، و"امرأة مقتولة" ، فصرف إلى فعيل وطرحت منه الهاء ليكون فرقًا بين ما هو مفعول به ، وبين حالة الفعل ، ألا ترى أن قولك كف خضيب معناه : خضبت ، وامرأة كريمة أي : كرمت[2].

وجاء في التسهيل أيضا: " أو فعيل بمعنى مفعول ، إلا أن يحذف موصوف فعيل فتلحقه الهاء — لشبهه بفعيل بمعنى فاعل ، فقد يحمل أحدهما على الآخر في اللحان وعدمه....."[3].

كل ذلك يؤيد ما قلناه من أن سياق الفاصلة قد مهد لورودها في مثل هذه المواضع السابقة ، وهكذا كل فاصلة سنمر عليها في هذه الدراسة فإما أن يكون التمهيد

---

(١) – الكتاب جـ ٢ / ٢١٣ .
(٢)– المذكر والمؤنث للفراء ٦٠ .
(٣)– التسهيل ٢٥ .

لهذه الفاصلة صوتيًا إيقاعيًا ممزوجًا بتمهيد سياقي تحمله معاني الألفاظ الواردة في الآيات وفي الجمل الكبرى والصغرى داخل نسيج هذه الآيات وإما أن يكون التمهيد لهذه الفاصلة دلاليًا سياقيًا أولًا ثم صوتيًا إيقاعيًا .

ثانيًا : وهكذا في كل آيات الكتاب العزيز.

وأما العدول من صيغة مفعول إلى صيغة فعيل

في قوله سبحانه ﴿ **وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ** ﴾" " الحجر (١٧) "

فقد جاء في مجاز القرآن[1]: " أي مرجوم بالنجوم خرج مخرج قتيل في موضع مقتول"[2] أي أنّ العدول في الصيغة هنا قد تم للتنبيه إلى أنّ "فعيل" هو بمعنى مفعول، وأن كلا الصيغتين قد تؤدي نفس المعنى .

لكن اللغة العربية قد وضعت لمتكلميها بدائل كثيرة في ألفاظها يهجع إليه النص عند قصد تحقيق مقاصد مهمة ، وقد وجد النص القرآني المعجز في لفظة " رجيم " وصفًا للشيطان وقعًا أقوى من لفظة "مرجوم" حتى إن هذه اللفظة – قد أصبحت بعد تخصيص القرآن لها وصفًا للشيطان لم تعد تصلح أن يوصف بها غير الشيطان ، بخلاف لفظة مرجوم .

ومن العدول عن صيغة مفعول إلى صيغة فعيل :

ما ورد في سورة "الشورى(٢٨)" ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾.

قال القرطبي[3]: وهو الولي : الذي ينصر أولياءه ، والحميد المحمود بكل لسان " فالعدول إلى صيغة فعيل بدلًا من صيغة فاعل في هذين الموضعين من فاصلتي هاتين الآيتين عدول صوتي إيقاعي ، قد تم التمهيد له من نسيج الآية والآيات المحيطة . وسوف يأتي حديث مفصل عن سورة الشورى وعن فواصلها في موضوع المذكر والمؤنث من هذه الدراسة.

---

(1) جـ ٣٤٨/١

(2) دراسات قسم ٣ حـ ٢٧٠/٤

(3) حـ ٢٩/١٦

قال محمد بن المكرّم : " هذه اللفظة [يقصد لفظة الحميد] في الأصول فعيل بمعنى مفعول، ولفظة مفعول في هذا المكان ينبو عنها طبع الإيمان ، فعدلت عنها وقلت "حميد" بمعنى "محمود" وإن كان المعنى واحدًا ، لكن التفاصح في التفعيل هنا لا يطابق محض التنزيه والتقديس لله عز وجل "

والحمد والشكر متقاربان ، والحمد أعم منه ، والحمد رأس الشكر ، كما أن كلمة الإخلاص رأس الإيمان ويقال : " أتينا فلانا فأحمدناه وأذممناه أي : وجدناه محمودًا أو مذمومًا، ويقال : أتيت موضع كذا فأحمدته أي : وجدته محمودًا أو صادفته محمودًا "(١)
وهذا كله يفيد أمورًا مهمة :

أن النص القرآني عدلت فواصله إلى اللغة الفصيحة .

أن النص القرآني عدلت فواصله إلى الاستعمال الأبلغ في الدلالة على القصد .

أن النص القرآني قد عدل إلى اختيار الفاصلة التي لا يدخلها احتمال النقص في نقل المعنى .

" ذلك لأن صيغة حميد لا يدخلها النقص أو احتمال النقص ، بخلاف صيغة " محمود " التي يمكن أن يوصف بها من يحتمل فيهم عدم الكمال ، أو يمكن أن يتسرب إلى وصفهم بهذه الصفة عدم اكتمالها فيهم أو يكونون غير ذلك فيوصفون بها ".

نلحظ ذلك في قولهم أتينا فلانًا فأحمدناه وأذممناه أي وجدناه محمودًا ومذمومًا.

لقد تحدثنا عن سورة هود عند الحديث عن العدول إلى التذكير في قوله تعالى : **﴿ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ سورة هود** (٨٩).

حيث أشرنا هناك إلى حدوث عدول في صيغة " بعيد " حيث كانت " ببعيدين منكم " أو "بعداء" وقلنا أيضًا إن هذه السورة قد تعددت فواصلها ولكن حرف الردف كان قريبًا من الالتزام من " الواو إلى الياء فقط من حروف المد ، ولم يأت حرف المد الألف أبدًا في ردف أي فاصلة من فواصل هذه السورة .

---

(١)- لسان العرب : مادة ز . ح . م .د .

وقد ذكرنا هنا أن أبا عبيدة قد نص على أن هذه الصيغة " **حميد مجيد** " هي صيغة معدولة عن صيغة أخرى هي : محمود ماجد .

وقد نص سيبويه وغيره على أن فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، ولا يجمع بالواو والنون وذلك إن جرى على الموصوف ، وقد يحمل على فعيل بمعنى فاعل فتلحقه التاء [١] .

لكن الرضي يقول : وفعيل بمعنى مفعول مع كثرته ليس بقياس"!! [٢]

ولسنا ندري سببًا علميًا يجعله ليس بقياس إذ إن كثرته تبيح القياس عليه لعدم مخالفته المسموع .

وعند قراءة النص والسياق الذي وردت فيه صيغة " **حميد مجيد** " نلاحظ أن الآيات السابقة على هذه الآية ، واللاحقة لها جميعًا لم ترد فيها فاصلة واحدة مردوفة بحرف المد الألف حتى تتناغم مع الأصل المعدول عنه " محمود ماجد " فمحيط هذه الآية قبلها وبعدها قد جاء حرف الردف فيه إما واوًا وإما ياءً .

حيث جاءت آية ٧٢ : **إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ** (٧٢) ، وجاءت آية ٧٤ : **يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ** (٧٤) ، وبعدها : **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ** (٧٥) "... إلخ.

وهذا يعني أن " الألف " حرف المد الوحيد الذي لم تلجأ إليه هذه السورة في كل فواصلها ليكون ردفًا لرويها ، لكنها آثرت الحرفين الآخرين وهما حرف الواو أو الياء من أجل ذلك عدلت فاصلة الآية ٧٣ عن صيغة " محمود ماجد " إلى صيغة "**حميد مجيد** " .

هذا أمر وأمر آخر لا يقل أهمية عن إيقاع الفواصل ، وتناغمها ، بل ربما يقدم عليها أحيانًا ألا وهو المعنى المقتنص من استخدام صيغة " فعيل " هنا وصفًا لله سبحانه، حيث إن سياق الآية يتطلب هذا العدول إلى صيغة فعيل ، ويتطلب التعبير بهذه الصيغة بدلًا من صيغة فاعل إذ إن المقام مقام إعجاز وتحدٍّ ، وهو كذلك مقام خرق لنواميسَ مألوفة ، إن زوج نبي الله إبراهيم مُبشَّرة – وهو عجوز عقيم – بغلام قد

---

(١) – الكتاب حـ ٢/ ٢١٣ .

(٢)– الرضي ٢/ ١٥٥ والتسهيل ٢٥٤ .

اختير اسمه من قبل أن تحمل به ، وهي لا تحمل أصلًا ، إنها عجوز وإنها عقيم ....!!

لكن القرآن هنا يعرض هذا التحدي من الله سبحانه لكل نواميس البشر ؛ لأنه خالقها وبيده أمرها – وهذا التحدي – وهذا الخرق لكل النواميس بكل ما فيه من إعجاز رباني يحتاج البشر – لكي يحسنوا استقباله – أن يخاطبوا بما يألفونه من ألفاظ تطمئنهم إلى صدق هذا الإعجاز ، ولا يتأتى ذلك إلا باستخدام صيغ يعتقد البشر أنها الصيغ المألوفة في مثل هذا المقام، صيغ أصيلة في باب الصفة المشبهة ، وأصل صيغة في هذا الباب هي صيغة " فعيل " **حميد مجيد**".

وعند ذلك يستقر في قلب المؤمنين من أهل هذه اللغة اطمئنان بصدق حدوث ما وعد الله به ، إنها صيغة " فعيل " الدالة على صدق حدثها وحصوله لا محالة والدالة في أبواب أخرى على المبالغة في كل حدث تنقله .

٣– <u>العدول في صيغة " عقيم ".</u>

وقد تحدثنا عن لفظة " عقيم " في العدول من التأنيث إلى التذكير ، ونضيف هنا أنّ ما نص عليه النحاة من أن " **عقيم** " بمعنى معقومة وعدل عن معقوم إلى **عقيم** يؤكد ما قلناه هنا من أن مراعاة الإيقاع والتنغيم كانت وراء هذا العدول في النص القرآني ، سواء كان هذا العدول تركيبيًا أم في الصيغة فقط .

هذا أمر ، وأمر آخر له علاقة وطيدة بما نحن بصدده، هو أنّ هذا العدول قد ساعد في إسعاد كل أذن تصغو إلى سماع هذا النص الخالد المعجز بنغماته ، وحروفه ، وألفاظه ، وتراكيبه وآياته ، وسوره ، وأحزابه ، وأجزائه .

وإذا عدنا إلى لفظة " **عقيم** " التي عدل بها عن عن " عجوز معقومة " لوجدنا أن هذا العدول قد أثمر ثمرات كثيرة منها ما أشرنا إليه فيما يتعلق بتنغيم الفاصلة ، ومنها ما يتعلق بإيقاع الآيات وجرسها ومنها ما يتعلق بالمعاني الخفية للفظة المعدول إليها مما أشرنا إلى بعضه عند حديثنا عن العدول إلى التذكير في سورة الذاريات .

<u>العدول في الصيغة في سورة الشمس :</u>

جاء ذلك في المواضع الآتية :

١- **العدول من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع في : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا(٤)﴾ بدلًا من "غشيها "**

٢- **العدول في صيغة الماضي من دسس إلى دسّى في قوله سبحانه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(١٠)﴾**

٣- **العدول في صيغة المصدر من طغيانها إلى طغواها في قوله سبحانه : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا(١١)﴾.**

وقد أنتج العدول عن صيغة المضي إلى صيغة المضارع في **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)﴾** قانونًا مهمًا من قوانين الإيقاع الموسيقي هو قانون " التوازي " وهو قانون من جملة قوانين الإيقاع السبعة المشهُورة وهي: " النظام – التساوي – التغيير – التوازي – التوازن – التلازم – التكرار" [١]

وقد رأينا قانون التوازي في سورة العاديات والتكوير ونرى هنا في سورة الشمس قانون " التوازي " واضحًا جليًا في العدول عن صيغة المضي " غشيها ": "غشاها " إلى صيغة المضارعة وهي **﴿ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾** وذلك لتحقيق التوازي في روي الآيات على النحو الآتي :

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) ﴾ .

قال القرطبي : أي خسرت نفس دسَّها الله بالمعصية وقال ابن عباس : أي خابت نفس أضلها الله وأغواها .

وقيل : وخاب مَنْ دسّ نفسه في المعاصي

وقيل : دسّاها : أغواها ، قال الشاعر:

وأنت الذي دسَّيْتَ عمرًا فأصبحت حلائله منه أرامل ضُيَّعا

---

(١)- الفاصلة في القرآن ، للحسناوي ص ١٣٥ .

قال أهل اللغة : والأصل دسسها من التدسيس وهو إخفاء الشيء في الشيء فأبدلتْ سينه ياء ، كما يقال قصَّيْت أظفاري ، أصله : قصصتُ أظفاري ، منه تقصص أي تقصّى [1]

قال أبو حيان : " ولم يقل غشاها رعاية للفاصلة" [2] وقال بعض الأجلة – كما عبر الآلوسي : "جيء بالمضارع للتنبيه على استواء الأزمنة عنده تعالى" [3]

نعم جيء بالمضارع لينبه الخالق جلت قدرته إلى استواء الأزمنة عنده سبحانه ، إنه خالق الأزمنة وكلها في حساباته سبحانه أزمنة وإن كان ذلك غيره في حسابات البشر.

إذن فالعدول إلى المضارعية في يغشاها قد أبرز الجمال الموسيقي للآيات وهو في أثناء ذلك ينبه أهل العقول الواعية إلى استواء الأزمنة أمام قدرة الله سبحانه .

– " **وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا(١١)** " ...

قال أبو عبيدة في مجاز القرآن[4] دسّاها : هي من دسست ، والعرب تقلِّبُ حروف المضاعف إلى الياء ، ومن ذلك قول العجاج :

تقضي البازي إذا البازي كَسَر

وإنما هو القِضَاض . و تظنَّيْتُ إنما هو تظننتُ ورجل مُلَبٍّ ، وإنما هو من ألببت، أي قد أقمت بالمكان ، وقد ألبَّ الرجل قال المضرّبُ بن كعب :

نقلت لها فيئي إليك فإنني حرام وإني بعد ذاك مجيب

أي مقيم أي مع ذاك

وقيل : الضمير يعود على غير مذكور

– **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا** (١١) الشمس أتى بطغيانها وهو خروجها عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتادة وغيرهما : **بطغواها** = عذابها ، وكان اسم العذاب الذي جاءها الطَّغْوى ؛ لأنه طغى عليهم .

---

(١)– القرطبي حـ ٢٠ /٣٤ ولسان العرب : دسس .
(٢)– البحر حـ ٨ / ٢٨٥ .
(٣)– روح المعاني حـ ٣٠ / ١٩٥ .
(٤) حـ ٢/٣٠٠

وقيل هو مصدر ، وخَرَج على هذا المَخْرج ؛ لأنه أشْكَلُ برؤوس الآي ، وقيل : الأصل : بطغيانها إلا أن فَعْلَى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واوًا ؛ ليُفْصَل بين الاسم والوصف ، وقراءة العامة بفتح الطاء ، وقرأ الحسن والجحدري وحماد بن سلمة بضم الطاء ، على أنه مصدر كالرجعى والحسنى وشبهها في المصادر ، وقيل هما لغتان"[1] قال الأزهري : قال الليث : الطغيان ، والطغوان – لغة فيه – والطغوى بالفتح مثله ، والفعل طغوت وطغيت، والاسم الطغوى ، قال ابن سيده : طغى يطغى طغيًا ، ويطغو طغيانًا، جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر ، وفي حديث وهب : إن للعلم طغيانًا كطغيان المال، أي يحمل صاحبه على الترخص فيما اشتبه منه إلى ما لا يحل له ، ويترفع به على من دونه ، ولا يعطي حقه بالعمل به كما يفعل رب المال ، وكل مجاوز حده في العصيان طاغٍ ، قال ابن سيده : طغوت أطغو ، وأطغى طغوًا كطغيت ، وطغوى فعلى منها ، وقال الفراء : منها قوله سبحانه : " **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١)**" قال : أراد بطغيانها ، وهما مصدران إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات فاختير لذلك ، ألا تراه قال " **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)**" أي : وآخر دعائهم . قال الزجاج : أصل طغواها : طغياها ، وفَعْلى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واوًا ، ليفصل بين الاسم والصفة ، تقول هي التقوى وإنما هي من تقيت ، وهي البقوى وإنما هي من بقيت وقد جاء في التنزيل أيضًا : " **وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)**" فطغى يطغو طغيانًا مثل طغى يطغو طغوًا وطغونًا . وقال سبحانه : " **وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)** " [2] .

إن سورة الشمس مكية ، وعدد آياتها ١٥ آية .

تعد هذه السورة القصيرة من السور ذات القافية الواحدة والإيقاع الموسيقي الموحد ، لكنها تتضمن عدة لمسات وجدانية تنبثق من مشاهد الكون وظواهره التي تبدأ بها السورة والتي تظهر كأنها إطار للحقيقة الكبيرة التي تتضمنها السورة ، حقيقة النفس الإنسانية ، واستعداداتها الفطرية ، ودور الإنسان في شأن نفسه ، وتبعته في مصيرها

(١) القرطبي جـ ٧٨/٢٠

(٢)– البقرة : ١٥ .

هذه الحقيقة التي يربطها سياق السورة بحقائق الكون ومشاهده الثابتة ، ثم تتضمن هذه السورة أيضًا قصة ثمود، وتكذيبها بإنذار رسولها وعقرها للناقة ، ومصرعها بعد ذلك، وزوالها وهي نموذج من الخيبة التي تصيب من لا يزكي نفسه فيدعها للفجور ، ولا يلزمها تقواها [1] ، والقافية الواحدة من أول السورة إلى آخرها وتعدد معاني الآيات داخل السورة لإبراز الموضوعات التي نزلت من أجلها ، كل ذلك يلزمه موسيقى ذات رنين موحد ، يبرز المعاني المرادة ، ويشخصها كأنها ماثلة للعيان . ولتحقيق ذلك كله، عدلت فواصل بعض آيات هذه السورة فآثرت لفظة وصيغة على لفظة وصيغة أخرى ، قد تتشابه معها في الشكل وفي الدلالة إلى حد بعيد – كما مضى ذكره .

آثرت الفاصلة رقم (١١) صيغة **طغواها** على صيغة " طغيانها " ، إلى جانب إيثارها لفظة أخرى هي " **دسَّاها** " على " دسسها " كل ذلك إيثارًا للمد المباشر في **طغواها** بدلًا من طغيانها ، حيث سيفصل بين الألف والألف الأخيرة حرفان في طغيانها ، وكذلك في "**دسسها**" سيختفي المد تمامًا، ونحن لاحظنا أن الإيقاع الموسيقي في القرآن الكريم يعتمد أكثر ما يعتمد في موسيقاه الخارجية على تنغيم المد ، وهو تنغيم معجز مؤثر لأنه أُحسن اختياره في عقد القرآن الكريم .

العدول في الصيغة من فعيل إلى فاعل :

من "وليّ" إلى "وال "

في قوله سبحانه: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ ﴿**وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾الرعد(١١)".

جاء في البحر المحيط : فعيل للمبالغة وهو أكثر في الاستعمال ، ولذلك لم يجئ في القرآن "**وال** " إلا في سورة الرعد ، لمؤاخاة الفواصل " [2] .

وهذا يعني أن مجيء " **وال** " هو فقط لمؤاخاة الفواصل في هذه السورة – وسنشرح ذلك فيما بعد وكأن الأمر محصور فقط في هذه الموسيقى التي ستحدثها لفظة

---

(١) – ظلال القرآن : حـ ٣٠ / ٣٩١٨ .

(٢)- البحر حـ ١/ ٣٤٥ .

" **وال** " في فاصلتها تآخيًا مع بقية الفواصل المتجاورة .

وإن كان البحث لا يغض من شأن الموسيقى التي تجلبها فواصل السور عند تآخيها ، واعتمادها على مد الياء أو الواو أو الألف ، لكن مؤاخاة الفواصل ليست هي السبب الوحيد في العدول إلى "**وال** " بدلًا من " وليّ " .

إذ إن صيغة " وليّ " صيغة مبالغة ، ولكنّ صيغة " وال " اسم فاعل ، فهل يعني ذلك أنّ وليّ هي أولى من " **وال** " في هذا الموضوع أم العكس ؟ الحقيقة أن سياق الآيات هو الذي فرض اختيار لفظة " وال " ، والسياق بشقيه ، سياق الدلالة ، والسياق الموسيقي .

أما سياق الدلالة فنلمسه في قول الشيخ سيد قطب تعقيبًا على هذه الآية بقوله : ويقف الحس مشدوهًا يرتعش تحت وقع هذه اللمسات العميقة في التصوير ، وتحت إيقاع هذه الموسيقى العجيبة في التعبير ، يقف مشدوهًا وهو يقفو مسارب علم الله ومواقعه ، وهو يتبع الحمل المكنون في الأرحام والسر المكنون في الصدور ، والحركة الخفية في جنح الليل ...... وكل مستخف وكل سارب ، وكل هامس ، وكل جاهر ....

إن اللمسات الأولى في آفاق الكون الهائل ليست بأضخم ولا أعمق من هذه اللمسات الأخيرة في أغوار النفس والغيب ومجاهيل السرائر ، وإن هذه لكفاء لتلك في مجال التقابل والتناظر ..... ثم تظهر في السياق ألفاظ لها دلالتها (الكبير.. المتعال) إنه ألفاظ تلقي بظلها في الحس ، ولكن يصعب تصويرها أو تصوير ظلالها بألفاظ مهما كانت معبرة فهي قاصرة ...... ثم تأتي حقيقة الحقائق " **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** "....... إنها حقيقة تلقي على البشر تبعة ثقيلة ، فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته ، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر ، وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم......."

وبعد تقرير المبدأ يبرز السياق حالة تغيير الله ما بقوم إلى السوء ؛ لأنهم – حسب المفهوم من الآية غيروا ما بأنفسهم إلى أسوأ فأراد لهم الله السوء :

" **وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)**" يبرز السياق هذا الجانب هنا دون الجانب الآخر لأنه في معرض الذين يستعجلون بالسيئة قبل

الحسنة ، وقد قدّم لهم هناك المغفرة على العذاب ليبرز غفلتهم، وهو هنا يبرز العاقبة السوأى وحدها لإنذارهم حيث لا يرد عذاب الله عنهم – إذا استحقوه بما في أنفسهم ولا يعصمهم منه "**وال** " يناصرهم"[1]. نعم ليس هناك **وال** ، أي والٍ **يقوى على رد عذاب الله عن عبادٍ استحقوه بأعمالهم** . **إنّ المد الذي احتوت عليه لفظة** " وال " لهو أبلغ تحدٍ تحمله هذه اللفظة إلى من يخطر على باله أن يكون مواليًا لمن استحق – بعمله – عذاب الله ، فمن هذا الوالي الذي يدعي ذلك ، إنه تحدٍ وإعجاز وتنغيم يقوي السياق ويزيد في الاندهاش منه ، والإعجاب به . ونلاحظ الإلحاح الموسيقي على اختيار لفظة **وال** والعدول إليها عندما نطالع سورة الرعد فنجد أنّ المقطع الذي وردت فيه الآية(١١) قد تهيأت فواصله للفظة " **وال** " بدلًا من " ولي " وذلك يظهر فيما يلي :

١– بدأ هذا المقطع بالآية ٦ حيث انتهت فاصلته بقوله سبحانه : " **إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦)** ". واستمرت الفواصل اللاحقة مستخدمة ردف الألف قبل حرف الفاصلة . هكذا العقاب ، بمقدار – المتعال – بالنهار – وال – الثقال – المِحَال إلي نهاية السورة في الآية ٤٣ باستثناء الآية ٢٨ فقد جاء ردفها حرف مد "واوًا" "القلوب" وهو نفس حر المد الذي بدأت به السورة **لا يؤمنون – توقنون – يتفكرون – يعقلون – خالدون** . من الآية ١–٥

إذن فالمقطع الأول كان ردف فواصله حرف المد الواو أما المقطع الثاني فقد بدأ ردف فواصله بحرف المد الألف لتكون كل فواصل هذا المقطع تقريبًا بحرف الألف وهذا يساعد في اختيار ردف الألف لهذا المقطع حتى يتجانس نغماته وتصبح الموسيقى الخارجية للآيات ذات نظام واحد ليس فيه نفور أو نشاذ .

---

(١) – ظلال القرآن : جـ المجلد الرابع ٢٠٥٠ سورة الرعد آية ١١ .

العدول من التأنيث إلى التذكير .

العدول إلى التذكير

تقديم :-

من المعروف أن الاسم في اللغة العربية – وأي لغة أخرى – ينقسم إلى مذكر ومؤنث، لأنّ ذلك يناسب مسميات المخلوقات التي خلقها الله – سبحانه – ذكرانًا وإناثًا .

لكن اللغة – أحيانًا تجري على ألسنة متكلميها بصورة تدعو إلى العجب ، فبرغم من استقرار كثير من أسمائها أعلامًا أو أوصافًا للمذكر ، واستقرار مجموعة أخرى أعلامًا أو أوصافًا للمؤنث ، برغم ذلك نجد في اللغة ألفاظًا تحاول الانتقال من فئة المذكر إلى فئة المؤنث، وأخرى تحاول العكس يحدث ذلك من قديم الزمان، فنحن نقرأ لفظة "السبيل" فيحكم عليها البعض بالتذكير ، ويحكم عله آخرون بالتأنيث ويسجل النص المعجز ذلك ، فتارة تجيء مذكرة ويعود عليها ضمير المذكر في قوله سبحانه : " **وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا** " الأعراف ١٤٦.

وتارة أخرى يعود عليه ضمير المؤنث ويشار إليه بعلامة التأنيث : " **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** " (١) .

وكذلك لفظة "الطاغوت" في قوله سبحانه : **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** (٢) فقال " به " وفي آية أخرى قال الله سبحانه : **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا** " (٣) فقال: يعبدوها على أنها مؤنث .

ويقرر أبو حاتم أن أهل الحجاز وغيرهم يؤنثون أحيانًا بعض هذه الكلمات، ولكنهم لا يقيسون ذلك في كل شيء ".

---

(١) – يوسف : ١٠٨ .

(٢)– النساء : ٦٠ .

(٣)– الزمر : ١٧ .

ويقر د. أنيس – رحمه الله – "أن رواة اللغة قد شهدوا عهدًا تتأرجح فيه بعض الكلمات بين التذكير والتأنيث ، ومثل تلك الكلمات هو الذي استقر أمره في اللهجات الحديثة على التذكير فقط في غالب الأحيان" ويؤيد د. أنيس رأيه في ذلك بأن اللغات السامية كانت فيها بعض الكلمات مؤنثة ثم تأرجحت بين التذكير والتأنيث ثم مالت إلى التذكير واستقرت على حال التذكير في نهاية الأمر مثل كلمة " شمس " التي تجدها مؤنثة في العربية ، نراها في العبرية والآرامية جائزة الأمرين ، وأخيرًا نراها قد استقرت في الآشورية على التذكير ، وكذلك كلمة "كف" التي هي مؤنثة في العبرية والسريانية، جائزة الأمرين في العربية ولكنها مذكرة في الآرامية[1]

وتعرض كتب اللغة لموضوع المذكر والمؤنث فنراها تفيض في شرح ما يجوز فيه التذكير والتأنيث وموقف القبائل المختلفة من كلمات معينة في اللغة العربية، ومن ذلك ما جاء في المخصص لابن سيده[2]:"من أن جمع الجنس كالبقر والشعير ، والتمر ، الشجر ، النخل" يذكر ويؤنث وجاء في التنزيل بالأمرين جميعًا فمن التذكير قوله سبحانه : " **مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ** (٨٠)" . وقوله سبحانه : "**كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ** (٧)" ولم يقل "منتشرة" القمر ، وقوله : " **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** (٢٠)" فلم يقل "منقعرة " القمر ٢٠ " . ومن التأنيث قوله سبحانه : **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** (٧) وقوله : " **يُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ** (١٢) " في حين أن السحاب مذكر في قوله سبحانه : " **يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ** " ويرى ابن سيده أن الأمرين سواء عند عامة أهل اللغة غير أن أبا حاتم يقول : إن أكثر العرب يجعلون جمع الجنس مذكرًا وهو الغالب الذي عليه أهل كلامهم وقد وضع علماء العربية كثيرًا من الأسس والضوابط التي لاحظوا أن اللغة العربية تسير على وفقها على ألسنة متكلميها ، ومن هذه الضوابط أن الاسم المؤنث له علامات لفظية وأخرى معنوية . وبناء على ذلك تم تقسيم الاسم المؤنث إلى مؤنث لفظي ومؤنث معنوي ، ومؤنث لفظي معنوي .

---

(1) من أسرار اللغة ١٤٦

(2) حـ ١٦/١٠٠-١١٣

وتحدثوا عن علامات تأنيث الاسم – بل وعن علامات وضوابط تأنيث الفعل – وذكر علماؤنا أن أشهر علامات تأنيث الاسم ثلاثة هي تاء التأنيث المتحركة المربوطة وألف التأنيث المقصورة ، وألف التأنيث الممدودة ونص علماؤنا على أن تاء التأنيث المقصودة هنا هي تلكم التاء التي تأتي في أصل وضعها للتفرقة بين المذكر والمؤنث في الأوصاف المشتقة الصالحة لكلا النوعين مثل كاتب وكاتبة ، وجميل وجميلة، وقتال وقتالة، وحذر وحذرة ، وهذا هو الأشهر والأعم من مواضع التاء . بيد أن التاء تلحق أنواعًا أخرى من غير المشتقات مما سيظهر من خلال تناولنا للتأنيث والتذكير في الفاصلة وذلك في المواضع الآتية :–

العدول عن المؤنث إلى المذكر في ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا** ﴾(النساء ١٤٤).

قال الآلوسي في روح المعاني[1]: عن ابن عباس: أن كل سلطان في القرآن فهو حجة، وهو مما يجوز فيه التذكير والتأنيث إجماعًا فتذكيره باعتبار البرهان أو باعتبار معناه المعروف والتأنيث باعتبار الحجة أكثر عند الفصحاء على ما قاله الفراء ، إلا أنه لم يعتبرها هنا واعتبر التذكير لتحسن الفاصلة . وادعى ابن عطية أن التذكير أشهر في لغة القرآن حيث وقع . وليس هذا عندي من قبيل الادعاء ، بل حقيقة الاستخدام القرآني العدولي ، تؤيد ذلك فقد لاحظنا أن العدول إلى التذكير هو السمة الغالبة في الفواصل القرآنية ، فمن بين مائة فاصلة نجد العدول إلى التذكير مقارنًا بالعدول إلى التأنيث فيها هو بنسبه ٩٧% إلى ٣% في السور الكبرى من سورة البقرة إلى سورة يس وتزيد النسبتان في الأجزاء التالية لذلك وبخاصة في الجزء الثلاثين .

العدول من التأنيث إلى التذكير في سورة مريم : جاء العدول إلى التذكير في سورة مريم في قوله تعالى:– ﴿ **قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِياً** ﴾ آية(٢٠) من سورة مريم . حيث جاءت لفظة " بغيًا " مذكرة بدلًا من " بغية " المؤنثة ، فكأن النص القرآني عدل عن التأنيث " بغية " إلى التذكير " بغيًا " في آيتين آية ٢٠ ، وآية ٢٨ "**وما كانت أمك بغيًا** " ٢٨ بدلًا من بغية ....." قال سيبويه : اعلم أن

---

(1) جـ ٥/١٧٧

المذكر أخف عليهم من المؤنث ؛ لأن المذكر أول وهو أشد تمكنًا ، وإنما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ؟ والشيء مذكر ، فالتنوين علامة للأمكن عندهم وللأخف عليهم"[1]. ثم قال سيبويه: وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر ؛ لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد.

وقيل: لما كان هذا اللفظ خاصًا بالمؤنث لم يحتج إلى علامة تأنيث ، فصار كحائض وطالق ، وإنما يقال للرجل : باغ ... وفي الكشاف أن المبرد يرى أن " بغي " هي فعول أُدغمت الواو في الياء بعد أن قلبت الواو ياء ، وكسر ما قبلها لأجل الياء كما كسر في عصي ودلي وقيل هي فعيل ، وقيل ليست على فعيل لأنها لو كانت على فعيل للحقتها هاء التأنيث ، فقيل "**بغية**".

لكن صاحب التسهيل رأى أن كل " فَعُول " بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول يجوز تذكيره ويجوز تأنيثه[2] قال الفراء : ثم يأتي نوع آخر من قولهم : صبور وشكور فيمر في هذا أنثاه كذكره بغير الهاء ، وإنما أُلقيت من أنثاه الهاء لأنه عدل صابر إلى صبور، فلما لم يكن له فعل يُبنى عليه ، فترك كالمذكر ، ولو أدخلت فيها الهاء كان وجهًا ، وقد قالت العرب امرأة عدوة الله ، وترك بعضهم الهاء فالذين أدخلوا الهاء وجهوها إلى الأسماء والذين طرحوا الهاء ذهبوا بها إلى النعت ومضوا على القياس [3] هذا ..... وعند النحاة من ذلك الكثير والكثير.. لكنا إذا عدنا إلى نص سورة مريم ، لوجدناها تنطوي على اثنتين وتسعين فاصلة على الفتح من تسع وتسعين ، والتوزيع كما يلي بحسب التسلسل :-

من ١-٣٣ – المقطع الأول يقص نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام وقد جاء روي فواصله على الياء المتحركة بالفتح .

---

(1) الكتاب جـ ٧/١

(2) التسهيل ٢٥٤

(3) المذكر والمؤنث للفراء ٦١ -٦٤

– ومن ٣٤–٤٠ نجد المقطع الثاني يعلق على المقطع الأول رويه النون أو الميم الساكنتان .

– ومن ٤١–٧٤ المقطع الثالث نبأ إبراهيم وموسى وإدريس عليهم السلام رويه كالمقطع الأول

– ومن ٧٥ –٩٩ المقطع الأخير تعليق على السورة كلها ووعيد وجاء رويه على الدال المفتوحة ماعدا آيتين جاءتا على الزاي المفتوحة هما ٨٤–٩٩ إذن فالعدول إلى تذكير "**بغيا** " أمر حتمي قد ألحت عليه السورة كلها بدلالاتها وإيقاعاتها وقد اتضح ذلك من خلال تحويل السورة إلى مقاطع أربعة وإذا قرأنا السورة قراءة مدققة لرأينا ما يلي:–

من الآية ١–٣٣ جاءت فواصلها ياء مشددة مفتوحة أي : أن عدد الآيات ثلاث وثلاثون آية منها ثنتان وثلاثون جاءت نغمتها على نغمة الآية رقم عشرين " **بغيًا** " "**ولم أك بغيًا**" ثم تكررت النغمة نفسها في الفاصلة رقم ٢٨ ....." **وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** (٢٨)" ٢٨ . ثم جاءت الآيات رقم ٣٤و٣٥ على الواو والنون " **يمترون** " "فيكون" وجاءت الآية ٣٦ على " **مستقيم** " وكذلك الآية ٣٧ على " **عظيم** " أما الآية ٣٨ فقد جاءت على " **مبين** " ثم عادت الواو والنون في فواصل الآيتين ٣٩ ،٤٠ " **وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**"، " **وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ** " ثم عادتْ نغمة الفواصل إلى ما كانت عليه فواصل الآيات من ٢–٣٣ وذلك من الآيات ٤١– ٧٤ ثم انتقلت الفاصلة من الياء المفتوحة – مشددة أو خفيفة إلى الدال المفتوحة أيضًا " **جندًا** ، **مردًا**، **لدا** " وذلك في فواصل الآيات من ٧٥ ،٧٦، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ،٨٠ إلى ٩٧ باستثناء فاصلة الآيات ٨١ ،٨٣ ، ٩٨ فقد جاءت فواصلها على الزاي المفتوحة – **عزًا**، **أزًا**، **ركزا** ، وجاءت بقية فواصل الآيات من ٨٥ –٩٧ على الدال المفتوحة.

إذن فالسورة كلها بنيت فواصل آياتها على الياء المفتوحة بنسبة كبيرة تصل إلى ٦٥% ثم جاءت الدال المفتوحة بنسبة ٢٥% تقريبًا وتوزعت النسب الباقية على الواو والنون والياء والميم ثم الزاي وعند قراءة النص كاملًا نلاحظ أنّ الانتقال من نغمة إلى نغمة كان بسبب الانتقال من الإحالة الداخلية إلى الإحالة الخارجية – باستحداث التفات

مُعبّر من الخطاب إلى الغائب : نلاحظ ذلك في " قوله سبحانه " **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)** " إلى قوله تعالى : **إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)** وكأن هذا الالتفات وهذه الإحالة الخارجية التي جاءت عليها هذه الآيات حدثت لمناسبة انتهاء قصة عيسى عليه السلام وموقف بني إسرائيل من أمه وحملها به وولادتها له ، وذلك الالتفات كأنه تعقيب وتذييل حول هذه القصة لأخذ العبرة والعظة من قصص الأمم الغابرة الذين افتروا على عيسى عليه السلام وعلى أمه عليها السلام ، فكان التكذيب والافتراء على الأنبياء شيئًا متكررًا مع جميع الأنبياء وهو كذلك معك يا محمد – صلى الله عليه وسلم – ثم تجيء فواصل آيات قصة إبراهيم في السورة نفسها مبنية على النغمة الأساسية لقصة سيدنا عيسى وأمه مريم عليهما السلام " الياء المفتوحة " مشددة وغير مشددة لكن قصة إبراهيم – هنا – في سورة مريم ليست قصة محورية بل هي قصة ثانوية جيء بها لكي تتم الفائدة لمحمد صلى الله عليه وسلم من عادة الأقوام السابقة مع الأنبياء ، وهذا شبيه بما كان عليه حال المشركين مع محمد صلى الله عليه وسلم . لكن فواصل آيات قصة إبراهيم عليه السلام جاءت لترغب المؤمنين في الإيمان، وتؤكد لهم حسن ثواب الآخرة ، وتهدد الكافرين بما سوف ينالهم من عقاب دنيوي وأخروي ، وهو نفس المعنى الذي سارت فيه بقية آيات السورة حتى نهاية الآيات .

العدول إلى التذكير في سورة الإسراء :

– ورد العدول في سورة الإسراء في المواضع الآتية :- آية ٨ ، وآية ١٤ ، وآية ٥١ :

١-في قوله سبحانه : ﴿ **وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** ﴾ (٨)

٢-وفي قوله سبحانه :﴿ **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ (١٤)

٣-وفي قوله سبحانه﴿ **ويقولون متى هو أقل عسى أن يكون قريبًا**﴾ (١٥)

ومن أجل الوصول إلى أسباب هذا العدول سوف نحاول قراءة ما قاله علماؤنا حول كل موضع من المواضع الواردة في الآيات ٨، ١٤ ، ٥١ ثم نعود إلى نص

السورة نفسها ؛ لنقرأها مرات ومرات حتى نصل من خلال هذه القراءة المتعددة إلى أسباب هذا العدول إلى التذكير في هذه السورة أو نصل إلى أقرب قول يفسّر هذا العدول في هذه المواضع .

العدول إلى التذكير :-

ورد العدول إلى التذكير في المواضع الآتية :-

" **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**" الإسراء١٤ "

قال الأنباري : إنما قال حسيبًا والنفس مؤنثة لأنه يعني بالناس الشخص ، أو لأنه لا علامة للتأنيث في لفظ النفس ، فشبهت بالسماء والأرض قال تعالى : " **السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ** ". قال أبو حيان[1]: ومعني حسيبًا أي: حاكما عليك بعملك ، قاله الحسن ، وقال الكلبي : محاسبًا يعني فعيلًا بمعنى مفاعل، كجليس وخليط . وذكر حسيبًا ؛ لأنه بمنزلة الشهيد ، والقاضي ، والأمير لأن الغالب أن هذه الأمور يتولاها الرجال ، وكأنه قيل كفى بنفسك رجلًا حسيبًا " وقال الفراء في المذكر والمؤنث[2]: " فإن قال قائل : أفرأيت قول العرب : أميرنا امرأة ، وفلانة وصي فلان ، ووكيل فلان هل ترى هذا من المصروف ؟ أي : من المعدول قلت : لا ، إنما ذكر هذا ؛ لأنه إنما يكون في الرجال دون النساء فهو أكثر ما يكون في الرجال ، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر من موضعيه ". وتقول مؤذن بني فلان امرأة وشهوده نساء وفلانة شاهد له؛ لأن الشهادات والأذان وما أشبهه إنما يكون للرجال وهو في النساء قليل وربما جاء في الشعر مؤنثًا

قال عبد الله بن همام السلولي :

فلو جاءوا ببرة أو بهند لبايعنا أميرة مؤمنينا

وليس خطأ أن نقول : وصية ووكيلة ، إذا أفردتها وأوردتها بذلك الوصف .

وقد وردت في الشعر أيضًا بلا تأنيث كما في قول ابن أحمر

فليت أميرنا وعزلت عنا مخضبةٌ أناملها كعابُ

---

(1) حـ ١٦/٦

(2) ٦١-٦٣

كعاب : خبر ليت ، ومخضبة حال تقدمت على صاحبها أي : أنها نعت متقدم نكرة . جاء في إنباه الرواة تعليقًا على هذا البيت[1]: قال محمد بن كنانة : أتيت امرأة من بني أود فكحلتني ، وقالت لي : اضطجع ، ولتهدأ حتى يبلغ الكحل في عينيك ، فاضطجعت وقلت :

أمخترمي ريب المنون ولم أزر　　　　طبيب بني أود على النأي زينبا

فقالت لي : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا . قالت : فيَّ والله قيل ! وأنا والله زينب التي عناها وأنا طبيب بني أود . قال الشيخ عضيمة[2] " الصفة إذا كانت في الرجال أكثر جاز استعمالها في المؤنث كحالها مع المذكر ، قال عضيمة : أما حائض ونحوه من الأوصاف المختصة بالمؤنث ففيها ثلاثة مذاهب :-

١- الخليل يري أنها صفات بمعنى النسب كدارع ونابل ولم تجر على الفعل فتقول: مرضع ، إذا أردت ذات رضاع ولم تجرها على أرضعت ولا ترضع ، فإذا أراد ذلك قال : مرضعة وتقول : هي حائضة غدًا [3]. وارتضى المبرد مذهب الخليل[4]

قراءة إحصائية لسورة الإسراء

عدد آيات هذه السورة الكريمة ١١١ مائة وإحدى عشرة آية ، الفاصلة المحورية الأساسية في السورة كلها هي الراء المفتوحة ، حيث بلغت فواصل الآيات المنتهية براء مفتوحة خمسين فاصلة .

ثم جاءت فاصلة اللام المفتوحة في المقام الثاني حيث بلغت خمسًا وثلاثين فاصلة .

ثم سبع آيات فاصلتها دال مفتوحة ثم خمس آيات فاصلتها ميم مفتوحة .

ثم أربع آيات فاصلتها انتهت بعين مفتوحة ثم فاء اثنان ، وكذلك النون ، وواحدة قاف، وواحدة راء مضمومة – أو ساكنة – أما الباء المفتوحة فقد جاءت في فاصلتين اثنتين فقط حيث جاءت الأولى في فاصلة الآية الرابعة عشرة " اقْرَأْ كِتَابَكَ

---

(١) جـ ١٦١/٣

(٢) ق ٣ / ٢٨٤

(٣) سيبويه ٩١/٢

(٤) المقتضب جــ١٦٤/٣

كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ". ثم جاءت الفاصلة الثانية في رأس الآية ٥١ في قوله سبحانه : " **وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)**" والسؤال هو لماذا جاءت هاتان الفاصلتان على هذا الحرف الباء المفتوحة ؟

والإجابة على ذلك سهلة ميسورة تتلخص في أن هذه السورة قد تعددت فواصلها تعددًا واضحًا لكنه تعدد خدم النص بشكل عام ، وناسبت فواصل الآيات سياقها الذي جاءت فيه . فقد جاءت الفاء فاصلة مرتين ، وجاءت الهاء مرة واحدة ، والقاف مرة واحدة ، والنون مرتين والراء " ساكنة " في الوقف مرة واحدة، ولا يشعر أي قارئ لنص السورة كلها أن بها خللًا موسيقيًا في أي منطقة من مناطقها ، أو في أي مساحة من مساحاتها ، بل إن نغمات فواصل السورة جاءت مستقرة في نظام عقدها جميلة في مكانها مزينة ومجملة جاراتها من عقد السورة كلها . ولأجل الحفاظ على جمال عقد السورة كلها عدل النص القرآني من التأنيث إلى التذكير في "حسيبًا " و"قريبًا" فلم يقل "حسيبة " و"قريبة " . وذلك للحفاظ على هذا النغم الجميل الذي سارت عليه فواصل الآيات ، هذا أمر ، والأمر الثاني الذي يمكن قراءته في العدول إلى التذكير هو أن ظاهرة العدول من المؤنث إلى المذكر ، ومن المذكر إلى المؤنث ظاهرة مستقرة في اللغة العربية ، وهي خاصية إيجابية من خواصها وربما من خواص كثير من اللغات السامية وغير السامية لأن العدول مسلك مطلوب لبقاء صيغ اللغة ومفرداتها وتراكيبها حية مستعملة على ألسنة المبدعين .

وأمر آخر يمكن قراءته في العدول إلى صيغة التذكير هنا في سياق الآيتين ١٤ ، ٥١ يتلخص في أن سياق الآية الثانية سياق حواري ونقاش وتحدٍ بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش وأشياعهم الذين ينكرون البعث والقيامة ، ووصلت بهم الجرأة ثم إنّ سياق الآية ١٤ :" اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا " يتطلب هذا العدول من المؤنث "حسيبة " إلى المذكر "حسيبا".

ذلك لأن جاراتها من فواصل الآيات السابقة على الآية ١٤ واللاحقة لها كلها تنزع إلى التذكير في اختيار ألفاظها ، بل إن فواصل الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢،١٣ ، ١٥ ، ١٦،١٧،١٨، ١٩ ، ٢٠...... إلخ كلها جاءت مذكرة ، إن كل هذه

الآيات قد التزمت بفواصل مذكرة حسبما تقتضيه قواعد اللغة ، وليس في الإمكان تأنيث فاصلة منها ، فكان لا بد من العدول إلى التذكير في " حسيبًا " لمناسبة بقية الفواصل المحيطة بالآية ١٤ .

١ – العدول إلى التذكير في قوله سبحانه :–

"**وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا** " ٨/١٧ الإسراء قيل التذكير على معنى الجنس وقيل لأن تأنيث جهنم غير حقيقي[١] وقيل على وقع النسب أي : ذات حصر ، كقوله : " **السماء منفطر به** "[٢].وبرغم أن هذه الأقوال ليست مرفوضة لكن سياق الآيات يؤيد ما نقوله حول عدول الفاصلة القرآنية في كثير من المواضع إلى التذكير لما في التذكير من القوة بإيجابياتها وسلبياتها ، بما فيها من خير وقدرة وبما فيها من فتك وسلطان ، وإرهاب ". وقد جاءت هذه المعاني كلها مجتمعة في جعل " **جهنم حصيرًا** " للكافرين ، حتى يذوقوا من عذابها ما يذوقه كل مَنْ كانت له الحصير مكان راحة واستراحة ومأمن من العنت – من الهدوء والسعادة والاستقرار .

إن الحصير للمؤمن أمن وراحة وللكافر حصير جهنم من العذاب . ومما يؤيد ما قلناه من أنّ الحصير هي الفراش أو السجاد التي تفترش للراحة والجلوس عليها ، ما نقله القرطبي حول هذه الآية قال القرطبي[٣]" **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا** " أي محبسًا وسجنًا من الحَصْر وهو السجن، ثم قال : وقال الجوهري : يقال : حصره حصرًا : ضيق عليه ، وأحاط به ، والحصير : الضيّق البخيل ... وروي عن أبي عبيدة " لدى طرف الحصير قيام " أي عند طرف الحصير – السجاد – وقال القشيري : ويقال للذي يفترش حصيرًا " لحصر بعضه على بعض بالنسج " وقال الحسن : أي : فراشًا ومهادًا وذهب إلى الحصير الذي يفرش لأن العرب تسمي البساط الصغير حصيرًا ، قال الثعلبي : " وهو وجه حسن " . إن العدول إلى التذكير في " **حصيرًا** " في

---

(١) العكبري جـ٢/٤٧

(٢) البحر ١١/٦ ، دراسات قسم ٣/جـ٤/٢٦٨

(٣)جـ ١٠/٢٢٤

قوله سبحانه : " **وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** (٨) " يتطلبه سياق الآيات ومعانيها الكامنة بها .

إن في استخدام ألفاظ التذكير سهولة وخفة كما قال سيبويه ، وفيه ألفة وفيه افتخار ، وليس فيه إحساس بالعنف ، بل فيه إحساس بالقوة ، لكنّ القوة هنا سوف تكون شرًا ووبالًا على من يعتزون بها ويفتخرون بامتلاكهم لها .

إن تذكير " حصير" هنا إشارة إلى القوة السلبية التي لن تكون مجال افتخار منهم بل سوف تكون عليهم إعناتًا ، إن جهنم سوف تكون " **حصيرًا** " بما يحمله التذكير من قوة وقسوة وأذى بدلًا من كون الحصير مكان راحة واستقرار .

العدول إلى التذكير والإفراد : في قوله سبحانه : ﴿ **وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ** ﴾ " ٨٩/١١ "

قال أبو حيان[1]: أجرى بعيدًا على قوم إما باعتبار الزمان أو المكان أو بمكان بعيد . أو باعتبار موصوف غيرهما أي : بشيء بعيد أو باعتبار مضاف إلى قوم أي : وما إهلاك قوم لوط .

ويجوز أن يسوى في قريب وبعيد وكثير وقليل بين المفرد والجمع وبين المذكر والمؤنث ، كما قالوا : هو صديق وهم صديق ، وهي صديق وهن صديق " . وقال أبو حيان : في الكشاف قال الزمخشري[2] : فإن قلت: ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه .

قيل : يجوز أن يسوى بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث في قريب وببعيد ، وقليل وكثير لورودهما على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما " .

سورة هود مكية وعدد آياتها ١٢٣ مائة وثلاث وعشرون آية

تعتبر هذه السورة من السور ذات الفواصل المتنوعة حيث جاء رويها على الراء والنون ، واللام ، والميم وذلك من الآية ١-٥٦ وجاء الرّوي على الظاء ٥٧، ٥٨ ثم على الدال ثم على الباء ثم عاد إلى الراء ثم الباء ثم الزاي ثم النون ثم الدال الذال ثم

---

(١)جـ ٥/ ٢٥٥

(٢)جـ٢/٢٢

الطاء ثم الباء ثم الدال ثم الطاء ثم الباء الدال ثم الباء ثم الدال ثم الطاء ثم النون ثم الظاء ثم الدال ثم الباء ثم الدال ٨٩ " **وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ** " ثم الدال ثم الزاي ، ثم الطاء ثم الباء ثم النون ثم الدال ثم النون ثم الدال ثم الباء ثم الدال ثم القاف الدال ثم الذال ثم الصاد ثم الباء ثم الراء النون من الآية ١١٣-١٢٣ .

فإذا كان حرف روي الفاصلة قد تنوع حتى شمل عددًا غير قليل من حروف الأبجدية العربية فإن حرف الردف في السورة كلها لم يخرج عن حرفي المد المشهورين في ردف فواصل القرآن وهما الواو والياء وهذا هو الذي أدّى إلى عدم الإحساس بتنافر إيقاع فواصل السورة ، حيث عمل ردف الواو وردف الياء على استحسان واستعذاب هذه الفواصل المتغيرة تغيرًا واضحًا ، إلا أن توحد الروي جعل هذا التغير غير محسوس في فواصل السورة ، بل إن روي الظاء وهو من الحروف التي لم تألفها قافية الشعر العربي – قد استطاعت فواصل القرآن تحويله إلى روي مألوف بل ومستحسن في هذه السورة وفي مواضع وروده من القرآن الكريم .

وقد كان العدول – في الآية ٨٩ – إلى الإفراد والتذكير واحدًا من الأمور التي استخدمها النص القرآني المعجز في فواصل هذه السورة لكي يحدث بين ألفاظها وفواصلها تناغم محبوب وإيقاع آسر ليس به نفور .

فلو لم يعدل النص القرآني في هذه الفاصلة إلى التذكير والإفراد لجاءت الفاصلة على غير ذلك تمامًا حيث كانت ستجيء "وما قوم لوط منكم ببعداء " ، أو "ببعيدين" أو "ببعيدات" أو ببُعْد ... إلخ ما يمكن أن تجيء عليه هذه الفاصلة .

لكن النص – رغبة في تماسك موسيقاه بعدما تم تماسك لفظه ومعناه – عدل إلى الإفراد والتذكير والتأخير حيث آخّر وقدّم ، آخر صيغة بعيد ، وقدّم عليها متعلقها الجار والمجرور "منكم" ولولا ذلك أيضًا لجاءت الآية " **وما قوم لوط ببعيدين منكم** " .

العدول إلى المذكر

ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) " الفرقان ٢٥/٤٥ "

قال الزجاج : دليل : فعيل بمعنى فاعل ، وقيل بمعنى المفعول ، أي : دللنا الشمس على الظل ، حتى ذهبت به أي : أتبعناها إياه ، فالشمس دليل ، أي حجة وبرهان ولم يؤنث ، وهو صفة للشمس ، لأنه في معنى الاسم.

كما يقال : **للشمس برهان ، والشمس حق** "[1].

عدد آيات سورة الفرقان ٧٧ آية جاءت في مقطعين اثنين ، المقطع الأول عدد آياته اثنتان وستون آية جاء روي كل فاصلة منه مختومًا بألف مردوفًا بياء أو بحرف صحيح مفتوح وجاء المقطع الثاني مسبوقًا رويّه بألف ومختومًا بها أيضًا وذلك في ١٥ خمس عشرة آية .

ومن نماذج المقطع الأول قوله سبحانه : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ الفرقان(٤٢). وهكذا توالت فواصل الآيات تقديرًا ، نشورا ، زورًا ، أصيلًا...

ويبدأ المقطع الثاني بالآية ٦٣ : " **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)**" ٦٣ ثم تتوالى فواصل هذا المقطع فتجيء قيامًا ومقامًا وقوامًا أثامًا، مهانًا...إلى آخر السورة " **فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)**".

والملاحظ أن الآية التي وردت فيها الفاصلة قد عُدل بها من التأنيث إلى التذكير هي الآية رقم ٤٥ " **... ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥)**" فقال دليلًا ولم يقل دليلة .

وقد رأينا تعليل الزجاج لهذا العدول حيث رأى أن لفظة " دليل " لا تؤنث هنا لأنها أصبحت وصفًا للشمس بمثابة الاسم ، مثل الشمس حق ... إلخ لكننا بصدد درس دلالي تأثر بالإيقاع وأثر فيه ولأن قانون التغير هنا له حضوره الذي نظر إلى السورة على أنها مكونة من مقطعين كبيرين يحوي كل مقطع منهما مجموعة كبيرة من الآيات لها رويها الذي يناسبها ، فإن العدول إلى التذكير في هذه الفاصلة كان مناسبًا لقوانين الإيقاع وعلى رأسها قانون التغير حتى تتناغم جميع آيات المقطع فيما بينها تناغمًا بديعًا يؤثر في القلوب والعقول

---

(1) الجمل ٢٦٢/٣

إن الشمس هي التي تحدث الظل ، وهي سببه ودليله ولا بد للدليل من قوة تجعل قيادته للأشياء مقبولة ومقنعة ؛ لذلك جاء العدول إلى التذكير ليؤكد على هذه الحقيقة ، حقيقة أن الله مد الظل ، وخلق في الشمس قوة تجعلها قائدًا لكثير من المخلوقات الكونية لتدور في فلكها متأثرة بها ، وكل ذلك بقدرة من الله سبحانه وقد يحدث أن تنزع كل هذه الإمكانات من كل الموجودات والشمس واحدة من هذه الموجودات فلا تصبح فيها قدرة على شيء لا على التحكم في غيرها أو التأثير فيه ولا على التحكم في نفسها.

العدول إلى التذكير في سورة يس :

في سورة يس ٧٨ قال تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ ٧٩

قال القرطبي : وهي رميم : أي بالية . من رمّ العظمُ فهو رميم ورمام . وإنما قال رميم ولم يقل رميمة ؛ لأنها معدولة عن فاعلة ، وما كان معدولًا عن وجهه ووزنه كان مصروفًا عن إعرابه كقوله : " وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ **بَغِيًّا** (٢٨)" أسقط الهاء ؛ لأنها مصروفة عن باغية – وقيل : إنّ هذا الكافر أُبيّ بن خلف قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن سحقتها وأذريتها في الريح أيعيدها الله ؟!! فنزلت : " **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** " فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : نعم يبعثها ويدخلك النار "[1].

العدول إلى المذكر :

–" **قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** (٧٨)" يس ٧٨ ، قال أبو حيان قال الزمخشري :

هي الرمة والرفات فلا يقال : لِمَ لمْ يؤنث وقد وقع خبرًا لمؤنث ، ولا هو فعيل بمعنى فاعل ، أو مفعول"[2].

سورة يس من السور المكية وعدد آياتها ٨٣ آية جاءت فواصلها على حرفين اثنين فقط هما النون أو الميم ، مع حرفين فقط من حروف المد كانا ردفًا لحرفي

([1]) القرطبي جـ١٥/٨٥ جـ١١ / ٩٩

([2]) راجع الكشاف جـ ٣١/٤ والبحر ٣٤٨/٧ والدراسات قسم ٣جـ٤ /٢٦٦

الروي حيث جاء حرف الواو مع النون ولم يجئ أبدًا مع الميم [1] وكذلك جاء حرف الياء مرة مع النون ومرة مع الميم . فكأن فواصل هذه السورة جاءت هكذا (ون – ين – يم)

وكأن قانون التكرار الذي هو عمدة قوانين الإيقاع السبعة قد تجلى في أحسن صوره في هذه السورة فقد تكرر روي النون وروي الميم في السورة كلها لكنه تكرار يسوده النظام " ويحيط به قانون " التغيير" الجميل الذي يفرضه السياق .

وسورة " يس " من السور المكية التي انشغلت بخطاب مكذبي الرسل ومنكري البعث ، وضرب الأمثال لهم لعلهم يفيقون من غفلتهم ويثوبون إلى الحق بعد ترك العناد والاستكبار . وتنتهي السورة بعد رحلتها الكونية المملوءة بالآيات الداعية إلى الإيمان ، تنتهي بضرب مثال يحمله سؤال: " **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** (٧٨) " ثم تجيء الإجابة الصادقة التي يقولها المؤمن والكافر " **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** (٧٩) " ثم تتوالى صفات هذا " **الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ...**"

وعندما نعود إلى قراءة هذه الآيات في المساحة من الآية ٧٧-٨٣ نلاحظ أن العدول الذي أحدثته الآية ٧٨ في لفظ " رميم " بدلًا من رميمة هو عدول فرضته قوانين الإيقاع الموسيقي الجميل وفرضه سياق الآيات ، وسمحت به اللغة الجميلة . فلفظة " رميم " مذكرة وهي على وزن فعيل ، جاءت خبرًا للضمير "هي" العائد على " العظام " والعظام جمع تكسير يوصف بالمؤنث كما هو معروف في كتب النحو ، فكان الأولى أن يقال : " وهي رميمة " وقد زاد في ترشيح تأنيث " رميم " مجيئها خبرًا للضمير " هي " الدال على المؤنث لكنّ النظم القرآني آثر واستحسن العدول إلى تذكير "رميم" بدلًا من تأنيثها ليحقق دلالات عديدة منها الدلالة الإيقاعية التي وردت فيها هذه اللفظة حيث كان تأنيثها سوف يؤدي إلى خلل في موسيقى الآيات، ونفور في إيقاعها "رميمة " كما أن تأنيثها كان سيعطي إحساسًا بسهولة إعادة خلق العظام ، لما يوحي به التأنيث من

---

(١)- المعروف أن روي الميم لم يردف بحرف الواو في القرآن الكريم إلا مرات معدودة ، قليلة لا تتجاوز ٣٦ مرة في كل القرآن . الفاصلة في القرآن ص ١٩٧ .

الضعف واللين ، والطواعية ، والانقياد ، فيدعي غير خالقها ذلك فكان العدول إلى التذكير إشارة إلى استحالة حدوث إعادة خلق هذه العظام من غير خالقها الأول لما في التذكير من معاني القوة والصلابة . هذا ملمح يمكن اقتناصه من دلالات التذكير العامة العديدة الكثيرة ، أضف إلى ذلك الملمح الذي ذكره سيبويه من أن التذكير أخف على ألسنتهم في الاستعمال والنطق من التأنيث " .

العدول إلى التذكير في فواصل سورة الشورى : رقمها ٤٢ جاء ذلك في قوله سبحانه: "**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)** " آية ١٧ قال أبو حيان : ذكرها على معنى البعث أي : لعل البعث قريب : أو على حذف مضاف أي : لعل مجيء الساعة قريب "[١] .

وقال في المشكل شيئًا قريبًا من هذا حيث قال : وإنما ذكر قريب لأن التقدير لعل وقت الساعة قريب ، أو قيام الساعة ، ونحوه [٢].

وقال الشيخ عضيمة : قيل جاء مذكرًا على النسب أي: ذات قرب ، وقيل ذُكِّر للفرق بينه وبين قرابة النسب،وقيل ذكِّر لأن التأنيث غير حقيقي أو حملًا علىالمعنى"[٣].

وعند القرطبي حديث له قيمته حول لفظة " قريب " قال القرطبي : **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)** " فلم يخبره بها ، يحضه على العمل بالكتاب والعدل والسوية، والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئه اليوم الذي يكون فيه المحاسبة ووزن الأعمال ، فيوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف و" لعل الساعة قريب " أي منك وأنت لا تدري .

وقال قريب " ولم يقل قريبة ، لأن تأنيثها غير حقيقي لأنها كالوقت ، قاله الزجاج، والمعنى لعل البعث أو لعل مجيء الساعة قريب وقال الكسائي : قريب نعت ينعت به المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد .

قال الله تعالى : " **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)** "

---

(١)- البحر المحيط : جـ ٥١٣/٧ .

(٢)-المشكل جـ ٢٧٧/٢ .

(٣)- دراسات لأسلوب القرآن قسم ٣جـ ٤ / ٢٧٢ .

قال الشاعر :

وكنا قريبًا والديار بعيدة   فلما وصلنا نُصب أعينهم غبنا

إن عدد آيات سورة الشورى ٥٢ آية

وقد اعتمدت السورة قانون التغيير الذي يساعدها في تنويع إيقاعاتها في روي فواصلها .

لكنها اعتمدت قانون النظام أو التكرار في ردف حرف الفاصلة حيث جاء حرف المد الياء ردفًا لمعظم حروف الفاصلة سواء كان حرف الفاصلة حرف الروي ميمًا أم راء أم باء أم دالًا أم صادًا أم لامًا فقد كان حرف الردف لكل حروف الروي هو الياء في كل الآيات باستثناء آية ٢٣ ، ٢٤،٢٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٤٩ فكلها جاء حرف الردف فيها هو الواو وباستثناء آية ٢ فقد جاء حرف الردف فيها هو الألف " عسق".

والملاحظ على موسيقى الآيات أنها اختارت إيقاعًا مناسبًا لمعانيها لتحدث في الآذان والعقول قبولًا شعوريًا يصحبه قبول عقلي .

فهؤلاء الذين امتهنوا مهنة معاندة الأنبياء ومكابرتهم بحجج واهية ، لن ينالوا إلا العذاب الشديد القوي المؤلم وسيحدث ذلك لا محالة عندما يوضع الميزان وتبدأ ساعات المحاسبة تالية لقيام الساعة أما وقت قياسها وزمنه فهو قريب، بل هو في صدق حدوثه سريع ، وجاء العدول إلى التذكير ليصدق هذا القرب وهذه السرعة المنتظرة لقيام الساعة . ومن يطالع آيات القرآن الكريم يجد استحسان النص القرآني لتذكير لفظة " قريب " في غير موضع من آياته في الفواصل، وفي غير الفواصل نلاحظ ذلك في قوله سبحانه :" **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)**" الأعراف ٥٦ "

قال أبو عبيدة : هذا موضع يكون في المؤنثة والاثنين والجمع والمذكر كلها بلفظ واحد ، ولا يدخلون فيها الهاء ؛ لأنه ليس بصفة ، ولكنه ظرف لهن وموضع ، والعرب تفعل ذلك في قريب وبعيد ، قال الشاعر :

فإن تمس ابنة السهمي منا   بعيدًا لا نكلمها كلامًا.

وقال الشنفرى :

تؤرقني وقد أمست بعيدًا   وأصحابي يعيبهم قبالة

فإذا جعلوها صفة في معنى مقتربة قالوا : هي قريبة وهما قريبتان وهن قريبات"[١] (٤٧)

العدول إلى التذكير

العدول من المؤنث إلى المذكر في سورة الذاريات

﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ سورة الذاريات (٢٩) .

قال ابن الأنباري [٢] **وامرأة عقيم** سمعت أبا العباس يقول : والمعنى : وقالت أنا عجوز عقيم "

قال السهيلي في الروض الأنف [٣]: والرئيّ فعيل بمعنى مفعول ولا يكون إلا من الجن ولا يكون فعيل بمعنى مفعول في غير الجن إلا أن يؤثر فيه الفعل " نحو : جريح ، وقتيل، وذبيح ، وطحين ، ولا يقال من الشكر ، شكير ولا ذكرته فهو ذكير ولا فيمن لطم لطيم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطيم شيطان .

وقالوا من الحمد حميد وذهبوا به مذهب كريم "[٤]

فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم : الذاريات ٢٩

العَقْم والعُقْم ، بالفتح والضم هَزْمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد ، عقِمتْ الرحم عقْما وعُقِمت عقمًا وعَقَمًا ، وعقَمَها الله يَعقِمها عقْمًا

ورَحِم " **عقيم** " وعقيمة معقومة ، والجمع عقائم وعُقُم وعقُمتْ إذا لم تحمل فهي عقيم

ولقد عُقِمت فهي معقومة .

وحكَى ابن الأعرابي : امرأة عقيم ، بغير هاء : لا تلد من نسوة عقائم ، وزاد اللحياني من نسوة عُقْم وقال أبو دَهْبَل يمدح عبد الله بن الأزرق المخزومي :

---

(١) مجاز القرآن جـ ٢١٦/١ .

(٢) المذكر والمؤنث ٢٣٧

(٣) الروض الأنف ١٨٥

(٤) المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٢٣ -٢٤١ والمخصص جـ ١٥٤/١- ١٦٠.

عَقِم النساء فلن يلدْنَ شَبْهَه إن النساء بمثله عُقْم

قال ابن بري : الفصيح عقم الله رحمَها ، وعقمت المرأة ، ومن قال عَقَمَت أو عقِمَت قال أعقمها الله وعقمها .

قال ابن الأثير : والمرأة عقيم ومعقومة ، والرجل عقيم ومعقوم ، ورحم معقومة أي مسدودة لا تلد .

والدنيا عقيم أي لا ترد إلى صاحبها خيرًا

ويوم القيامة يوم عقيم أي ليس بعده يوم

والملك عقيم أي يقضي على أصحابه

والريح العقيم التي لا نفع فيها .

ومن ذلك العدول إلى التذكير في قوله سبحانه : **﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾** " الذاريات (٢٩) "

إن سياق هذه الفاصلة " **عقيم** " قد هُيِّئَ لهذا الحرف " الميم " حيث جاءت الآية السابقة مباشرة بفاصلة منتهية بحرف الميم آية ٢٨ .... "وبشروه بغلام عليم " ثم جاءت الآية الثلاثون كذلك لتؤكد اهتمامها بفاصلة الميم ، لا بفاصلة التاء المربوطة " **عقيمة** " بل إن السورة كلها قد خلت تمامًا من فاصلة تنتهي بتاء مربوطة .

والسؤال الكبير هنا هو لماذا عدلت الفاصلة عن تأنيث " **عقيمة** " إلى تذكيرها " **عقيم**"؟

والإجابة تحملها الآية نفسها ، حيث إن الآية بدأت بفعل مؤنث فأقبلتْ امرأته ، وثنت بفعل مؤنث فصكتْ وجهها ، **وثلثت** بفعل ثالث وقالتْ ... وكلها أفعال تم تأنيثها وجوبًا لأن فاعلها مؤنث حقيقي التأنيث – يبيض أو يلد ، يتناسل – وبتكرار تأنيث هذه الأفعال تأكد للقارئ أن الفاعل مؤنث والإحالة عليه هي ضمير مؤنث في الفعلين فصكت وقالتْ " فكان العدول إلى التذكير هنا لا ينتج لبسٌ أو خلط ؛ لأن الفاعل قد أصبح معروفًا هو امرأة نبي الله إبراهيم عليه السلام .

هذا أمر ، وأمر آخر مهم هو أن تذكير " **عقيم** " يناسب الحالة التي تعيشها امرأة سيدنا إبراهيم فقد بلغت من العمر أرذله ، وأصبحت تشعر أنها قد خلت من أهم صفة

تميزها عن الرجال وهي الحمل والولادة، لكنها الآن في هذه السن لم تعد تعيش هذا الإحساس الأنثوي من حدوث بل تعيش إحساسًا آخر هو خلو الذهن من حدوث هذا الأمر وهو إحساس الرجال الذين يستحيل عندهم التفكير في حدوث هذا لهم ، فكان العدول إلى تذكير هاتين الصيغتين " عجوز – عقيم " ليناسب هذه الحالة التي كانت تعيشها زوجة نبي الله إبراهيم مع أن تأنيث هاتين الصيغتين في اللغة وارد وليس خطأ، بل إن العرب استخدمت التذكير والتأنيث في الصيغتين بغض النظر عن الفروق الدقيقة التي نقلتها كتب اللغة في ذلك .

قراءة إحصائية لسورة الذاريات :

عدد الآيات ٦٠ آية .

عدد فواصل النون ٣٩ فاصلة .

عدد فواصل الميم ٩ فواصل

أما الفواصل الاثنتا عشرة الباقية فقد توزعت على حروف الراء والكاف ، والقاف ، والفاء ، والعين " احتوت فواصل السورة على أنواع متعددة من العدول

ففيها عدول من المؤنث إلى المذكر " ﴿ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢٩) وفيها عدول إلى التقديم ١١، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٥٠ ،٥١

وفيها عدول إلى حركة بدلًا من حركة "الحبك" ٧

وفيها استغناء بحذف المفعول في ٢٧

وفيها عدول عن النصب إلى الجر بحرف الجر الزائد٥٤

وفيها عدول إلى حذف ياء الإضافة – أو استغناء عن المفعول يطعمون ٥٧ ، فلا يستعجلون ٥٩ ، يدعون ٦٠ .

إن عدد آيات سورة الذاريات ٦٠ آية استأثرت فاصلة الميم والنون على ثمان وأربعين من فواصل السورة كلها حيث جاءت الفاصلة على حرف النون المردوفة بواو أو بياء في تسع وثلاثين فاصلة ، وجاءت تسع فواصل على حرف الميم المردوفة بالياء في ثمانية آيات ومردوفة بالواو في واحدة " فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤)".

ثم توزعت فواصل بقية آيات السورة على حروف الواو المفتوحة أو الراء أو القاف – العين – الكاف ، الفاء ثم الكاف .

وقد اعتمدت فواصل السورة على قانون من قوانين الإيقاع ، كما يظهر من الإحصاء السابق حيث كان قانون التغير وقانون النظام .

فعدد مقاطع السورة هو ثلاثة مقاطع بسيطة باعتبار كل مجموعة آيات ذات روي موحد تعد مقطعًا ، وبذلك نجد المقطع الأول قد انتهى بألف بعد الروي وذلك في ٤ آيات وانتهى المقطع الثاني بوزن فاعل ٢ + ٣ فعل ثم جاء المقطع الثالث كما قلنا بواو أو ياء قبل الروي فكأن قانون التغيير قد استخدمته السورة في عدد قليل من فواصلها ثم لجأت إلى قانون النظام الذي كان عمدة لحرف الردف ، وحرف الردف في معظم فواصل السورة .

كل ذلك جعل إيقاع الآيات ذا جمال خاص تلتقطه الأذن في راحة وسعادة واستمتاع ويقبل عليه العقل في اندهاش وإعجاب بقدرة الخالق جلت قدرته عندما ساق لغة كتاب السماء إلى الأرض مناسبة لأداءات أهلها وتصرفاتهم في لغتهم ، حيث كانوا ينزعون إلى العدول في تراكيبهم وقد جاء النظم بهذا العدول في لفظة ﴿عَقِيمٌ﴾ ﴿ قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ولم تقل "**عَجُوزَة عَقِيمة أو عجوز عقيمة** " وقد ناسب هذا العدول المساحة المحيطة بهذه الآية ما قبلها وما بعدها حيث تقاربت مخارج حروف الفواصل في هذه الآيات حيث جاءت النون أو الميم مسبوقتين بحرف المد الياء أو الواو ، وهذا أمر قد ساعد كثيرًا في إحداث نغم جميل ممتع في فواصل هذه الآيات واكتمل هذا الجمال بحدوث العدول إلى التذكير في لفظة " عقيم " لنحس بما كانت تحسه زوج نبي الله إبراهيم عليه السلام من دهشة واستنكار . سعيد بما بشرت به ، إنها في عمر لا يسمح لها بحمل أو برضاعة ، بل إنها في مرحلة يستوي فيها الذكر والأنثى في هذا الجانب فكيف تبشر بذلك الأمر المستحيل عقلًا فكان العدول إلى التذكير لفظة " عقيم " مناسبًا لكل ذلك الذي جرى في ذهنها وهي تتلقى خبرًا سعيدًا كهذا الخبر .

العدول من التأنيث إلى التذكير

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ القمر (٢٠)".

قال الآلوسي[1]: والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث ، يذكر نظرًا للفظ ، ويؤنث نظرًا للمعنى .

وهنا ورد مذكرًا فتم وصفه بلفظة ﴿مُنقَعِرٍ﴾ وورد مؤنثًا في قوله تعالى : كأنهم أعجاز نخل خاوية الحاقة ٧ ".ثم قال الآلوسي : واعتبار كل في الموضعين للفاصلة .

وسيأتي حديث مفصل عن هذين الموضعين في الحاقة في قوله سبحانه : " كأنهم أعجاز نخل خاوية " .

قال أبو بكر بن الأنباري : سُئل المبرِّد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة " ومما ورو فيها فقد قيل له: ما الفرق بين قوله تعالى :" **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً** "[٢] بالتأنيث وقوله سبحانه : " **جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ** [٣] وقوله سبحانه : " **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** (٧) " [٤] وقوله سبحانه: " **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** (٢٠)" [٥].

فقال المبرد : كلما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرًا أو إلى المعنى تأنيثًا ، وقيل : إن النخل والنخيل بمعنى يذكّر ويؤنث كما ذكرنا "[٦].

لكن القرطبي كان قد قال في سورة يونس إن عاصف " مذكر لأن لفظ الريح مذكر "[٧] وفي سورة الأنبياء قال : عاصفة أي : شديدة الهبوب ، يقال منه عصفت الريح أي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف ، وفي لغة بني أسد : أعصفت الريح فهي مُعْصف ، ومعصفة ، والعَصْف التبن ، فسمي به شدة الريح ؛ لأنها تعصفه بشدة تطيرها[٨].

---

(١) جـ ٢٧/٨٧

(٢)- الأنبياء ٨١ .

(٣)- يونس ٢٢ .

(٤)- الحاقة ٧ .

(٥)- القمر ٢٠ .

(٦)- القرطبي جـ ١٧ / ١٣٧ .

(٧)- القرطبي جـ ٨/ ٣٢٤ .

(٨)- القرطبي جـ ١١/ ٣٢٢ .

تعتبر سورة القمر من السور الإحدى عشرة [1] التي وحّدت كل منها فاصلتها على حرف من حروف المعجم فقد جاءت هذه السورة موحدة لفاصلتها ، وكان قانون النظام هو القانون الإيقاعي الذي يمكن الإحساس به وإدراكه في نسيج هذه السورة ، وهو قانون يتصف بأهم صفة من صفاته وهي إثارة التوقع ثم إشباع هذا التوقع ، واطراد الفاصلة في القرآن عامة، وفي هذه السورة خاصة جزء من اطراد النظام في القرآن كله ، وهي خاصية من خواص هذا النص المعجز تميزه عن غيره من النصوص النثرية أو الشعرية .

لقد جاءت فواصل سورة القمر على حرف الراء وغني عن البيان أن نقول إن العدول إلى التذكير في هذه السورة قد تم مراعاة للفاصلة .

هذه السور هي : الكوثر – القدر – العصر – المنافقون – الأعلى – الليل – الشمس – الفيل – الإخلاص – الناس " بالإضافة إلى سورة القمر [2]

جاء في ظلال القرآن :

هذه السورة من مطلعها إلى ختامها حملة رعبية مفزعة عنيفة على قلوب المكذبين بالنذر ، بقدر ما هي طمأنينة عميقة وثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة وبرغم أن السورة – من حيث حرف الفاصلة – جاءت مقطعًا واحدًا – إلا إنها يمكن تقسيمها إلى حلقات متتابعة ، كل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين ، بأخذ السياق في ختامه بالحس البشرى فيضغطه ويهزه ويقول له : فكيف كان عذابي ونذر .

ثم يرسله بعد الضغط والهز ويقول له : " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكر" .

وفي الحلقة الثانية أو المشهد الثاني من مشاهد هذه السورة التي تعرض التعذيب الذي سيلقى المكذبين للنذر وبخاصة قوم عاد ، إنها ريح صرصر تنزع القوم وتجذبهم وتحطمهم ، فتدعهم كأنهم أعجاز نحل مهشمة مقلوعة من قعورها ؟!

---

(١)– هذه السور هي : الكوثر – القدر – العصر – المنافقون – الأعلى – الليل – الشمس – الفيل – الإخلاص – الناس ، " بالإضافة إلى سورة القمر – الفاصلة في القرآن الحسناوي ص ٢٠٨ .

(٢) الفاصلة في القرآن الحسناوى ص ٢٠٨ .

والمشهد مفزع مخيف ، وعاصف عنيف ، والريح التي أرسلت على عاد ، وهي من جند الله ، وهي قوة من قوى هذا الكون من خلق الله ، تسير وَفْق الناموس الكوني الذي اختاره، وهو يسلطها على من يشاء بينما هي ماضية في طريقها على ذلك الناموس الكوني الذي اختاره ، وهو يسلطها على من يشاء ، بينما هي ماضية في طريقها مع ذلك الناموس بلا تعارض بين خط سيرها الكوني ، وأدائها لما تؤمر به وفق مشيئة الله صاحب الأمر وصاحب الناموس .

ثم تجيء الآية الرادعة التي يطلقها رب العزة والجبروت متعاليًا التعالي الذي هو أهله ، متجبرًا التجبر الذي هو صفة من صفات جلاله على من كذبوا رسله من عاد الذين مضت نهايتهم في هذه السورة وفي غيرها من السور المكية ، ثم يجيء مشهد ثمود ... [1].

ولعلنا لاحظنا العدول إلى التذكير في "**منقعر** " صفة للنخل في هذه الآية ، حيث إن هذه الريح كانت في عملياتها مستمرة في نزع هؤلاء القوم ، أخذًا وردًا ، وخلعًا من الأرض وإسقاطًا ، إنها تفعل بهم مثلما تفعل بالنخل فتقعره من جذوره ، فترمي به في الأرض ، إنه مشهد الحركة ، ومشهد مقاومة محاولة النجاة من بطش هذه الريح ، ويستمر قوم عاد – بقوتهم وطولهم الفاره الذي اتصفوا به ومتانة جسدهم يستمرون في مقاومة الريح العاصفة ، وتستمر الريح في قعرهم وصرعهم ، وتحطيمهم فيظهرون للعيان كأنهم – في بادئ الأمر – أعجاز نخل **منقعر** مخلوع أو مقلوع من جذره ، ثم يتحولون بعد فترة طويلة إلى جُثَث – جثث عمالقة – قد فرغت من محتواها ، ولم يبق منها إلا العظم اليابس – فتصفهم آيات أخرى في سورة أخرى بأنهم أعجاز نخل خاوية !! من أجل ذلك جاء صفتهم مرة بـــ منقعر ، ومرة بـــ خاوية ، لتناسب حالهم في كل مرة ، وتناسب السياق وإيقاع المشهد على كل حال .

العدول إلى التذكير في سورة نوح في قوله سبحانه :–

﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا** ﴾ " نوح (١١)"

---

(١)– في ظلال القرآن جـــ ٢٦ / ٣٤٣٠ .

قال ابن الأنباري في المذكر والمؤنث تحت باب عقده لصيغة " مفعال " بدأه بقوله: اعلم أن " مفعال " يكون نعتًا للمؤنث بغيرها لأنه انعدل عن المنعوت انعدالًا أشد من انعدال صبور وشكور ، وما أشبهها من المصروف عن جهته ؛ لأنه شبه بالمصادر لزيادة هذه الميم فيه ؛ ولأنه مبني على غير فعل ، ويجمع على مفاعيل ، ولا يجمع المذكر بالواو والنون ولا المؤنث بالألف والتاء إلا قليلًا "[1].

وقد نقل هذا الكلام كله ابن سيده في [2] مؤيدًا له قائلًا به ، وكان ابن منظور في اللسان قد ذكر أن العرب تقول : " **سماء مدرار ومطر مدرار**" [3].

العدول إلى التذكير في مفعول – فعيل

وفي سيبويه[4]: وزعم الخليل أن فعولًا وفعالًا ومفعلًا نحو قؤول ومقوال ، إنما يكون في تكثير الشيء وتشديده والمبالغة فيه ، وأنه وقع في كلامهم على أنه مذكر ..."

وفي المشكل [5]: " ولم تثبت الهاء في مفعال لأنه للمؤنث بغيرها يكون إذا كان جاريًا على الفعل نحو امرأة مذكار ، ومئناث ومطلاق " .

وجاء في البحر المحيط[6]: مدرارًا من الدر وهو صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث " ومفعال " لا تلحقه التاء إلا نادرًا ، فيشترك فيه المذكر والمؤنث ، تقول رجل مجذامة ، ومطرابة ، وامرأة مجذامة ، ومطرابة "

وقال الرضي[7]: ومما لا يلحق تاء التأنيث غالبًا مع كونه صفة ، فيستوي فيه المذكر والمؤنث مفعال " ويفعل ومفعيل " وفعال مثل : معطار ، ومحرب ، ومنطِق / وحَصان وحكى سيبويه : امرأة جبان ، وجبانة ، وناقة ، ولاث " هذا ويمكن ملاحظة أمرهم في العدول إلى التذكير في لفظة " مدرار " وصفًا " حالًا " لكمة السماء قبلها ،

(١)– المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٧٢ – ٢٧٦ .

(٢)– المخصص جـ ١٦/ ١٣٥ ، ١٣٧ .

(٣)– لسان العرب مادة : درر ، دار المعارف .

(٤) سيبويه جـ٢/٩١

(٥) المشكل حـ٢/٤١١

(٦) جـ٨/٣٣٩

(٧)جـ٢/١٥٥

وهي مؤنثة ، هذا الأمر هو أن وصف السماء بأنها مدرار – على سبيل الحالية ، هو ليس وصفا لها – أو حالًا منها – بقدر ما هو حال من المطر المراعاة في السياق ، وهو ما يسمى بالمشاكلة "

حيث يذكر – فيها الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا ، ومن ذلك قول أبي تمام :

من مبلغ أفناء يعرب كلها   أني بنيت الجار قبل المنزل

فقد قال أبو تمام: بنيت الجار " وهو يقصد بناء الدار أو إكرام الجار ، لكنه عَدَل عن ذلك لورود لفظة المنزل في البيت ليشاكل بينها وبين الفعل " بنى " " والجار " " المنزل " .

ويعلق د.حماسة على هذا البيت الذي نقله في هامش ٤٤ ص ٥٤ كتابه النحو والدلالة بقوله : ومن ذلك أن رجلًا شهد عند القاضي شريح فقال له : إنك لسبط الشهادة " فقال الرجل : " إنها لم تُجعّد عني " فالذي سوغ "بناء الجار " وتجعيد الشهادة " هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ولولا سبوط الشهادة لامتنع تجعيدها "وبناء الجار وسبوطة الشهادة كسر في مجال الاختيار " .

ولفظة كسر الاختيار هي نفسها لفظة العدول في الاختيار ، وإن كانت اللفظة الأولى أقرب إلى النتيجة، واللفظة الثانية أعم وأشمل .

إن هذا الباب الخاص بالعدول في الاختيار باب واسع وعظيم ، ومهم ، وهو باب منتشر في القرآن الكريم في نسيج آياته وفي فواصله ، ودراستنا كما قلنا اقتصرت على جانب واحد من جوانب العدول في القرآن هو جانب العدول في الفاصلة فقط .

لقد تنبه علماؤنا الأقدمون إلى ظاهرة المشاكلة في الأسلوب القرآني سواء كانت في الفواصل أم كانت في غير الفواصل ، ومما جاء في غير الفواصل ويصح تسميته بالمشاكلة لمراعاة لفظة أخرى في السياق قوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾التحريم (٨).

قال الزمخشري : نصوحًا " يوصف بها الإنسان " فعلى هذا روعي تذكيرها لأن المقصود وصف الإنسان بأنه نصوح في التوبة " وقد ساعد السياق على فهم ذلك ،

وساعد على قبول العدول فيه من تأنيث نصوح " إلى تذكيرها ، وكذلك مدرار " برغم أن النحاة قد نصوا على أن مثل هذه الصيغ مما يجوز استخدامه للمذكر والمؤنث بلفظ المذكر . يقول : Jihn Lyons : أعطني السياق الذي وضعت فيه الكلمة ، وسوف أخبرك بمعناها :" ويضيف : ومن المستحيل أن تعطي معنى كلمة بدون وضعها في سياق " وتكون المعاجم مفيدة بقدر ما تذكره من عدد سياقات الكلمات وتنوعها " (١) .

ومن ينظر إلى لفظة " مدرار " في القرآن الكريم " يجد أنها تكررت أكثر من مرة وذلك في ثلاث سور وصفًا للسماء في غير فاصلة(٢) فكأن العدول إلى تذكيرها في كل القرآن في فواصله وفي غير فواصله كان إشارة قوية إلى استحسان النص القرآني إلى تذكير هذه اللفظة ثم هو إشارة أخرى إلى استحسان النص القرآني إلى تذكير لفظة: مدرار " في سورة نوح بصفة خاصة.

قراءة إحصائية لسورة نوح :

عدد آيات هذه السورة هي ٢٨ ثمان وعشرون آية

حركة روي الفواصل كلها هي الفتح باستثناء الآيات الأربع الأولى من ١-٤ .

حرف الفواصل الأخير في هذه السورة هو الراء حيث بلغ عدد الفواصل التي جاءت على حرف الراء حوالي ١٩ فاصلة من المجموع الكلي لآيات السورة ثم جاءت الفواصل الباقية على الميم والنون في الآيات ١-٤ حيث جاءت الميم مردوفة بياء في آية ١ أليم وآيات ٢، ٣ ، ٤ ، فقد جاءت النون مردوفة بياء ثم نون مردوفة بواو " مبين ، أطيعون ، تعلمون "

بنيت بقية فواصل السورة على حركة الفتح على الراء أو على الجيم فاصلتين أو على القاف في فاصلة وكذلك التاء وكذلك الطاء واللام .

المهم أن حركة الفتح الناتج عن المد للألف هو حركة فاصلة السورة الأساسية .

---

(١) - Inttduction Theroretical , P . 410 ، نقلا عن النحو والدلالة د. محمد حماسة هامش ٤٥ ص ٥٥ .

(٢) - الأنعام آية ٦ ، وهود ٥٢ ، ونوح ١١ .

" إن السورة كلها بدأت تقص قصة نوح – عليه السلام – مع قومه ، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض استمرت ألف سنة إلا خمسين عامًا مع قوم أعمارهم كذلك وهي تجربة تكشف عن صورة من صور البشرية العنيدة الضالة المعرضة عن دلائل الهدى وموجبات الإيمان" [1].

إن عناد قوم نوح وتكذيبهم يحتاج إلى قوة في مواجهته ولا تكون هذه القوة إلا بالعدول من التأنيث إلى التذكير وهذا أدعى إلى حمل هؤلاء إلى ما تريده السماء منهم ، وهو عمل فيه شيء من المقاصة والفائدة لهؤلاء المكذبين فاستغفارهم وتوبتهم إلى الله سوف يكون مقابلها مغفرة الله لهم ومنه عليهم ورحمته بهم ويتمثل ذلك بإرسال السماء عليهم مدرارًا ، ويجعل لهم جنات ويجعل لهم أنهارًا " لكنهم – ويا للأسف لا يرجون لله وقارا".

إن عناد قوم نوح يحتاج إلى كل قوة في صدق الوعود، وصدق الخير الذي ينتظر المؤمنين منهم وقد لجأت السورة إلى كل ألوان الموسيقى الداخلية والخارجية لتحقيق ما تهدف إليه ولحمل قوم نوح على اليقين بكل ما يخبرهم به نبيهم نوح عليه السلام ، إنه قضى معهم زمنًا طويلًا يلاطفهم ويستميلهم بكل وسائل اللين ويرغبهم – باللين – ويرهبهم وقضى في ذلك زمنًا طويلًا حتى نفد صبره بعد قرابة ألف عام فجاء تهديده لهم بقوة وصدق ما يعدهم به من خير أو شر " فكان التذكير في مدرار " أنسب من التأنيث " مدرارة " في هذا السياق.

وإذا عدنا إلى سورة نوح لنقرأها قراءة مقطعية وجدنا أن السورة يمكن تقسيمها إلى مقطعين

المقطع الأول :- وبه أربع آيات رويها النون أو الميم مسبوقتين بياء أو بواو

والمقطع الثاني :- يشمل ٢٤ آية رويها جميعًا جاء على الألف قبل الروي المفتوح .

وهذا التنوع المحدود في فواصل هذه السورة حكمه قانون التغير من قوانين الإيقاع السبعة ، وهو قانون يعطي النص فرصته لكسر الرتابة ، ولإدخال إيقاعين

---

(١)- ظلال القرآن المجلد ٦/ ٣٧٠٦ سورة نوح .

مقبولين على الأذن كانت الأذن في حاجة إليهما لتسعد بجمال موسيقى الآيات المتآلفة مع معانيها أشد ما يكون عليه التآلف والانسجام .

العدول إلى التأنيث

في الحاقة

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (٧)

قال القرطبي : خاوية : أي : بالية ، قاله ابن الطفيل وقيل خالية الأجواف لا شيء فيها والنخل يذكر ويؤنث وقد قال الله سبحانه في موضع آخر : " **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)** " "القمر ٢٠ " .

فيحتمل أنهم شُبهوا بالنخل التي صرعت من أصلها وهو إخبار عن عِظم أجسامهم ، ويحتمل أن يكون المراد به الأصول دون الجذوع ، أي أن الريح قد قطعتهم حتى صاروا كأصول النخل خاوية ، أي أن الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف قال ابن شجرة : كانت الريح تدخل في أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو – من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية " البالية "[١].

عدد آيات سورة الحاقة ٥٢ وهي عند القرطبي ٥١ آية وهي مكية

عدد مقاطعها أربعة .

رويّها الأول " حاقة " جاء ثلاث مرات

رويها الثاني وزن فاعله ٢٦ مرة

رويها الثالث مختوم بواو وهاء ساكنتين ٣ مرات

رويها الرابع جاء على النون أو الميم أو اللام المسبوقان بمد ياء أو واو حوالي عشرين مرة

---

(١) - القرطبي جـ ١٨/ ٢١٦ ولعلنا نتذكر ما حدث في حرب تحرير الكويت ١٩٩١ م من المشاهد التي كانت تعرضها أجهزة التليفزيون للحرائق التي كانت تصيب العربات وعليها الجنود فيبلغ من شدة النار ولهيبها أن تصبح جثة الجندي متفحمة بما عليها من زي عسكري جوفاء يابسة كأنها تماثيل !!!!

قال المرحوم الشيخ سيد قطب : ويشارك إيقاع الفاصلة في السورة كلها برنته الخاصة وتنوع هذه الرنة وفق المشاهد والمواقف في تحقيق ذلك التأثير الحي العميق ... الحاقة ما الحاقة ؟ وما أدراك ما الحاقة ؟ " إلى الرنة المدوية في الباء والهاء الساكنة بعدها سواء كانت تاء مربوطة يوقف عليها بالسكون ، أو هاء سكت مزيدة لتنسيق الإيقاع طوال مشاهد التدمير في الدنيا والآخرة ومشاهد الفرحة والحسرة في موقف الجزاء ... ثم يتغير الإيقاع عند إصدار الحكم إلى رنة رهيبة جليلة مديدة .

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) **ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** (٣١) ثم يتغير مرة أخرى عند تقرير أسباب الحكم وتقرير جدية الأمر إلى رنة رزينة جادة حاسمة ثقيلة مستقرة على الميم أو النون : " **إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ** (٣٣) **وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** (٣٤) **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ** (٣٥) **وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ** (٣٦) " .

ثم يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله : وهذا التغير في حرف الفاصلة وفي نوع المد قبلها وفي الإيقاع كله ظاهرة ملحوظة تتبع تغير السياق والمشاهد والجو الذي تنقله الآيات وتتناسق مع الموضوع والصور والظلال تمام التناسق : وتشارك في إحياء المشاهد وتقوية وقعها على الحس في السورة القوية الإيقاع العميقة التأثير "

إنها سورة هائلة رهيبة ، لا بد أن يتلقاها الحس بهمزة عميقة ، وهي بذاتها أقوى من كل تحليل ومن كل تعليق[1].

إن جو سورة الحاقة كله جو جد وجزم وحزم كما أنه جو هول وروع وهو جو يوقع في الحس شعورًا بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة وبضآلة الكائن الإنساني تجاه هذه القدرة من جهة أخرى وأخذها له أخذًا شديدًا في الدنيا والآخرة عندما يحيد أو يتلفت عن هذا النهج الذي يريده الله للبشرية ممثلًا فيما يجيء به الرسل من الحق والعقيدة والشريعة فهو لا يجيء ليهمل ولا ليبدل إنما يجيء ليطاع ويحترم ويقابل بالتحرج والتقوى وإلا فهناك الأخذ والقصم وهناك الهول والروع " .

إن الألفاظ في السورة بجرسها وباجتماعها في التركيب ولدلالة التركيب كله ... تشترك في إطلاق هذا الجو وتصويره فهو يبدأ بالحاقة ... ثم يتبعها باستفهام حافل

---

(١)- ظلال القرآن جـ ٢٧ مجلد ٦ ص ٣٦٧٦ .

بالاستهوال والاستعظام لماهية هذا الحدث العظيم – الحاقة..."

ويبدأ الحديث عن المكذبين وما نالهم من الهول وما أخذوا به من القصم ، فذلك الأمر جدٌّ لا يحتمل التكذيب ، ولا يذهب ناجيًا مَنْ يصر فيه على التكذيب .

لاحظ ذلك في قراءة هذا المقطع : " **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)** "

وثمود – كما جاء في مواضع أخرى من القرآن – كانت تسكن الحجر في شمالي الحجاز بين الحجاز والشام وكان أخذهم بالصيحة كما سماها في غير موضع أما هنا فهو يذكر وصف الصحية دون لفظها (بالطاغية) لأن هذا الوصف يفيض بالهول المناسب لجو السورة ولأن إيقاع اللفظ يتفق مع إيقاع الفاصلة في هذا المقطع منها ويكتفي بهذه الآية الواحدة تطوي ثمود طيا وتغمرهم غمرًا وتعصف بهم عصفًا، وتطغى عليهم فلا تبقي لهم ظلًا "

وأما عاد فيفصل في أمر نكبتها ويطيل ، فقد استمرت وقعتها سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا على حين كانت وقعه ثمود خاطفة ... صيحة واحدة طاغية ......" **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** (٦) واللفظ " **صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** " فيه صرصرة الريح وقوتها وفتكها ؛ وذلك لتناسب عتو عاد وجبروتها المحكي في القرآن وقد كانوا يسكنون الأحقاف في جنوب الجزيرة بين اليمن وحضرموت وكانوا أشداء بطّاشين جبارين ؛ لذلك ناسبهم استمرار تسخير الريح العاتية سبع ليالٍ وثمانية أيام " ولكنها أيام ليست شيئًا مألوفًا في الفتك إنها أيام حسوم قاطعة مستمرة في القطع .

والتعبير يرسم مشهد العاصفة المزمجرة المدمرة ، كل هذه الفترة الطويلة المحددة " بسبع ليال وثمانية " .

ثم تجيء الآيات بعد ذلك تعرض النهاية التي وصل إليها القوم وديارهم وكل ممتلكاتهم فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية " المنظر معروض تراه والتعبير يلح به على الحس حتى يتملاه ، ويتحقق منه ، ويتأثر به " صرعى "

مصروعين، مجدلين ، متناثرين " كأنهم أعجاز نخل خاوية " بأصولها وجذوعها خاوية " فارغة تآكلت أجوافها فارتمت ساقطة على الأرض هامدة ضعيفة " خاوية"[1] إن العدول إلى التأنيث قد اتضحت معالمه واتضحت أسبابه إن النخل يمكن أن يوصف بأنه خاوٍ " لكنّ " هذا الوصف ربما يفيد بوجود بقية – ولو تافهة أو قليلة – من القوة – لكن الفاصلة عدلت إلى التأنيث لنقل كل هذا المشهد المعبر المؤثر الداعي – لمن يسمع تصويره – إلى العبرة والاتعاظ حتى لا تتشابه به النهايات !!!!!

والنخل تؤنث وتذكر كما قلنا في بداية هذا الحديث لكن النظم القرآني يستخدم التذكير عندما تدعو المناسبة إلى التذكير ويستخدم التأنيث عندما تدعو المناسبة إلى ذلك.

فقد استخدم التذكير عندما دعت الآيات بمعانيها وجرسها وإيقاعها إلى استخدام وصف النخل بالتذكير فقال : "**كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** " .

ولكنه هنا عدل عن وصف النخل بالتذكير ووصفه بالتأنيث كأنهم أعجاز نخل خاوية " لأن التأنيث في وصف النخل يناسب هذه النهاية المحتومة الكئيبة التي وصل إليها المكذبون من قوم عاد .

العدول إلى التأنيث اللفظي

﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ " القيامة (١٤) "

" بصيرة " الهاء للمبالغة ، وقال الأخفش : هو كقولك : فلان عبرة ، وحجة وقيل: أنث لأنه أراد جوارحه " .

وقيل مبتدأ محذوف الموصوف ، أي عين بصيرة وعلى نفسه الخبر "[2]

ومن يراجع مادة (بَصَرَ) في القرآن الكريم يلحظ أنها قد وردت منها بصير ، ومبصر ، ومبصرة ، وبصائر ، وبُصَرَاء ، وبصيرة .

قال تعالى في بصير :

---

(١)- في ظلال القرآن جـ ٢٧ / ٣٦٧٨ .

(٢) البحر ٣٨٦/٨ .

"وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) " البقرة ، " إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) "غافر، " إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) " البقرة

وقال في مبصرة : " فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً "النمل١٣ .

قال الزجاج معناه : واضحة ، قال ويجوز : أنها متبيِّنة تُبصَر وتُرى ، وقوله سبحانه: "آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً " قال الفراء : جعل الفعل لها ، ومعنى مبصرة أي مضيئة ، كما قال عز من قائل : " وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا " أي مضيئًا ومَنْ قرأ : " النَّاقَةَ مُبْصَرَةً " أي : مُبصَرًا بها ، قال بذلك الأزهري ، وقال الأخفش : فكما جاءتهم آياتنا مبصرة " إنها تبصرهم أي تجعلهم بصراء".

والبصيرة : عقيدة القلب . قال الليث : البصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين، وتحقيق الأمر.

وقيل البصيرة : الفطنة .

وفي حديث ابن عباس : " أن معاوية بن أبي سفيان لما قال لهم : يا بني هاشم تصابون في أبصاركم ، قيل له : وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم " .

ويقال : فعل ذلك على بصيرة أي : على عمد .

والبصيرة العبرة ، ويقال للفراسة الصادقة : فراسة ذات بصيرة أي ذات معرفة ودراية

ويقول اللحياني : إنه لبصير " بالتذكير " بالأشياء أي : عالم بها .

ومما ورد في أن البصيرة بمعنى العبرة قول الشاعر :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

أي : لنا عبر ومواعظ .

أما قوله سبحانه : " بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) " فقد قال ابن سيده : له معنيان إن شئت كان الإنسان هو البصيرة على نفسه أي : الشاهد وإن شئت جعلت البصيرة هنا غيره أي إحدى جوارحه فعنيت به : يديه ورجليه ولسانه ، لأن كل ذلك شاهد عليه يوم القيامة ، وقال الأخفش : " بصيرة " جعله البصيرة : كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك [١]

---

(١) – المخصص جـ ٢٥/٥ .

وقال ابن عرفة : على نفسه بصيرة أي : عليها شاهد بعملها ، ولو اعتذر بأي عذر ".

وقال الأزهري : أي : جوارحه بصيرة عليه بما جنى عليها " .

قال الفراء : يقول على الإنسان من نفسه شهود يشهدون عليه بعمله ، اليدان والرجلان والعينان والذكر وأنشد:

كأن على ذي الظن عينًا بصيرة بمقعـــــــده أو منظرٍ هو ناظره .

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم من الخوف لا تخفى عليهم سرائره .

فجاء بالعين ووصفها بأنها بصيرة ، وهكذا [1]

إن العدول القرآني من "بصير" وصفًا للإنسان إلى "بصيرة" وصفًا للإنسان أيضًا ، لكن مع إضافة " التاء " التي تفيد المبالغة أكثر من إفادتها التأنيث كما جاء ذلك في صيغة " فُعَلة " في قوله سبحانه : ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾ فقد أشار غير واحد من اللغويين ومفسري القرآن أن ﴿**هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾ هي صيغ مبالغة يوصف بها مَنْ كَثُرَ همزهُ ولمزهُ ، وكذلك صيغة " بصيرة " يوصف بها مَنْ هو أكثر من غيره دراية ، ومعرفة ، وبخاصة إذا تعلق الأمر بمعرفة الإنسان لنفسه .

قال القرطبي : وناس يقولون : هذه الهاء في قوله سبحانه : ﴿ **بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾ هي التي يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة كالهاء في قولهم " داهية وعلامة وراوية " وهو قول أبيَ عبيد ، وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر ، يدل عليه قوله سبحانه : ولو ألقى معاذيره " في من جعل المعاذير السّتور ، وهو قول السري والضحاك وقال بعض أهل التفسير : المعنى بل على الإنسان من نفسه بصيرة " أي شاهد فخذف حرف الجر ، ويجوز أن يكون بصيرة نعتًا لاسم مؤنث فيكون تقديره : **بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ عين بَصِيرَةٌ** " [2]. ومهما يكن من تعدد في الآراء بين أهل الإعراب وأهل التفسير وأهل اللغة حول ورود بصيرة "

---

(١) – القرطبي جـ ١٩/ ٩٨ ولسان العرب مادة بصر .

(٢) – القرطبي جـ ١٩ / ٩٨ .

وصفًا للإنسان فإن النص القرآني كان دقيقًا في العدول إليها ليناسب اللفظُ المعنى ، ويناسب الإيقاع العام لموسيقى السورة في فواصلها ، وفي نسيجها .

إن كل شيء سريع قصير ، الفقرات ، والفواصل والإيقاع الموسيقي ، والمشاهد الخاطفة وكذلك عملية الحساب: " يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)" هكذا في سرعة وإجمال ذلك أنه رد على استطالة الأمد والاستخفاف بيوم الحساب "[١].

إن عدد آيات السورة ٤٠ آية .

وعدد الآيات المنتهية بالهاء أو بتاء التأنيث هو ١٨ آية.

وتعتبر السورة كلها من السور ذات المقاطع البسيطة الخماسية ، لأن بها خمس مقاطع ، أو يمكن تقسيمها إلى خمس مقاطع .

وتعتبر الآية التي معنا بداية للمقطع الثالث ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرًا﴾ (١٤) وهي فاصلة تتناغم مع فواصل المقطع الأول من الآية ١/٦ وتستمر فاصلة التاء المربوطة أولها في المقطع الثالث من الآية ١٤-٢٥ ثم جاء بعد ذلك مقطعان آخران كانت فاصلة الأول منتهية بردف القاف " وفاصلة المقطع الخماسي والأخير منتهية بألف مد " .

مردوفًا بحرف صحيح .

هكذا تتناغم فواصل السورة في إيقاع سريع معبر مؤثر قد نسجت آياته نسجا محكما وجاءت فواصلها بإيقاعات ذات انسجام وكان العدول في بصيرة " أمرًا " حتميا لأهميته في سرعة العرض ، وإيقاع مؤثر أخاذ.

أما – العدول إلى التأنيث

في قوله تعالي : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ "المدثر (٣٨)"

فقد قال في البحر المحيط[٢]: رهينة بمعني رهن " وقيل: الهاء في رهينة للمبالغة، وقيل :- على تأنيث اللفظ لا على الإنسان ، والذي أختاره أنها مما دخلت فيه

---

(١) – في ظلال القرآن سيد قطب المجلد السادس جـ ٢٩ /٣٧٦٨ .

(٢) جـ ٣٧٩/٨

التاء " وإن كان بمعنى مفعول في الأصل : كالنطيحة، ويدل على ذلك أنه لما كان خبرًا عن المذكر أتي بغير التاء وحيث كان خبرًا عن المؤنث أتي بالتاء كهذه الآية "

لكن الزمخشري في الكشاف كان قد قال [1]: رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله: " **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)**" لتأنيث النفس ؛ لأنه لو قصدت الصفة لقيل : رهين، لأن فعيلًا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم ، كأنه قيل : كل نفس بما كسبت رهن ، ومنه بيت الحماسة :

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

كأنه قال : " رهن رمس "

وعدد آيات سورة المدثر ٥٦ آية يمكن تقسيمها إلى سبعة مقاطع بسيطة تعتبر فاصلة " هذه الآية رقم ٣٨ بداية للمقطع الرابع " ونهايته في الوقت نفسه فقد قامت هذه الآية القصيرة " **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)**" مقام مقطع كامل يتكون من مجموعة من الآيات وهي كذلك بسبب ما تحمله من معنى مركز وإيقاع مؤثر فقد سبقها مقطع يحمل قسمًا عظيمًا حول قضية الآخرة وما فيها من عذاب للمكذبين المرتابين ، إنه قسم من الله بكل ما في الكون من آيات معجزة مبصرة " **كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣)**" ، " **لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)**".

إن هذه الآية بفاصلتها القوية رهينة والتي قد عدل إلى تأنيثها تأنيث مبالغة قد مثلت مقطعًا مهمًا من مقاطع السورة كلها إنه مقطع أساسي في هذه السورة وفي القرآن الكريم كله " **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)**"

لأن هذه النفس الإنسانية كانت بصيرة بأمرها ، عارفة بالخير والشر من أمورها ، فهي – الآن في يوم القيامة سوف تكون رهينة عملها ، بكل ما تعنيه المبالغة التي جاءت بها التاء في لفظة " رهين " .

ويجيء المقطع التالي لهذا المقطع ليطمئن الإنسان المؤمن الذي سيجعله إيمانه – وبصره بالخير فأتاه ، وبالشر فاجتنبه – من أصحاب اليمين ، إن أصحاب اليمن سيكونون في جنات يتساءلون عن المجرمين وعن مصائرهم هكذا يجيء العدول إلى

---

(1) جـ ٤/٦٥٤

تأنيث المبالغة في هذه السورة بهذه الآية المحورية ليكون المعنى والإيقاع عاملين مهمين من عوامل الإقناع لكل إنسان يسمع أو يقرأ هذا القرآن العظيم " .

العدول عن جمع المذكر السالم إلى جمع التكسير :

ورد ذلك في قوله سبحانه : ﴿ **وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ الحج (٢٦) "

لقد جاءتْ " صيغة " رُكَّع – وراكعين في القرآن الكريم أكثر من مرة

أولًا : راكع ←(راكعين) ← (راكعون)

١- قال تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ البقرة (٤٣)

٢- وقال سبحانه : ﴿ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾آل عمران (٤٣) "

٣- ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ : المائدة (٥٥) " .

٤- ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ** ﴾التوبة(١١٢)

ثانيًا : الركَّع.......

١- قال تعالى ﴿ **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)** ﴾ " البقرة (١٢٥) " .

٢- ﴿ **وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ "الحج (٢٦)

٣- ﴿ **تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ﴾ " الفتح (٢٩)

أما صيغة " سُجود ".

وردت هذه الصيغة فاصلة فيما يأتي :-

١- قوله سبحانه : ﴿ **تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ﴾ " البقرة ١٢٥".

٢- وقوله سبحانه : ﴿ **تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ﴾ " الحج (٢٦)" .

أما صيغة﴿سُجَّدا﴾ فقد وردت في القرآن في فاصلة وفي غير فاصلة ومن ذلك قوله سبحانه :

١- " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا " " يوسف ١٠٠ "

٢-" إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)" " الإسراء ١٠٧ "

٣- " إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) "" مريم ٥٨ ".

٤-﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ " الفرقان (٦٤) "

٥- ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ " الفتح (٢٦)

ولقد كان الآلوسي – رحمه الله – خير من علّق على هذه الصيغ وذلك عندما قال " هما جمع راكع وساجد " (١).

وقال في موضع آخر : وقد نوع في اختيار الصيغة حيث جاء بجمع التكسير في البقرة وفي غيرها في مقابل جمعي السلامة قبل ذلك. ثم قال : وفي ذلك تنويع في الفصاحة، خالف بين وزنيها للتنويع مع المخالفة في الهيئات وكان آخرهما على فُعول لأجل كونه فاصلة والفواصل قبل ذلك وبعد ذلك آخرها حرف مد ولين "

إن الذي يغلب على السورة كلها ليس هو موضوع الحج فقط حتى إنها سميت باسمه ، لكن الذي يغلب عليها هو موضوعات السورة المكية ، وجو السورة المكية فالموضوعات هي موضوعات التوحيد والتخويف من الساعة وإثبات البعث وإنكار الشرك ومشاهد القيامة ، وآيات الله المبثوثة في الكون .... فكل هذه الموضوعات بارزة في السورة وإلى جوارها الموضوعات المدنية من الإذن بالقتال وحماية الشعائر والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد العدوان والظلال الواضحة في السورة كلها هي ظلال القوة والشدة والعنف والرهبة والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام لله (٢)

نعم إن ظلال القوة والشدة والعنف نلمسها في عدول النص إلى الصيغ المتضامة إلى بعضها لكي تحقق هذا الغرض على الأقل من الناحية الموسيقية ومن ناحية جرس

(١) – روح المعاني : جـ ١/ ٣٨١ .

(٢) – الظلال مجلد : ٤/ ٢٤١٨ .

اللفظ المختار ورنين هذا اللفظ نلحظ ذلك في العدول عن صيغة " فاعل " إلى صيغة " فُعَّل " من " راكع " إلي" رُكَّع" ومن ساجد إلى سُجَّد " ولا شكّ أن لفظة "ركع" " سجود " يُناسب رنينها وجرسها الجو العام للسورة، هذا أمر ، و أمر آخر يمكن التقاطه من العدول عن جمع السلامة إلى جمع التكسير الخاص بالكثرة ، أن جمع التكسير الخاص بالكثرة يستخدم للتعبير عن العدد من ٣- إلى ما لا نهاية ...

وهذا يفيد أن الأمر بتجهيز البيت وتهيئته للطائفين والقائمين والركع السجود أمر ممتد منذ آدم ثم إبراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم وإلى قيام الساعة ؛ لأن الركع السجود سوف يكونون عددًا كبيرًا يتضاعف مع الأعوام والسنين ؛ لذا وجب على ولي الأمر الاستعداد الدائم المستمر لاستقبال أعداد لا نهاية لها من الراكعين والساجدين .

ولا يتنافى ذلك مع احتمال دلالة هذا الجمع على القلة – فيكون المقصود بها زوار البيت يوميًّا .

الفصل الثاني

العدول النحوي والأسلوبي

العدول إلى الإظهار بدلا من الإضمار :

العدول إلى الاسم الظاهر

١- العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر :

أ- في قوله سبحانه : " **مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ** (٩٨)"البقرة ٩٨ "

فقد عدل النص القرآني عن استخدام الضمير في " **فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ** " حيث قال" للكافرين " بدلًا من لهم.

لكن لماذا عدل النص القرآني عن الضمير لهم إلى الاسم الظاهر وهو للكافرين ؟ وإجابة ذلك السؤال تكمن في إعادة قراءة نص الآية ووضع الضمير بدلا من الاسم الظاهر ...

" فإن الله عدو لهم " حيث نلاحظ أن مرجع الضمير لهم سوف يعود على أقرب مذكور . وأقرب مذكور في الآية هو : ميكال وقبلها جبريل ، وقبلها رسله وقبلها ملائكته ..." .

ولكن نص الآية يشير إلى جعل مرجع الضمير يعود على لفظة الكافرين في فاصلة هذه الآية ولو عدل عن ذكرها إلى ذكر ضمير غيبة كنى به عنها وقال إن الله عدو لهم لما تحقق هذا النغم الجميل الذي هو لازمة أساسية من لوازم النص القرآني العظيم هو مَنْ " التي لفظها مفرد " ومعناها جمع "

قال أبو حيان [1]: ومَنْ في قوله مَنْ كان عدوًا .... شرطية واختلف في الجواب فقيل هو محذوف ، وتقديره فهو كافر ، وحذف لدلالة المعنى عليه ، وقيل الجواب فإن الله عدو للكافرين " وأتي باسم الله ظاهرًا ولم يأت بأنه – يقصد به ضميرًا ؛ لاحتمال أن يفهم أن الضمير عائد على اسم الشرط فينقلب المعنى ، أو عائد على أقرب مذكور

([1]) البحر المحيط جـ١ /٣٢١ – ٣٢٣ .

وهو ميكال فأظهر الاسم لزوال اللبس أو للتعظيم والتفخيم لأن العرب إذا فخمت شيئًا كررته بالاسم الذي تقدم ومن ذلك قوله سبحانه : **لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُور (٦٠)** " وكذلك قول الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شيئًا نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

على أن ذكر الاسم الظاهر والعدول إليه بدلًا من الضمير قدم حذفه أخرى للنص حيث أصبح هذا الاسم الظاهر هو الرابط الذي يربط جملة خبر اسم الشرط بالمبتدأ " مَنْ "

قال أبو حيان : وهذه الجملة الواقعة خبرًا لاسم الشرط تحتاج إلى رابط لجملة الجزاء لاسم الشرط ، والرابط هنا هو الاسم الظاهر وهو الكافرين " حيث أوقع الظاهر موقع الضمير ولتواخي أواخر الآي .

ويؤكد أبو حيان وغيره من المفسرين للنص القرآني أن التصريح بالاسم الظاهر والعدول إليه بدلًا من الضمير هنا قد أفاد ضمن فوائد كثيرة – أفاد العموم ، وأزال إشكالات كثيرة كان يمكن أن نراها في نص الآية إذا استخدم ضمير الغيبة لهم " .

ولا ننسى أن اليهود كانوا يكرهون جبريل ويحبون ميكال بسبب أن جبريل عليه السلام هو الملك الذي توعدهم الله على لسانه ، وفضحهم الله على لسانه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم يعتبرون أن ميكال ملك الخير والنماء والخصب ...

فكانوا يفضلون مَلَكًا على ملَك ، ولكن الله سبحانه قد جعل معاداة الملائكة والكتب السماوية والرسل المرسلة هي معاداة لله وكفر به سبحانه ؛ ولذلك فإن الله يعادي من يخالفه ، ويعادي من يعادي ملكًا من ملائكته أو يفضل ملكًا على ملك .

إذن فالعدول إلى ذكر الاسم الظاهر للكافرين " في الآية السابقة قد حقق أمورًا كثيرة منها : –

١– إعلان الحرب على من يعادي الله ويعادي ملائكته وكتبه ورسله .

٢– الحكم عليه بالكفر .

٣– التصريح بالاسم الظاهر والعدول عن الضمير يمنع من الوقوع في :–

أ-القول بعود الضمير إلى أقرب اسم من الأسماء المذكورة في الآية ...
وذلك يؤدي إلى فساد المعنى .

ب- القول بعود الضمير إلى اسم الشرط " مَنْ " في " من كان عدوًا لجبريل "
..... وذلك يؤدي إلى فساد المعنى أيضًا .

جـ - القول بالكفر على من عادى جبريل وميكال معًا لا مَنْ عادى أحدهما ،
وهذا غير صحيح إذ إن معاداة واحد من الملائكة كمعاداة جميع الملائكة .

٤- التصريح بالاسم الظاهر والعدول إليه يفيد في تعميم الحكم بمعاداة الله لجميع الكافرين .

٥- التصريح بالاسم الظاهر والعدول إليه يفيد التعظيم في وصف هؤلاء بالكفر ومعاداة الله لهم.

٦- التصريح بالاسم الظاهر جعله رابطًا في جملة الخبر يربطها بالمبتدأ اسم الشرط ، إذ ليس فيها غيره يصلح أن يكون رابطًا يربط جملة جواب الشرط التي هي خبر المبتدأ الذي اسم الشرط " مَنْ " .

٧- التصريح بالاسم الظاهر يفيد في إظهار علة الحكم بمعاداة الله لنوع من الخلق هم الكافرون به وبملائكته - أو بواحد منهم - وبرسله أو بواحد منهم .

٨- العدول إلى الاسم الظاهر - أولًا وأخيرًا - قد حقق قيمة صوتية جمالية جعلت أواخر الآيات المتجاورة من بعضها تتآخى فيما بينهما في نغم جميل لن يتحقق إلا بذكر لفظة الكافرين في فاصلة هذه الآية.

٢- **ومن العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر** : ورد ذلك في قوله سبحانه :-

" **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** " التوبة (٥١) "

وقد حققت الآية بجعل الفاعل اسمًا ظاهرًا ما يأتي :

- تحقيق الجمال الموسيقى للآيات بحيث تتوافق نغمات نهايتها مع النغمات الصوتية لبقية الآيات حيث تنتهي بنون قبلها واو ساكنة ، مسبوقة بنون مضمومة - كل ذلك بدلًا من : وعلى الله توكلنا ...

– إشارة إلى أن المجاهدين الذين لا يتذرعون بذرائع تافهة ، ولا يهربون من لقاء الأعداء هم المؤمنون الذين تقضي قوانين المخالفة أن يكونوا من أهل الجنة في الآخرة .

ومن العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر قوله تعالى :

" **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** " التوبة ٥١

حيث قال سبحانه : **لمحيطة بالكافرين** ، ولم يقل : بهم ، فحقق بذلك أمرين :-

١- انسجام النغم الموسيقى بين الآيات لتكون نغمة نهاية هذه الآية منسجمة ، ومتساوقة مع نغم بقية الآيات المحيطة بها ، فقال لمحيطة بالكافرين بدلًا من بهم ".

٢- التنبيه إلى أن النفاق من هذا الجد ابن قيس الذي عرض عليه رسول الله مقاتلة بني الأصفر ليكون من المجاهدين الذين كتب لهم الشهادة قتلوا أم لم يقتلوا .

ولكن هذا الجد تذرع بأنه يخاف من الفتنة إذا نظر إلى جمال بني الأصفر، لكن القرآن فضح أمره وكشف أمره أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمام أهل هذا الرجل ابن قيس ، ثم صنفته الآية إن استمر على هذا النفاق أنه من الكافرين الذين سوف تحيط بهم جهنم يوم القيامة [1]

٣- ومن العدول إلى الاسم الظاهر : في قوله سبحانه :

" **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) العنكبوت**" [2]

فقد صرح بالاسم الظاهر في " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ " بدلًا من : "لمحيطة بهم " .

([1]) القرطبي جـ ٨/ ١٥٩

([2]) القرطبي جـ ١٣ /٣٥٦ دار الكتاب العربي

ولنا أن نسأل ما سبب التصريح بالاسم الظاهر بدلًا من الضمير هنا ؟ وبخاصة إذا كانت فاصلة هذه الآية هي بالكافرين " وهى لفظة قد انتهى بمقطع " ين " حيث الياء الساكنة المسبوقة بحرف صحيح مكسور " بالكافريْن " وهو مقطع صوتي لا يماثل نهاية فواصل الآية السابقة لهذه الآية .... "لا يشعرون" ولا يماثل نهاية الآية الأخرى التالية لها وهي تنتهي بفاصلة " تعملون " فكأن الآيات الثلاث لم تتآخ فواصلها تآخيًا كاملًا فجاءت ... "وهم لا يشعرون " ثم بالكافرين " ثم ما كنتم تعملون "

وكأن الآيات الثلاث غير متآخيات في الفاصلة فلماذا إذن تلجأ الآيات إلى العدول إلى الاسم الظاهر بدلًا من الضمير حيث جاءت الآية الوسطى بفاصلة " بالكافرين " بدلًا من "بهم" ولو ذكرت الآيات "بهم" لما حدث خلل في نغم الآيات والحقيقة غير ذلك تمامًا للأمور الآتية :-

١- أن نغم الآيات وجمال فواصلها يسير وفْقَ نظام صوتي بديع حيث إن مقطع " ين " لا يختلف أبدًا عن مقطع " ون " فهما مقطعان متقاربان وليسا متنافرين ، أو متعارضين ؛ لأن النغمة الناشئة من سكون النون مسبوقة بياء ساكنة لا يختلف كثيرًا عن النغمة الناشئة من سكون النون مسبوقة بواو ساكنة ، وهذا أمر متعارف عليه عند علماء الأصوات قديمًا وحديثًا.

٢- لكن نغمة الفاصلة كانت سوف تنكسر تمامًا وكان إيقاعها سوف يصاب بالتنافر لو استخدم القرآن " بهم " بدلًا من " بالكافرين " حيث كنا سنشعر بعدم توافق الجرس الموسيقي للآيات في تتابعها وكأنها آيات منفصلة عن بعضها وليست منتظمة في عقد موسيقي واحد ، يجعلها متآخية ، متآلفة ، متساوقة ، منسجمة ، بديعة النغم ، مسعدة للنفس ، آسرة للقلب ، شارحة للصدر ، مقنعة للعقل .

لقد حقق النص القرآني بهذا العدول ما يجعله معجزًا في موسيقاه ونغمة وجرسه فاستخدم الاسم الظاهر بدلًا من الضمير في فاصلة الآية (٥٤) فجاءت " **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤)** " بدلًا من "إن جهنم محيطة بهم " .

٣- من يعيد قراءة الآيات الثلاث سوف يلاحظ أن هذه الآيات قد نزعت إلى إعادة الذكر ولم تنزع إلى استخدام الكنايات ضمائر أو غير ضمائر .

حيث نرى هذه الآيات قد استخدمت لفظة " العذاب " أربع مرات مضافا إليها ثلاث كنايات عنه مرتين بالضمير ومرة بالاسم الموصول " ما " في " **ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون** " .

وهذا يعني أن سياق الآيات الثلاث مع ما قبلها وما بعدها سياق ذكر وتصريح وليس سياق كناية وتلميح، وهو سياق يعلن تهديده ووعيده بالعذاب على فئة من مخلوقاته هم الكافرون به وبرسله وكتبه وأنبيائه ونعمه ، واليوم الآخر و... وهؤلاء ينبغي ذكرهم والتصريح باسمهم ليكون ذلك تقريعًا وزجرًا وإهانة وفضيحة ، ويكون ذلك رادعًا لغيرهم .

٤- ومن العدول إلى الاسم الظاهر :

في قوله سبحانه :" **قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** " يوسف(٩٠) "[١]

ولم يقل : **فإن الله لا يضيع أجرهم** "

ولكن لماذا عدل النص القرآني إلى ذكر اسم ظاهر بدلًا من ضميره في هذه الآية؟

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن سياق الآيات وفواصلها تتطلب لفظة " المحسنين " اسمًا ظاهرًا بدلًا من ضميرها " أجرهم " ؛ ذلك لأن فواصل الآيات المتجاورة تنتهي كلها بـــ ياء ساكنة ثم نون ساكنة عند الوقف المحسنين "٩١ " وبعدها "٩٢ " **وإن كنا لخاطئين** " وبعدها " ٩٣ " **بأهلكم أجمعين** " لكن الموسيقى العامة لفواصل هذه الآيات تتراوح بين الياء والنون أو الواو والنون أو الياء والميم . وكل هذه أصوات متقاربة أو متماثلة ذات نغمات تكاد تكون واحدة وتعطي جرسًا موحدًا ونغمًا مريحًا فكلها تنتظم في عقد موسيقي بديع جميل تطرب له النفس ويتأثر به الوجدان .

---

(١) الكشاف جـــ ٢/ ٣٤٠

وإلى جانب هذه النغمات العذبة التي تطلقها هذه الفواصل ، هناك نغمات أخرى لا تقل في عذوبتها عن تلك النغمات ، وأقصد بها الموسيقى الداخلية لرصف الكلمات بجوار بعضها تحقيقًا للمعاني العظيمة التي يريد هذا النص أن يوصلها إلى قارئيه أو سامعيه .

ومن تلك الموسيقى الهادئة تنبعث هذه النغمات العذبة ذات الروائح العطرة باختيار الكلمات المناسبة لسياق النص .

يصّدق ذلك اختيار النص للاسم الظاهر " المحسنين " والعدول إليه بدلًا من ضميره " هم " .

وهذا يحقق ما يأتي :-

أن سياق هذه الآيات يميل إلى الذكر لا إلى الكناية فقد تكرر ذكر " يوسف " في هذه الآية والتي قبلها أكثر من ثلاث مرات ثم جرى ذكره بالضمير " هو " وأخوه أكثر من أربع مرات والآيات تريد أن تصف المتقين والصابرين أي : الذين يجمعون بين صفة التقوى وصفة الصبر - بأنهم محسنون وهذا فيه من دقة الحكم ما ليس في ضميره ، وفيه من الترغيب في التخلق بهاتين الصفتين ما فيه حيث إن ذلك حث لجميع المؤمنين بالاتصاف بهاتين الصفتين حتى تنطبق عليهم صفة كونهم محسنين ، لا مسلمين ، ولا مؤمنين مما يعني أن صفة الإحسان هي صفة أرقى وأعلى من صفة الإسلام والإيمان كما ورد ذلك في الحديث : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك " !!

٥- ومن العدول إلى الاسم الظاهر بدلًا من الضمير قوله سبحانه :- مَا كَانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِين التوبة (120) "

بدلًا من " فإن الله لا يضيع أجرهم "

والملاحظ أن فاصلة هذه الآية تتشابه مع فواصل جاراتها فقبلها "١١٩ " وكونوا مع الصادقين ، وبعدها "١٢١ " وما كانوا يعملون ، وبعدها " ١٢٢ " لعلهم يحذرون "

وقد جاءت كلها من المتشابه في الأصوات أو من المتقارب ولولا هذه العدول إلى الاسم الظاهر " المحسنين " لجاءت فاصلة الآية نشازًا صوتيًا غير مقبول وغير متآلف حيث يكون الضمير " هم " في أجرهم" غير متجانس مع فواصل بقية الآيات .

هذا من جهة ومن جهة ثانية فيبدو أن لفظة " المحسنين " التي هي اسم فاعل من الفعل أحسن جاءت هنا لذات السبب الذي جاءت له في سورة " يوسف " **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)** " حيث أبرزت هذه اللفظة قيما كثيرة بجوار القيمة الصوتية الجميلة التي جاءت لها ، فقد أبرزت أن التقوى وحدها لا تجعل العبد محسنًا ولكنها مع الصبر تؤدي إلى ذلك.

كذلك هنا فكل محتوى الآية يندرج تحت التقوى والصبر فعدل التخلف عن رسول الله وعدم الرغبة عنه ، كلها من التقوى والصبر وكذلك بقية محتوى الآية يشير إلى ذلك .

وكأن العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر قصد به ضمن ما قصد إبراز هذه القيم الأسلوبية المهمة .

وله طابع خاص ، قد لا نجده عند دراسة هذه الموضوعات في وسط الآية أو في بدايتها .

العدول إلى الإظهار – بدلًا من الإضمار في قوله سبحانه :–

" **إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)** " بدلًا من كذلك " نجزيهم "[1]

العدول إلى الإضمار :

" **وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣)**" [2] فقال سبحانه : من بعدها – أي : أي من بعد التوبة .

---

(١) القرطبي جـ ٧ / ٢٩١ .

(٢) القرطبي جـ ٧ / ٢٩١

العدول في باب الحال

" قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " التوبة – براءة ٢٩ " .

حيث آثر النظم القرآني استخدام الحال الجملة بدلًا من الحال المفرد ، فكأنه عدل عن المفرد إلى الجملة فهل هناك فرق بينهما ؟

الحقيقة أن نحاتنا – رحمهم الله – نصوا على أن الجملة الخبرية الواقعة صلة أو صفة أو خبرًا أو حالًا أو تابعة لشيء آخر كجملة الشرط لا جوابه – فإنها لا تسمى جملة خبرية ؛ لأنها تسمى خبرية بحسب أصلها الأول الذي كانت مستقلة فيه ، فإذا صارت صلة أو غير ذلك لم يصح تسميتها خبرية إذ لا يكون فيها حكم مستقل بالسلب أو بالإيجاب فهي لا تسمى كلامًا أو جملة إذ ليس لها كيان مستقل .... [1] .

ويؤكد الأستاذ / عباس حسن على هذه الفكرة بقوله : إذا وقعت الجملة حالًا فإنما تسمى جملة باعتبار أصلها السابق قبل الحالية حين كانت تؤدي فيه معنى مفيدًا مستقلًا أما بعد وقوعها حالًا فإنها تؤدي معنى غير مستقل ، وهي لذلك لا تسمى جملة ولا كلامًا....[2]

" وإذا وقعت الجملة حالًا أو نعتًا أو موقعًا إعرابيًا آخر فهي نكرة وقيل : في حكم النكرة " [3] .

لكن الشيخ ياسين في حاشيته على شرح التوضيح : أول باب النكرة والمعرفة " قال: وأما الجمل والأفعال فليست نكرات وإن حكم لها بحكم النكرات " ثم قال : وما وُجِد في عبارة بعضهم أنها نكرات فهو تجوز " .

وعلق الشيخ عباس حسن رحمه الله – على هذا النص قائلًا :و هذا الخلاف لا أهمية له إذ الأهمية في أنها تقع في كل موقع لا تصلح فيه إلا النكرة ، كوقوعها خبرًا لـــ

([1])– النحو الوافي : جـ ٢ / ٨٤ .

([2])– النحو الوافي : جـ ٣ /٣٩٤ .

([3]) السابق : الجزء والصفحة .

لا النافية للجنس ، ونعتًا للنكرة المحضة [1]

لكن بعض الدارسين رأى أن النحاة قد وقعوا في تناقض عندما قرروا أن الجملة الواقعة حالًا أو صفة أو خبرًا أو صلة يحكم عليها بأنها نكرة ، ... وأخذ في تفنيد قواعد النحاة التي أخذوا منها هذا الحكم الصادر على الجملة بالتنكير ومن كثير ما قال في ذلك قوله :

– ومن القواعد التي أسس عليها الاعتقاد السائد بنكارة الجملة اسمية وفعلية – أن الجملة تقع حالًا والحال يشترط فيه التنكير ، فما حل محل ما اشترط فيه التنكير وجب له الحكم نفسه وعليه فالجملة توصف بالتنكير مع اشتمالها على ضمير يعود على صاحبها ، وهذا الضمير يعد جزءًا أساسيًا مما تشترطه القاعدة، كما أنه حقيقة لغوية يؤكدها الاستعمال في الحال ، مفردة وجملة [2] وهذا القول هو نفسه الذي جعل النحاة يرفضون وقوع المصدر المؤول حالًا ، لاشتمال المصدر المؤول على ضمير رأوا أن من آثار وجوده تحول الحال إلى معرفة ، والحال لا تكون معرفة لكن ذلك جعل صاحب هذا الرأي يتعجب من مسلك هؤلاء النحاة الذين جوزوا وقوع الحال جملة ، واشترطوا لها احتواءها على ضمير مع علمهم أن هذا الضمير يجعل الجملة في حكم المعرفة .... إلخ .

غير أننا لن نستمر في فكرة مناقشة النحاة أو تسفيه آرائهم أو قواعدهم ، لأنهم – رحمهم الله – قد قاموا بما هو مطلوب منهم وزادوا عليه في ظل ظروفهم وإمكاناتهم .

لكننا قد نجد طريقًا أخرى نلتمس فيها مخرجًا حول قضية تنكير الجملة أو تعريفيها.

وأقصد بتلك الطريق أن نبحث في نظرية المحايدة في اللغة عن مخرج لهذه القضية فالمعروف أن اللغة قد حوت ألفاظًا صالحة للتصنيف لتصنيفها أو الحكم عليها بحكم خالص ، فلدينا ألفاظ مذكرة محمد ، مصطفى ، خليل .... إلخ ، ولدينا ألفاظ مؤنثة سعاد، فاطمة ، ناهد ، مها ، آلاء ، أمل " .

---

(١)- النحو الوافي : جـ ٣ / ٣٠٤ .

(٢)- القاعدة النحوية دراسة نقدية د . أحمد عبد العظيم ، دار الثقافة للنشر ، مصر ١٩٩٠م ص ١٠٨ .

وقد حوت اللغة ألفاظا في المنطقة الوسطى بين التذكير والتأنيث ، أو تصلح للتذكير والتأنيث فلا نستطيع أن نحكم عليها بأنها مؤنثة ، ولا نستطيع أن نحكم عليها بأنها مذكرة بل صالحة لهذا ولذاك فتقول : هذه الحال ، وهذا الحال وهذه الطريق وهذا الطريق ... إلخ .

وقد ظهرت دراسات عديدة عن نظرية المحايدة في اللغة " والاسم المحايد ، وغير ذلك وأكدت هذه البحوث وهذه الدراسات أن المحايدة فكرة صالحة للتطبيق على كثير من الأبواب النحوية وكثير من المفردات والألفاظ والتراكيب أيضًا في بعض جوانبها .

والجملة اسمية أو فعلية يمكن أن تكون – من ناحية تنكيرها أو تعريفها – ليست خالصة في التنكير وليست خالصة في التعريف .

لأن الجملة المشتملة على عنصر معرفي ضميرًا كان أم غير ضمير ، لا يمكن الحكم عليها بأنها نكرة تماما لاحتوائها على عنصر معرفي ، ولا يمكن الحكم عليها بأنها معرفة لأن الاستعمال اللغوي جاء بها في سياقات النكرة ، حيث جاءت الجملة صفة للنكرة وخبرًا وغير ذلك من الوظائف النحوية التي شغلتها الجمل ، وكانت مسبوقة بنكرة فأعربت صفة لها ، أو مسبوقة بمعرفة فأعربت حالًا ، ومسبوقة باسم موصول فأعربت صلة ، ومسبوقة بمبتدأ معرفة فأعربت خبرًا له .

ونحن نلاحظ أن الجملة اسمية أو فعلية قد جاءت بعد المعرفة ، كما جاءت بعد النكرة ، وشغلت وظائف نحوية تشغلها المعارف وتشغلها النكرات ، وهذا يعني أن الجملة تتبع العناصر الحيادية في النصوص اللغوية ، ولا يمكن الحكم عليها بأنها ضمن النكرات تمامًا أو ضمن المعارف الخالصة .

وهذا يفيدنا كثيرًا في مجال تحليل النصوص لفهم مقاصدها الخفية التي لا تتراءى للكثيرين .

فقوله سبحانه :" ... **حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** " قد وردت فيه جملة اسمية هي " وهم صاغرون " وهي جملة حالية في محل نصب ، جاءت هذه الجملة مرتبطة بما قبلها برابطين هما "الواو" ، و"الضمير" وفي ذلك تأكيد على شدة الارتباط بين الحال وصاحبها واو الجماعة في يعطوا " وهو معرفة كما هو معلوم غير أن عامة النحاة

يحكمون على جملة وهم صاغرون بأنها نكرة ، وهذا ليس مرفوضًا عندي ؛ لأنه يحقق أمورًا كثيرة على رأسها العموم الذي تفيده النكرة هنا في هذا السياق .

هذا إلى جانب العدول إلى الجملة الاسمية التي تفيد الثبات والدوام ، وهو أمر مهم في نقل حالة وصورة هؤلاء الكافرين " وهم يعطون الجزية .

إذن فالقول بتنكير الجملة هنا في هذا السياق ليس مرفوضًا بل هو مقبول وله دلالته في هذا السياق ، حيث يفيد العموم والتعدد للأحوال التي ينبغي أن يعيشها هؤلاء الكفار وهم يعطون الجزية عن ذل وهوان ، وإحساس بالدونية بسبب اختيارهم الدنيا على الآخرة ، واختيارهم دين الكفر على دين الإيمان .

قال الزمخشري : وهم صاغرون : تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيًا غير راكب ، ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ، و أن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أدِّ الجزية وإن كان يؤديها ..... ويزخ في قفاه [1] .

ونقل أبو حيان ذلك كله عن الزمخشري ثم قال : وهم صاغرون جملة حالية "أي " ذليلون حقيرون ، وذكروا كيفيات في أخذها منهم وفي صغارهم لم تتعرض الآية لشيء منها قال : ابن عباس : يمشون بها ملبين ، وقال سلمان الفارسي : لا يحمدون على إعطائهم ، وقال عكرمة : يكون قائمًا والآخذ جالسًا ، وقال الكلبي : يقال له عند أدائه الجزية : أدِّ الجزية ، ويصك على قفاه " وحكى البغوي : يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ... إلخ "[2]

كل ذلك أمكننا قبوله في هذه الآية ؛ لأن التنكير يفيد العموم وقد قلنا إن البحث يميل إلى اعتبار جملة الحال وهم صاغرون في هذه الآية نكرة ، أو جملة محايدة ، قد رشح تنكيرها السياق الذي وردت فيه .

أما كون هذه الجملة اسمية ففيه إشارة مهمة إلى كون حالة هؤلاء الكفار عند دفعهم للجزية حالة ملازمة لهم حتى بعد مغادرتهم للمكان الذي عاشوا فيه ساعات الذل والهوان

---

(1)- الكشاف: ف جـ ٢ /١٨٤ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ، النحو الوافي ٤٦٧ – ٥٣٨ الدار العالمية .

(2)- البحر المحيط : جـ ٥ /٣٠ دار الفكر .

والصغار ... إنها حالة ملازمة لهم ، ولن تفارقهم، ونفهم هذه الملازمة من التعبير عن حالتهم هذه بالجملة الاسمية " وهم صاغرون " وقد نص علماء البلاغة على إفادة الجملة الاسمية الثبات واللزوم ، بخلاف المشتق صاغرين " أو الجملة الفعلية يصغرون ...إلخ ".

لأجل هذا ولغيره جاء عدول النظم القرآني عن استخدام الحال المفردة إلى الحال الجملة الاسمية فلم يقل جل في علاه : حتى يعطوا الجزية صاغرين " لكنه عدل عن ذلك وقال : **حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** " .

العدول في جملة الشرط :

" **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** (٥٨)" ٧٨ "

ولم يقل : " وإنْ لم يعطوا منها سخطوا "

وأين انسجام نغمات الآية مع جاراتها من الآيات المنتهية بواو ونون " إذا جاءت الفاصلة على "فيسخطوا " لاشك أن هذا سيقضي على جمال هذه النغمات المتجاورات اللاتي تشرح صدورَ قرائها وسامعيها وتشد الآذان إليها فتجعل العقول تفكر في عاقبة أمر كل إنسان يستعجل النعم الزائلة ويفضلها على نعم الله الباقية ، هذا أمر .

الأمر الثاني أن النغمات التي تتولد عن مجيء جواب الشرط جملة اسمية مصدرة بـــ إذا " إذا هم يسخطون يعطي إحساسًا ببَشاعة مستمرة وعدم رضا دائم قد أصبح عليه حال هؤلاء الذين يلمزون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات ، فوجوههم مبتهجة وأساريرهم منفرجة وهم ينتظرون تقسيم الصدقات عليهم بالشكل الذي يتمنونه ، فإذا لم ينالوا ما كانوا يتمنون تبدلت مشاعرهم من الرضا إلى السخط ، وهو سخط دائم ، كأنه طبعهم الذي أخفوه قبل تقسيم الصدقات . إن حالهم الدائمة الحقيقية هي السخط ، وما سعادتهم ورضاهم الظاهر في بداية تقسيم الصدقات إلا ظل زائل ، وشعور عرضي لم يلبث أن تبدل إلى شعور ومظهر آخر تمامًا .

ومن العدول في باب الحال قوله تعالى : " **إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ** " التوبة ٥٠ ".

فقال القرآن : يتولوا وهم فرحون ولم يقل يتولوا فرحين ، أو يتولوا يفرحون .

فَرِحٌ صفة مشبهة تفيد الذم .

العدول في باب التوابع :

العدول إلى تقديم الصفة على الموصوف

" **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** " فاطر ٢٧ " .

أي : سود غرابيب ؛ لأن الغربيب هو الشديد السواد فقدّم الصفة على الموصوف ، وهو كثير في كلامهم "

قال القرطبي : قال أبو عبيدة : الغربيب الشديد السواد ، ففي الكلام تقديم وتأخير والمعنى : ومن الجبال سود غرابيب . والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب : أسود غربيب .

قال الجوهري : وتقول هذا أسود غربيب أي : شديد السواد ، وإذا قلت : غرابيب سود ، تجعل السود بدلًا من غرابيب ، لأن توكيد الألوان لا يتقدم [١].

الفصل بين النعت والمنعوت :

يرى الأخفش في قوله سبحانه : " **أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى** " طه ٥٣ " .

أن ذلك يمكن جعله من المقدم الذي معناه التأخير حيث تكون الآية على معنى : أزواجًا شتى من نبات.وتصح الآية على وجهها الأول .

لكن الأول يجعل " من نبات " فاصلًا بين الصفة " شتى " والموصوف أزواج ، وبذلك يكون المعنى على جعل الكثرة والتعدد في الأزواج لا في النبات ، وعلى جعل " شتى " صفة لـــ نبات تكون الكثرة في التعدد في النبات لا في الأزواج قال الأخفش وكل ذلك مستقيم "[٢]

ومن ذلك قوله سبحانه : " **كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ**" الأعراف٢".

([١]) القرطبي جـــ ١٤ /٣٤٣ .

([٢]) الأخفش جـــ ٢/ ٤٠٧ .

قال الفراء : مؤخر ومعناه التقديم أي : المص كتاب أنزل إليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه " [١] .

وقد تبعه في ذلك الأخفش والزجاج [٢]

لأن العلاقة بين الفعل " أنزل " والفعل الثاني لتنذر " هي علاقة السببية ولا يفهم أحدهما دون العودة إلى الآخر وعلى هذا فإن جملة ، "فلا يكن في صدرك حرج منه " تعد جملة معترضة بين السبب والمسبب .

وهذه العلاقة هي التي جعلت الفراء يرى أن في قوله سبحانه : " **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** " الإنسان ٢ " .

عدولًا في التقديم والتأخير ، حيث المعنى والله أعلم : جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه . فهذه مقدمة معناها التأخير ، إنما المعنى : خلقناه سميعًا بصيرًا لنبتليه [٣] .

وقد ناقش النحاس رأي الفراء في أثناء عرضه لآراء مخالفيه ، فقال : وقال مَنْ خالفه يقصد الفراء – هو خطأ من غير جهة ، فمنها : أنه لا يكون مع الفاء تقديم ولا تأخير لأنها تدل على أن الثاني بعد الأول . ومنها أن الإنسان إنما يبتلى أي يختبر ويُؤْمر ويُنهى إذا كان سوي العقل ، كان سميعًا بصيرًا أو لم يكن كذلك [٤] .

ومنها أن سياق الكلام يدل على غير ما قال وليس في الكلام لام كي . وإنما سياق الكلام وتعديد الله جل وعز علينا ودلالته إيانا على نعمه .

فالنحاس هنا يمنع إعادة الترتيب بموانع مهمة منها الدلالة الوظيفية وهي دلالة الفاء على الترتيب والدلالة العقلية وهي أن هناك من يسمع ويبصر مع إسقاط التكليف عنه لأنه ليس سوي العقل – لأن السمع والبصر لا يوجبان التكليف ثم إن الدلالة السياقية تفيد أن المجال مجال تعداد للنعم .

---

(١) معاني القرآن للفراء جـ ٣ /٢١٤ .

(٢) معاني الزجاج : جـ ٥/ ٢٥٧ وإعراب القرآن للنحاس جـ ٥/ ٩٥ .

(٣)- معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١١ .

(٤)- إعراب القرآن للنحاس : ٥/ ٩٥ .

- العدول إلى تقديم النعت شبه الجملة على النعت المفرد

" وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ " . الشورى١٤ " .

وقبل هذه الآية نقرأ الآية ١٣ " وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ " .

ثم جاءت فاصلة الآية ١٥ " وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ "

وكأن نظام الآيات قد استفاد من العدول الخاص بالتقديم والتأخير مثلما استفاد من العدول الخاص بالتأنيث والتذكير في هذه السورة .

حيث استخدمت الآيات العدول إلى تقديم النعت شبه الجملة " منه " في " لفي شك منه " على النعت المفرد " مريب " وذلك ليتم للآيات جمالها الموسيقي مع ما تحمله من معانٍ دقيقة عالية مهمة لذلك عدل النظم القرآني عن ... "لفي شك مريب منه" إلى " لفي شك منه مريب " .

وإذا نظرنا إلى النعتين " منه " و "مريب " لوجدنا أن أحدهما جار ومجرور شبه جملة ، والآخر مفرد وفي تقديم الجار والمجرور فائدة مهمة وهي أن الجار والمجرور " منه " هو عبارة عن حرف جر " من " + ضمير غائب مفرد " ها " وهي تعود إلى كتاب في " إن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم".... فهؤلاء برغم كل التحذيرات التي سمعوها والتي تؤدي إلى إيمان كل كافر عاقل بهذا الكتاب إلا أنهم لا يزالون في شك من هذا الكتاب وهو شك وصل إلى أعلى درجاته وهي " الريبة " التي تمثل الشك ومعه ظلال التخوف ، ولكن تقديم الجار والمجرور " منه " جعل كل هذا الشك ، وهذه الريب منصرفة إلى هذا الكتاب ، الذي مضت أوصاف تجعلهم لا يشكون ، ولا يرتابون . لكن طباعهم تأبى عليهم " وتأبى الطباع على الناقل " .

العدول في اختيار نوع زمن الفعل :

العدول من الماضي إلى المضارع

" وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ". التوبة ٣٠ "

فلماذا لم يقل الله سبحانه (قاتلهم الله أَنَّى أفِكُوا).

الفعل الماضي فيه قرب من الجملة الاسمية في الدلالة على الثبات، وعدم التجدد.

الفعل المضارع فيه تجدد وتغير وفيه دلالة على عدم الثبات .

الآيات تميل إلى الفعل المضارع أنى يؤفكون ؟

حيث السياق يشير إلى الحركة والاستمرار في عناد هؤلاء اليهود وهؤلاء النصارى في ادعاء الأولين أن عزير ابن الله وادعاء الآخرين أن المسيح ابن الله وهم في فعلهم هذا يشابهون مَنْ سبقهم من فئتهم من الكافرين الجاحدين لتعاليم أنبيائهم ...

ثم يجيء موقف القرآن من هؤلاء بالدعاء عليهم أن يكون الله سبحانه – بقوته وعظمته وقهره وصفات جلاله مقاتلًا لهم – والنتيجة المعروفة – أنهم سيدمرون ، وسيكون الفناء بعد الهزيمة واحدًا مما سيلحق بهم لماذا ؟ لأن الذي سيقاتلهم هو رب العالمين ويجيء العقل الماضي قاتلهم الله ليحمل كل معاني الدعاء عليهم أو التعجب منهم أو لعنهم ... [1]

وحكى النقاش أن أصل (قاتل الله) الدعاء ، ثم كثر في استعمالهم حتى قالوه على التعجب في الخير والشر وهم لا يريدون الدعاء ، مثل قول مجنون – ليلى الذي أنشده الأصمعي

يا قاتل الله ليلى كيف تعجبي　　　و أخبر الناس أني لا أباليها

ثم إن النظم القرآني آثر "يؤفكون" على "أفكوا" ليحدث التآلف الموسيقي بين فاصلة هذه الآية وبقية الفواصل المجاورة لها، حيث لاحظنا إيثار الفواصل المجاورة إلى صوت الواو والنون وهذا يحقق نغمًا جميلًا متآلفًا لكننا إذا تخيلنا الآية بفاصلة " أفكوا " مثلًا في وسط هذا النغم الصوتي المتناسق لأصبحت نغمتها وموسيقاها نشازًا تنفر منه الأذن " .

---

(1) القرطبي جـ ٨ /١١٩ .

العدول إلى الفعل بدلًا من الاسم

١- العدول إلى الجملة الفعلية : -

ورد ذلك في قوله سبحانه : " **فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِياً وَلاَ يَرْجِعُونَ** " يس ٦٧ " .

قال أبو السعود : " **فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِياً وَلاَ يَرْجِعُونَ** " أي : ولا رجوعًا فوضع الفعل موضع الاسم مراعاة للفاصلة " .

تعتبر سورة يس من السور التي تميزت فواصلها بأنها من الفواصل المتقاربة شديدة التقارب حيث ينتهي رويها بالنون المردوفة بالواو الساكنة المسبوقة بضمة ، والفواصل المتقاربة التي امتازت بها هذه السورة تلح في طلب الجملة الفعلية في هذه الآية " يرجعون " برغم أن ذلك يحدث شيئًا من عدم التوافق في العطف حيث سيؤدي إلى عطف جملة فعلية " يرجعون " على اسم مُضيًا

وبرغم أن ذلك ليس مرفوضًا من عامة النحاة لكنه ليس أمرًا مقبولًا على إطلاقه عن نحاة آخرين.

العدول إلى الجملة الفعلية

٢- العدول عن الاسمية إلى الفعلية :-

في قوله سبحانه : **سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣)** فقد جاء بعد "أم " بجملة اسمية ليعطفها على جملة فعلية – أدعوتموهم " وكان المنتظر أن تجيء جملة فعلية " أم تصمتون " أو " أم صمتم " ولكن الفاصلة القرآنية آثرت انسجام النغمة الموسيقية ، وآثرت إحداث نوع من التآلف بين مقاطع الكلمات ، لتختار خاتمة للآية تحدث جرسًا موسيقيًا منتظرًا ونغمة ترتاح عند نطقها النفس .

ولقد كان التعبير بالعطف بجملة اسمية أنتم صامتون على جملة فعلية .... أدعوتموهم "

لنرى قدرة الفاصلة على إحداث مقابلة قوية بين تجدد الدعوة ، والصمت التام عن الدعوة ، فكلا الأمرين سواء عند هؤلاء؛ لأنهم قد اختاروا عدم الاستجابة إلى ما يُدْعَوْن إليه ، بسبب عنادهم وجهلهم .

العدول إلى الجملة الاسمية

" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ " البقرة"٧ " .

عدل عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية :-

والعدول هنا عدول يفرضه سياق الكلام بما يتحكم فيه من أمور داخلية وأمور خارجية ، فالناس اسم جمع لبني آدم لكنهم هنا قصد منهم مجموعة المنافقين الذين يحاولون أن يكونوا على حيدة فلا يحسبون على المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحسبون على الكفر أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والأمر يحتاج إلى فضح أحوالهم وكشف ما يحاولون إخفاءه ويجيء ذلك بعدد من العوامل والأمور الداخلية في السياق ومن هذه الأمور :-

مجيء الباء الزائدة التي تفيد التوكيد في لغة أهل الحجاز وهي زائدة عندهم، ولن تجيء الباء إلا بجعل الجملة اسمية منفية بـــ ما الحجازية .

ومن أجل المبالغة في التوكيد توكيد عدم إيمانهم وفضح ذلك على رؤوس الأشهاد – من أجل ذلك وخوفًا من هذه الفضيحة التي ألمت بالمنافقين سارع كثير منهم إلى إعلان الإيمان جهارًا نهارًا وحددوا موقفهم صراحة – أقول: من أجل المبالغة في فضح أمر هؤلاء جاءت الجملة اسمية منفية لتفيد ثباتهم على الأخرى التي لا يظهرونها " وسلط النفي على اسم الفاعل الذي ليس مقيدًا بزمان ليشمل جميع الأزمان [١] .

وكـــان العـــدول إلى الجمـــلة الاسمية هنا مفيدًا دالًا على نهاية الحكم الصادر على مجموعـــة المنافقين الأساسيين – لا مَنْ سار في ركابهم – من الله سبحانه وتعالى غير أنّ الزمخشري يضيف أمرًا آخر من خلال مقارنته بين الجملة الاسمية – وما هم بمؤمنين – وبيـــن الجمـــلة الفعلية قبلها : آمنا بالله وباليوم الآخر " فإن قلت : كيف طابق بين هاتين، والأول فـــي ذكـــر شـــأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل ؟ قلت : القصـــد إلى إنكـــار مـــا ادّعوه، ونفيه ، فسلك في ذلك طرقًا أدت إلى الغرض المطلوب ، وفيـــه مـــن الـــتوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهكذا يجيء العدول في هذا السياق من الجمـــلة الفعـــلية إلى الجملة الاسمية ليحقق به النظم القرآني مقاصد شتى ولا يفيد التقديم

(١)- البحر المحيط : جـــ ١ /٥١ .

قصـــد الاختصاص بل هو دعوى لإيمانهم وفضح خبثهم ، وقد استخدم القرآن ذلك المسلك عـــند الحاجة إليه كثيرًا فعدل عن استخدام الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في مثل قوله سبحانه:- " **وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**" هود ٩١ " .

وقوله : " **يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** " المائدة ٣٧ " .

وعند محاولة قراءة مجموعة من النصوص القرآنية التي ورد فيها العدول – في الفاصلة القرآنية – من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية نلحظ أنّ بلاغة القرآن تجلّت في بعض ما تجلت في الفواصل القرآنية ذات الجمل الاسمية المعدول إليها بدلًا من الجمل الفعلية في مثل قوله سبحانه :- " **ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ** " البقرة ٩٢ وهي جملة اسمية حالية بينت حالة هؤلاء الذين قابلوا نعم المنعم لا بشكره وعبادته بل بعبادة عجل لا يضر ولا ينفع ويصح تأويل الآية على غير الحال بل على أنها إخبار من الله أنهم ظالمون أي سجيتهم الظلم وهو وضع الأشياء في غير محلها ، وكان المعنى ثم اتخذتم العجل من بعده وكنتم ظالمين ، وأبرز هذه الجملة في صورة ابتداء وخبر ؛ لأنها أبلغ وآكد من الجملة الفعلية في هذا المقام " هذا إلى جانب أمر لا يقل أهمية عما سبق وهو مراعاة فواصل الآيات المجاورة لهذه الآية ، فلو جاءت جملة فعلية لقال : "ثم اتخذتم العجل وظلمتم " ولا شك أن الإيقاع الجميل سوف يقف انسيابه بل سوف يزول جمال هذا الإيقاع ولأجل ذلك جاءت الفاصلة هنا ... وأنتم ظالمون لتحافظ على جمال الإيقاع بختم الآية بصوت النون المسبوقة بواو ساكنة مسبوقة بميم مضمومة ظالمون " برغم وهو نغم يتساوق مع نغم الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية .

وعند قراءة نص آخر ترتيبه قبل هذا النص نجد الفاصلة جاءت جملة اسمية ... وأنتم تنظرون " في قوله سبحانه:- " **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ**"البقرة ٥٠".

بدلًا من ونظرتم ويمكن تأويل جملة : " وأنتم تنظرون " على الحالية فتكون بمعنى الإبصار أي : أن هذه الخوارق العظيمة من فرق البحر بكم وإنجائكم من الغرق ومن أعدائكم وإهلاك أعدائكم بالفرق قد وقع وأنتم تعاينون ذلك وتشاهدونه لم يصل ذلك إليكم

بنقل بل بالمشاهدة التي توجب العلم الضروري الذي لا شك فيه وقيل هو نظر البصيرة التي يتم بها العبرة والاعتبار بمصرعهم[1] كل ذلك فضل من الله ونعم أنعمها على هؤلاء القوم سواء كانت نعمًا عليهم أم نعمًا غير مباشرة حيث يتم فيها الانتقال من عدوهم فيهلك عدوهم كلما أراد الاعتداء عليهم حيث ارتبط تجدد النص على عدوهم بتجدد اعتدائه عليهم ولكنكم ثابتون على حال سلبية وأنتم تنظرون " فكان ينبغي أن تؤدي نظرة المشاهدة إلى نظرة اعتبار ، لكنكم لم تفعلوا من ذلك شيئًا .

فكانت الجملة الاسمية ذات الخبر الجملة الفعلية أكبر في نقل هذه الصورة التي أصبح عليها هؤلاء القوم حيال نعم الله المستمرة المتجددة عليهم " فهم فقط ينظرون ".

فلا يعتبرون ولا ينقلهم ذلك النظر إلى ما يجب عليهم حيال هذه النعم " .

العدول إلى الجملة الاسمية في الأعراف :-

" **وَإِن تَدْعُوَهُمْ إِلَى الهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوَهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ** " الأعراف ١٩٣ " [2]

قال أحمد بن يحيى : لأنه رأس آية يريد أنه قال : " **أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ** " ولم يقل أم صمتم .

وصامتون وصمتم عن سيبويه واحد .

وقيل : المراد مَنْ سبق في علم الله أنه لا يؤمن " .

العدول إلى الجملة الاسمية

" **وَإِن تَدْعُوَهُمْ إِلَى الهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوَهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ** " الأعراف ١٩٣ "

ولم يقل : أم صمتم قال أبو حيان : الظاهر أن الخطاب للكفار انتقل من الغيبة إلى الخطاب على سبيل الالتفات والتوبيخ على عبادة غير الله ويدل على أن الخطاب للكفار قوله بعد ذلك " إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم " وضمير المفعول عائد على ما عادت عليه هذه الضمائر قبل ، وهو الأصنام ، والمعنى : وإن تدعوا هذه

---

(1) البحر ١/ ١٩٩

(2) القرطبي جـ / ٣٤٢ .

الأصنام إلى ما هو هدى ورشاد أو إلى أن يهدوكم كما تطلبون من الله " لا يتبعوكم على ما تريدون لأنها جماد لا تعقل ثم أكد ذلك بقوله : سواء عليكم أي : دعاؤكم إياهم وصمتكم عنهم سيان فكيف يعبد من هذا حاله .

وعطفت الجملة الاسمية على الفعلية ؛ لأنها في معنى الفعلية حيث التقدير: أم صمتم [1]

والعطف الجملة الاسمية فيه إشارة إلى استحالة حدوث تغير في حال هذه الأصنام أو من يشبههم في عدم الاستجابة إلى داعي الخير والإيمان

وقد ظن البعض أن العطف هنا هو عطف مفردات وظنوا أيضًا ذلك في قوله الشاعر :

سواء عليك النفر أم بت ليلة بأهل القباب من نمير بن عامر

حيث قالوا معناه : سواء عليك أنفرت أم بت ليلة " [2]

ولكن الطبري رأى أن البيت روي برواية أخرى هي :

سواء عليك الفقر أم أنت بائت بأهل القباب من نمير بن عامر[3]

بل إن الفراء قبله رأى صحة ذلك ودليله من النثر مما هو دارج على ألسنتهم في مثل قولهم : سواء علي أقمت أم أنت قاعدٌ .... "

وقد أشار أبو حيان إلى أهمية مراعاة رؤوس الآيات وهذه المراعاة هي التي أدت إلى مثل هذا العدول هنا لتحقيق مراعاة الفواصل إلى جانب تحقيق هدف دلالي سياقي لا يقل أهمية عن مراعاة فواصل الآيات .

العدول عن البناء للفاعل إلى البناء للمفعول

ورد ذلك في قوله سبحانه : **وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى** " الليل ١٩ " .

" **إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى** " الليل ٢٠ " .

قال الآلوسي[4] ويعلم مما ذكر في بناء تجزي " للمفعول أن القصد ليس لفاعل معين " وقيل إن ذلك لكونه فاصلة ، وأصله " يجزي به إياها " أو " يجزيها إياه " وهذه

---

(1) البحر ٤ / ٤٤٢ .
(2) البحر جـ ٤ / ٤٤٢
(3) الطبري جـ ٩/ ١٥١ دار الفكر
(4) الآلوسي جـ ٣٠ / ١٥٢

الفاصلة فيها من خصائص لغتنا الاختصار والإيجاز فبدلًا من أن يقول الله : يجزيها إياه أحد من الناس وتمحى موسيقى الآيات وإيقاعها الجميل ، عَدَلَتْ

الفاصلة من البناء للفاعل إلى البناء للمفعول .

وفيها أيضا تعميم ذلك الفاعل وتوسيع دائرته ونفي كل جهات هذه الدائرة في الوقت نفسه .

قال الآلوسي[1] إن القصة لا تخص فاعلًا معينًا فلذلك بُني تجزى " للمفعول تأكيدًا لذلك .

العدول من البناء إلى البناء للمفعول :

" **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ** "نوح٩ "

قال الآلوسي[2] : " وقد بني للمجهول حتى يكثر من يقال فيهم إنهم زجروهم ولأجل الفاصلة والحقيقة أن دلالة المبني للمفعول هنا أبلغ من دلالة المبني للفاعل حيث إن تعميم الفاعل يفيد الكثرة ، ويفيد عدم التحديد، وفي ذلك ما فيه من المبالغة في وصم نوح من قبل أعدائه من قومه .

باب الممنوع من الصرف :

العدول إلى الصرف بدلًا من المنع

" **وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ** "

" **قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا** " الإنسان ١٥ ، ١٦ " .

قال الآلوسي : قرأ نافع والكسائي وأبو بكر بتنوين " قوايرًا " في الموضعين وصلًا ، وإبداله ألفًا وقفًا .

أما ابن كثير فيمنع الثاني ويصرف الأول لوقوعه في الفاصلة .

ويوقف عليه بألف مشاكلة لغيره من كلمات الفواصل ، لكنّ الزمخشري يجعل التنوين بدلًا من ألف الإطلاق كما في قوله

يا صاح ما هاج العيون الزرقن ....

---

(1) الآلوسي جـ ٣٠ / ١٥٢

(2) الآلوسي ٢٧/ ٨١

ويرى الزمخشري[1] : أن تنوين الثاني هو للإتباع أما حفص فيمنع صرف " قواريرًا " في الموضعين ، قال أبو على الفارسي في الحجة[2] " وحجة من صرف " سلاسلًا ... وقواريرًا " في الوصل والوقف أمران أحدهما : أن أبا الحسن قال : سمعنا من العرب من يصرف هذا ، ويصرف جميع ما لا ينصرف ، وقال وهذه لغة الشعراء لأنهم اضطروا إليه في الشعر فصرفوه ، فجرت ألسنتهم على ذلك واحتملوا ذلك في الشعر ، لأنه يحتمل الزيادة . كما يحتمل النقص ، فاحتملوا زيادة التنوين ، فلما دخل التنوين ، دخل الصرف .

الأمر الثاني : أن هذه الجموع أشبهت الآحاد لأنهم قد قالوا : صواحبات يوسف ، فيما حكاه أبو الحسن ، وأبو عثمان فلما جمعه جمع الآحاد والمنصرفة جعلوه في حكمها ، فصرفوها .

ونقل أبو على عن أبي الحسن أن قراءة المنع لا تعجبه لأنها ليست لغة أهل الحجاز ، قال أبو الحسن سلاسلًا وأغلالًا منونة في الوصل والسكت على لغة مَنْ يصرف نحو ذلك من العرب والكتاب بألف ، وهي قراءة أهل مكة وأهل المدينة والحسن ، وبها نقرأ، قال : وقواريرًا ، فينونهما أهل المدينة ، كلتيهما ويثبتون الألف في السكت .

قال : ونحن نثبت ذلك الألف فيهما ، وننونهما إذا وصلنا نحمل ذلك على لغة من يصرف أشباه ذا .

وإذا شئت لم تنون وإذا وصلت لأنها رأس آية وأهل الكوفة يقولون الظنونا والسبيلا والرسولا

وأهل مكة وأبو عمرو يثبتون الألف في هذا ، في الوصل والسكوت وكذلك نقرؤه لأنه رأس آية

ولا يجوز فيه تنوين إلا على لغة من ينون القوافي .

قال أبو الحسن : ولا تعجبني تلك اللغة لأنها ليست لغة أهل الحجاز .

---

(1) الزمخشري جـ ٤ /١٩٨

(2) الحجة جـ ٦/ ٣٤٩

العدول الأسلوبي

أولا التقديم والتأخير في فواصل متفرقة:

العدول في الرتبة :

إن العــدول في الرتبة نقصد به العدول إلى تقديم بعض العناصر التي جاءت بها رتبتها بعد بعض العناصر الأخرى، كما هو معروف في ترتيب الجملة الاسمية، حيــث يجيء المبتدأ ثم الخبر وكذلك نظام الجملة الفعلية مع مفعولاتها الخمسة ومع الحــال والــتمييز ثــم مع الجار والمجرور والظرف فإذا حدث تقديم وتأخير في أي عنصر من هذه العناصر فإنه يحتاج إلى بحث عن أسباب هذا التقديم والتأخير ، وإلى بحــث عــن نتائج ذلك كما سنرى عند دراسة بعض نماذج لكل واحد مما سبق ، أو لكثير مما سبق .

والقوافي في الشعر هي مركز انطلاق الشاعر في قصيدته لأن حركة القافية تتناغم مع تركيب جملتها ؛ لأن الشاعر يحرص على سلامة قوافيه وانسجامها ؛ لذلك يحــرص على صياغة جملتها صياغة صوتية وصرفية ونحوية تتفق مع حركة هذه القافية وتتفق مع المعاني التي يرويها مع تصوير فنيّ جميل .

قــال د. حماسة : ومن هنا نجد أن البيت كله في كثير من الأحيان متجه إلى حــركة القافيــة فيقــدم ويؤخر ويحذف وينعت ويعطف ، إلى آخر ذلك خدمة لمعناه ولفظــه في آن واحد "وليست القافية المطلقة فحسب هي التي توجه صياغة البيت بل إن القافية المقيدة كذلك تقوم بنفس الدور ، وكل ذلك لا يلغي دور حرف الروي نفسه وصيغة الكلمة – التي تشتمل عليه وضرورة موافقتها لما يوازيها في تنظيم المقاطع الصوتية [1]

إن الشاعر عندما يؤلف قصيدته يجري موازنة بين عدد من التراكيب ويكون في ذهنه عدد من البدائل اللغوية وأنماط متعددة من التراكيب ثم يختار في النهاية ما لا يرضى بسواه بديلًا... [2]

---

(١)- بناء الجملة العربية ص ٣١٣ .

(٢) - السابق .

ولقد أحسن رتشاردز عندما نص على أن اختيار الشاعر أو الأديب لألفاظ معينة وصوغ التركيب بشكل معين سيظل سرًا من الأسرار ... (١)

ولا شـــك أن لغة الشعر هي أرقى ما وصل إليه الشعراء في كلامهم وهي لغة لها خصوصيتها ولها قداستها في نفوس عشاقها .

فـــإذا انتقلـــنا إلى لغة القرآن الكريم وجدنا أنها أرقى اللغات على الإطلاق في نفـــوس المؤمنين به ، وغير المؤمنين به – إبان نزول الوحي – وقد آمن العرب أن القـــرآن الكـــريم قد سلك لجعل لغته الأرقى والأعلى – ما سلكه أصحاب الفصاحة والبيان في لغتهم من تقديم وتأخير وحذف وفصل ... إلخ ومع هذا جاءت لغة القرآن أرقى وأكمل وأفصح وأعلى .

لقـــد استخدم العرب في لغتهم شكلًا من أشكال القصر فعدلوا عن لفظة كذا إلى لفظة كذا وعن صياغة التركيب بشكل ما إلى صياغته بشكل آخر وكذلك فعل القرآن، وتنـــبه المفســـرون ومؤلفو كتب المعاني لهذه اللغة العدولية التي وجدوها في النص القرآني أرقى مما وجدوه في عدول لغة الشعراء حيث وجدنا فيها إشارات متعددة عن عدول في تقديم هارون على موسى أو موسى على هارون" ثم خلاف العلماء في ذلك أهو من أجل الفاصلة ، أم من أجل أمور أخرى غير ذلك أم من أجلهما معًا .

ومـــثل حديـــث العلماء عن بعض الآيات بعد إعادة ترتيبها ترتيبًا أقصد إعادة ترتيب كلماتها في داخلها ترتيبًا آخر كما ورد في قوله سبحانه :-

" وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) " الأعراف ١٥٤ " .

تحدث القدماء عن هذه الآية على اعتبار أن بها تقديمًا وتأخيرًا ، قال القرطبي : أي ســـكن : وكذلك قرأها معاوية بن قُرة سكن " وأصل السكوت السكون والإمساك يقـــال : جرى الوادي ثلاثًا ثم سكن عن الجري ، وقال عكرمة: " سكت موسى عن الغضب ، فهو من المقلوب ، كقولك " أدخلت الإصبع في الخاتم ، وأدخلت الخاتم في الإصبع، وأدخلت القلنسوة في رأسي ، وأدخلتُ رأسي في القلنسوة "(٢)

---

(١) العلم والشعر لريتشاردز ترجمة د. مصطفي بدوي ص ٣٢٣١ نقلًا عن بناء الجملة ص ١٣ .
(٢) القرطبي جـ ٧ / ٢٩٢ – ٢٩٣ .

لكن الشيخ سيد قطب رحمه الله يرى غير ذلك حيث نجده يمتدح الزمخشري في بعض لمحاته التي تميزه عن كثيرين غيره من المفسرين قال عنه الشيخ سيد قطب : .... إنـــه رجـــل متأخر نوعًا – كان يقع له بين الحين والحين شيء من التوفيق في إدراك بعـــض مواضع الجمال الفني في القرآن – وذلك في تفسيره لقوله سبحانه : " **وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ**...... " قال الشيخ سيد : قال الزمخشري كأن الغضب كأن يغريه على ما فعل ويقول له : قل لقومك كذا وألق بالألواح ، وجر بـــرأس أخيك إليك " قال الشيخ سيد رحمه الله : وهذا توفيق – كما ترى – محدود – ينقصه الوضوح – فإن أجمل ما في هذا التعبير هو " تشخيص " الغضب كأنه إنسان، يقول ويسكت ، ويغري ويصمت، فهذا التشخيص هو الذي جعل للتعبير جماله ، وهو الذي أدركه الزمخشرى [1]

وهذا يعني أن الآية ليس بها تقديم وتأخير ، وليس بها عدول في الرتبة ، خلافًا لمن أسلفنا رأيهم في بداية الحديث عن الآية .

ورأي صاحب ظلال القرآن رأي سديد رشيد ، ولكن البحث يعرضه هنا ليكون بمـــثابة الرأي الآخر في كثير من القضايا التي عرضت فيه ، فلا توجد قضية حولها رأي واحد ، بل إن كل قضية فرعية حولها عدد من الآراء المتساوية فيما بينها ، أو المتفاضلة تفاضلًا لا يلغي غيرها .

وقد عرضت رأي الشيخ سيد قطب برغم أنه يقول بعدم العدول لأقول إنه ليس مـــن المهم أن نقول بالعدول في كل موضع يكون ظاهره العدول بل علينا أن نتملى ونمعـــن الـــنظر لعلـــنا نجد في الآية جمالا على وجه يفوق وجه العدول فنقول به ، ونستحسنه ، ولا نرفض القول بالعدول بل نجعله – في مثل هذا الموضع – في المقام الثاني أو الدرجة المتأخرة .

قضية هارون وموسى :-

حيث قيل إن مراعاة الفاصلة أدت إلى تقديم" هارون على موسى " وكان يجب أن يقـــال : "موسى وهارون" والناظر في الآيات التي ورد فيها ذكر" موسى وهارون

---

(١) – التصوير الفني في القرآن ص ٢٦

– عـليهما السلام – يجد أنه قد اقترن ذكر موسى بهارون في القرآن عشر مرات ، تسـع منها تقدم فيها ذكر موسى على هارون ؛ أربع منها في غير الفاصلة ، وخمس فـي الفاصلة ، وتقدم ذكر هارون على موسى في موضع واحد وفي الفاصلة ، وقد اختلف فيه وقيلت فيه أقوال عدة".

ولقـد كـانت الآيـة التي تقدم فيها ذكرها هارون وموسى مثال أخذ ورد كثير وبخاصة من لدن القائلين بوجود سجع من نوع عالٍ في القرآن ، وحجتهم القوية هذه الآيـة حيث قدمت الآية هارون على موسى ، برغم من ورود ذكره دائمًا مؤخرًا في المواضع السابقة .

ولا نرى معهم باسًا في عدول القرآن إلى تقديم هارون على موسى في" سورة طه "

وتأخـره في بقيه المواضع ، فقد دعت مراعاة رؤوس الآيات إلى تقدم موسى على هارون في المواضع التي تقدم فيها، ودعت آيات " سورة طه " إلى تقدم هارون وتأخـر موسـى ، وهـذا هو القول الجديد الذي لم يقل به أحد ، حيث ركز كل من تعـرض لهـذه الآية على موضع "سورة طه" ولم يلتفتوا إلى المواضع الأخرى التي ورد فيها تقديم موسى على هارون ليسألوا أنفسهم : هل من الممكن تقديم هارون على موسى في الآيات الآتية في سورها :-

١- " **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ**..... " الأعراف ١٢١ " .

٢- " **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨)** " الشعراء ٤٧ ، ٤٨ " .

٣- " **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤)**" الصافات ١١٤ " .

٤- " **سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠)**" " الصافات ١٢٠ .

فهل كان من الممكن العدول إلى "هارون وموسى" في الآيات الماضية ؟

إن ذلـك لـو حدث لأدى إلى خلل موسيقي كبير ، والقرآن الكريم أعظم من أن يكون بنغماته العذبة أدنى خلل!! .

ولكن العدول توافرت دواعيه في سورة طه فجاء نظم القرآن على ما تقتضيه هذه السورة ونغماته العذبة .

هــذا أمــر ، ويضـــاف إليه بعد ذلك كل ما مَنّ الله به على علماء هذه الآية من فتوحات حول ذكر هارون وموسى في مواضع الفاصلة ، وفي غير الفاصلة.

إن كــل ذلك يؤيد بحق ما قلناه من أن العدول لأجل تآلف نغمات الآيات وتوافق فواصلها أمر مقبول وواقع في غير موضع من سور القرآن وهو عدول متعدد الوجوه ، فمنه ما يمكن درسه ضمن قضايا لغوية ، ومنه ما يمكن درسه ضمن قضايا صوتية بحــتة ، كهــذه الآيــة ، ومــنه ما أمكن درسه تحت العدول الصرفي أو النحوي أو الأسلوبي .

وســوف أحــاول فــي هذا المبحث أن أضمنه أنواعًا متعددة متنوعة من العدول الأســلوبي الخــاص بالتقديم والتأخير فقط ، ثم يجيء مبحث آخر عن عدول أسلوبي خاص بالذكر أو الحذف وهو ما أسميته بالاستغناء ، والاستغناء كما سنعرف بإذن الله نــوع من أنواع العدول بيد أن مبحث العدول في الرتبة قد ضمنت بداياته أنواعًا من العدول في غير فواصل القرآن ، بل ذكرت فيه أنواعًا متعددة من العدول داخل الآية في وسطها وبدايتها لأدلل بذلك على الفرق الكبير بين العدول في فاصلة الآية خاتمتها – أو نهايتها وبين العدول في وسطها حيث ستظهر فروق جوهرية كبيرة بين النوعين وسيتضح لنا أهمية الفاصلة وإيقاعها في النظم القرآني وعلى النظم القرآني .

أولًا العدول في غير الفاصلة :

١– تقديم المفعول

أ– قال تعالى " **وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ** " البقرة ٦٣ .

ب– " **وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ** " الأعراف ١٧١ .

ففــي آيــة الــبقرة قدم الظرف على المفعول ومثله آية النساء " **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ** " النساء ١٤٥ .

وهــذا يدل على أن الاهتمام بالظرف أكثر من المفعول ، وهو عكس ذلك تمامًا فــي سورة الأعراف حيث يدل تقديم المفعول على الأصل أن الاهتمام منصب على

فتق الجبل وهو أمر فيه إبراز للإعجاز الإلهي الذي ينصرف عنه بعض المشركين أو بعض اليهود ممن ينسون قدرة الله المطلقة .

فقـد ذكـر الله سبحانه في سورة الأعراف حال الجبل وشأنه حيث وصفه بأنه يشـبه الظلة – الغمامة التي سوف تقع بهم – " **وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ** " لكن الآيات لم تذكر شيئًا من ذلك في آيتي سورة البقرة والنساء مما يدل على أن الاهتمام في هاتين السورتين كان منصبًا على الجبل وعلى كل ما يتعلق به في غير الفاصلة .

تقديم المفعول الثاني في باب أعطى وأخواتها :-

ج – وقال تعالى : **يؤتي الحكمة من يشاء البقرة** ... " فقد جاء المفعول الثاني مقدمًا على المفعول الأول وهذا عدول قد جاءت به الآية من أجل أمن اللبس .

إذ المعـروف في أخوات أعطى أن الآخذ هو المفعول الأول وأن المأخوذ هو المفعـول الثاني ، وبهذا يكون الأصل في التركيب يؤتي من يشاء الحكمة " وهذا قد يؤدي إلى حدوث لبس في صلاحية الحكمة لأن تكون مفعولًا لـ"يشاء" وليس ليؤتى ، فتم العدول خوفًا من هذا اللبس .

وقد لاحظ المعربون للقرآن الكريم ذلك الملحظ حيث أعربوا " مَنْ " مفعولًا أولًا برغم تأخرها ، وأعربوا الحكمة مفعولًا ثانيًا برغم تقدمها وذلك لإدراك ما بينهما من علاقـات خفيـة يفرضها سياق الآية حيث تمت مراعاة فكرة الآخذية والمأخوذية في هذيـن المفعولين [١] ومن ذلك أيضًا إعرابهم لقوله سبحانه : " **وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ** " البقرة ٢٤٧ .

فقد تعلقت " ملكه " بـ يؤتي عدولًا عن الأصل من أجل أمن اللبس ؛ لأن كونها مفعولًا ليؤتي أقرب من كونها مفعولًا لـ يشاء [٢] .

تقديم المفعول :

د- قال تعالى : " **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ** " الأنعام ١٠٠ .

---

(١) – البيان في روائع القرآن ١٩٤ .

(٢) – البيان في روائع القرآن ص ١٩٤ .

وليــس بخاف أن لتقديم الشركاء حسنًا وروعة ومأخذًا من القلوب أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخّرت فقلت وجعلوا الجنّ شركاء لله ، وأنك ترى حالك حال من نُقِل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر إلى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل، ولا تعيد النفس به إلى حاصل ، والسبب في أن كان ذلك كذلك ، هو أن للــتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلًا لا سبيل إليه مع التأخير ، وبيانه أنا ، وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى ، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيره ، وإذا أخّر فقيل جعلوا الجن شركاء لله " لم يُفد ذلك ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخــبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى ، فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير " الشركاء " دليل عــليه فانظــر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدّم الشركاء واعتبره ، فإنه ينبهك لكثير من الأمور ويدلك على عظيم شأن النظم ، وتعلم به كيف يكون الإيجاز بـــه وما صورته ؟ وكيف يراد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ إذ قد ترى أن ليــس إلا تقديــم وتأخيــر وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى " وهو ما يسمى بمعنى المعنى " ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك . و احتجت إلى أن تستأنف له كلامًــا نحو أن تقول " وجعلوا الجن شركاء لله وما ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم " ثم لا يكون له إذا عقل من كلامين من الشرف و الفخامة ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الآن وقد عقل من هذا الكلام الواحد [١]

فالأصــل تقــدم المفعــول الأول " الجن " ثم الثاني شركاء ثم شبه الجملة لله " بالمنزلة من الخاص إلى العام ولكن تقدم " لله " بالرتبة والفضل تلاه شركاء بالمنزلة ثــم المفعول الأول " وذلك لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله ، لا إلى مطلق الجعل، وتقديــم الشركاء أبلغ في حصول التوبيخ المقصود ولذلك كان لا بد من إعادة توزيع الرتــبة وتقديم العام الأشمل عمومية على العام الأقل منه من أجل الغرض المعنوي

(١) - دلائل الإعجاز : ص ١٨٦ - ٢٨٨ .

كما جاءت تكمله الآية **وخلقهم** " فناسب " ذلك تأخير الجن للاتصال مع ما بعدها وهو خلق الله لها فقد حصل التوبيخ من تقديم العام الأشمل وتقديم العام الأخير [١]

د – تقديم المفعول الثاني :–

" **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا** " الأعراف ١٥٥ .

فالمعـــروف في باب اخترت تقديم المجرور وتأخير المفعول المجرد من حرف الجر ، فنقول : اخترت من الرجال زيدًا ويجوز فيه التأخير فتقول : اخترت زيدًا من الرجال ، فإذا سقط الحرف لم يحسن تأخير ما كان مجرورًا به في الأصل ، فيقبح أن نقـــول : اخترت زيدًا الرجال واخترت عشرة الرجال أي : من الرجال لما يوهم من كـــون المجرور في موضع النعت للعشرة ، أو أنه ليس في موضع المفعول الثاني ، وأيضًـــا فإن الرجال في المثال الثاني : معرفة فهو أحق بالتقديم للاهتمام به كما لزم في تقديم المجرور الذي هو خبر عن النكرة من قولك في الدار رجل لكون المجرور معـــرفة وكأنه المخبر عنه ، فإذا حذفت حرف الجر لم يكن بد من التقديم للاسم الذي كان مجرورًا نحو : اخترت الرجال عشرة ، والحكمة في ذلك أن المعنى الداعي الذي من أجله حذف حرف الجر هو معنى غير لفظ فلم يقو على حذف الجر إلا مع اتصاله وقربه منه ووجه ثانٍ وهو أن القليل الذي اختير منه الكثير إذا كان مما يتبعض يجوز فيـــه أن نختار وأن يختار منه فألزموه التأخير وقدموا الاسم المختار منه وكان أولى بذلك لما سبق من القول [٢]

فأصـــل الآيـــة إذن واختار موسى سبعين رجلًا من قومه " فلما قدم من قومه " حـــذف حرف الجر فتم وقوع الفعل على المفعول قومه " مع أن المقصود هو اختيار سبعين رجلًا " فقط وليس كل القوم " .

---

(١) – راجع البرهان للزركشي: جـــ ٣ / ٢٣٦ والبيان في روائع القرآن : ٣٧٨ – ٣٧٩ .

(٢) – بدائع الفوائد : جـــ ٢ /٥٧ ، ونتائج الفكر للسهيلي ص ٢٣٠ .

هـ – تقديم المفعول الضمير على مفعول آخر ضمير:

" وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ " الإسراء ٣١ .

وللأصل تقدم ضمير المخاطب ثم الغائب من الأخص إلى غير الأخص ، بالرتبة كما في قوله سبحانه : وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ منَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ " الأنعام .

والسبب في ذلك أن آية سورة الأنعام قد جاء فيها : " وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ منَ إِمْلاقٍ" أي " : من أجل الإملاق ، وانقطاع مال وزاد، وهذا نهي عن قتلهم مع فقدهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤونة غيرهم ، فكأنه قال الذي يدعوكم إليه من حالكم في أنفسكم ثم غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فإني أرزقكم وإياهم[1] .

فالفقر هنا حال واقع بهم وهم فقراء ، وأما في آية الإسراء فإنه قال فيها " خشية إملاق " والإملاق غير واقع بهم وهم أغنياء فكأنه قال خوف الفقر على الأولاد، وكان عقيب هذا إزالة الخوف عنهم ثم عن القائلين أي لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر فالله يرزقهم وإياكم فقدم في كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه وأخر ما اقتضى الموضع تأخيره [٢]

وعلى هذا فالمجيء على الأصل كان بالرتبة حيث اتصلت المباني بعضها مع بعض وتحت إعادة توزيع الرتبة للألفاظ من أجل اتصال المباني بعضها مع بعض فصارت تترتب بالرتبة في الأصل وفي العدول عن الأصل لأن تقدير الكلام في آية سورة الأنعام : " منَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ " والتقدير في آية سورة الإسراء : خشية إملاق يقع بهم نحن نرزقهم وإياكم فتقدم الضمير بالرتبة في الحالتين لأن اختلاف المعنى يؤدي إلى اختلاف الكلام أو اختلاف التقديم والتأخير يؤدي إلى اختلاف المعنى ، وكما قال أحد الدارسين : فتقدم الضمير بالرتبة في الحالتين لأن

---

(١) – درة التنزيل للخطيب الإسكافي : ص ٧٤ وخصائص التعبير القرآني عبد العظيم المطعني جـ ٢ / ١٨٣

(٢) – الخطيب الإسكافي درة التنزيل : ص ٧٤ ، ودور الرتبة المنزلة والموقع في الظاهرة النحوية ، عزام محمد ذيب أشريدة ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م ، دار الفرقان ، عمان ، ص ١١٦ .

اختلاف المعنى يؤدي إلى اختلاف الرتبة والمبني عليه في الآيتين مختلف فهو في آية الأنعـــام : مبني على الإملاق الواقع بهم والفقر موجود فعلًا بينما هو في الثانية يشير إلى أنهم أغنياء ولكنهم يخشون نزول الفقر .

وقـــد تـــم العدول عن الأصل من أجل الهدف المعنوي وهو إزالة خوفهم على الأولاد [1]

٢- تقديم الجار والمجرور على المفعول به في غير الفاصلة :-

أ- ورد ذلك كثيرًا ومن ذلك قوله تعالى :-

١- " **إِنَّمَـــا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ** " البقرة ١٧٣ .

٢- وقال : " **وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** " المائدة ٣ .

٣- وفـــي الأنعـــام ١٤٥ ، والنحل ١١٤ - ١١٥ ففي كل هذه الآيات جاء تقديم الجـــار والمجـــرور على الأصل بينما تأخر الجار والمجرور به " في الثانية عـــلى خـــلاف الأصل وذلك لأن الخطاب في الآية الأولى للمؤمنين - أهل المدينة وهم ليسوا عباد أصنام ، حتى يسارع إلى نفي الشرك وإبطال الأصنام فهو يهدف إلى تحريم ما حَرّم أولًا ثم الثبات على ما هم عليه من الإيمان ثانيًا ، ومـــا قدم فيه لغير الله فهو خطاب لأهل مكة مسارعة إلى نفي الشرك فهو يهدف إلى نفي الشرك أولا ثم تحريم ما حرم ثانيًا ، فتقدم العام على الخاص بالرتبة من أجل الغرض المعنوي [2]

كما أن الكلام بعد آيتي سورة البقرة والنساء يستمر عن بني إسرائيل في حين أن الكلام ينقطع عنهم في سورة الأعراف عند هذه الآية ، ويستمر الكلام دون ذكر لبني إسرائيل فلما كان الكلام والسياق على بني إسرائيل في آيتي البقرة والنساء ناسب ذلك تقديـــم الظرف المتصل بهم - فوقهم - ولما لم يكن الأمر كذلك في الأعراف لم يكن داعٍ لتقديمهم .

---

(١) - دور الرتبة ص١١٧ .

(٢) - خصائص التعبير القرآني : جـ ٢ / ١٦٣ .

وجاء استخدام الفعل " نتق " مع الجبل " واستخدمت الآيات " رفع " مع الطور " وهو أمر له أثره في التقديم أيضًا فإن النتق أشد وأقوى من الوقع ذلك أن معنى النتق هـو الجذب والزعزعة والاقتلاع ومعناه أيضًا هو أن يقلع الشيء فيرفعه من مكانه ليـرمي به ، وهذا هو الأصل في حين أن الرفع ضد الوضع ، مما يجعلنا نشعر بأن نتق الجبل فيه من الغرابة والقوة والإهانة والتهديد ما ليس في رفع الطور .

كما أن استخدام لفظة الجبل " والطور " كلا في مكانها له أثره الواضح في التقديم والتأخير ، فاسم الجبل عام وحوله ظلال وإيماءات بالقوة والشموخ ولا يشترط ذلك في الطور إذ هو بعض من الجبل فكان رفع الجبل أعظم من رفع الطور ، فكيف إذا كان نتقًا ، فاستوجب ذلك تقديم الجبل وتأخير الطور .

إذن فالأهميـة كـانت وراء هذا التقديم والتأخير ، ونقصد بالأهمية والاهتمام مراعاة سياق الآيات.

ب- تقديم الوصف بالجملة على الوصف بشبه الجملة :

قال تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِـي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُون** "يوسف ١٠٩.

والأصل أن يتقدم الوصف من أهل القرى " لأنه أدل على المتبوع من الجملة ، ولكـن عُـدِل عن الأصل وتقدم العام على الخاص " لما كان وصف الرجال بنزول الوحـي أهـم من كونهم من أهل القرى ، فقدم الوصف الأهم ليكون ألصق بالرجال وأدل عليهم .

فـالكلام فـي الآية مبني على إرسال الرسل والوحي ولذلك تمت إعادة توزيع الرتـبة من أجل الهدف المعنوي ، ومن أجل أن تترتب المباني في منازلها من الأهم إلى غير الأهم وتقديم العام يتناسب مع المبني عليه" .

ولـن نجـد أحدًا من المفسرين أو البلاغيين يشير إلى هدف لفظي في مثل هذا الترتيب الذي حدث في الآية .

ج- وقال تعالى : **واجْعَلْ لي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي** " هارون أخي " وأصل التركيب : واجعل هارون أخي وزيرًا لي من أهلي " لكن وضع التركيب على هذا النحو يجعل من " بمعنى " دون " أي : اجعله معينًا لي على أهلي وهو غير المعنى المقصود وقد جــاء بعــد قوله سبحانه " هارون أخي " اشدد به أزري وأشركه في أمري " فتأخير المفعول الأول من أجل اتصال الوسيلة بالغاية ، ولذلك تمت إعادة توزيع الرتبة وتقدم العام الأشمل على العام الأقل شمولًا على العام الأقل منهما ، كل ذلك تم من أجل أمن اللبس .

د- وقــال تعــالى :- وإن نشــأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين " الشعراء ٢٦ " .

فقــد تــم العــدول في الآية بتقديم الجار والمجرور من السماء - عليهم على المفعــول " آيــة " " والأصل ننزل آية من السماء عليهم ولكن مجيء الأصل يجعل الضمير في " لها " عائدًا على السماء وليس على آية فَعُدِل عن الأصل لأمن اللبس .

ثانيًا : العدول في الفاصلة :

- في استخدام الجار والمجرور مقدما ومؤخرا :-

ســوف يجيء هذا المبحث محتويًا على ألوان من العدول الأسلوبي والنحوي في الفاصلة من كثير من سور القرآن ثم يختم بنص كامل من نصوص القرآن الكريم ، تم عرض كل محتواه من أنواع العدول ثم نحاول عرض بعض هذه المواضع التي تم العدول إليها في الفاصلة لكي نثبت بهذا النص أمرين مهمين :

الأمــر الأول :- أن العدول في الفواصل ما جاء عبثًا كما يظن بعض مَنْ لا عــلم لهم ، بل جاء لأغراض كثيرة منها اللفظي ، ومنها الدلالي ، وقد يقدم أحدهما على الآخر في بعض المواضع ، ويؤخر الآخر في مواضع أخرى .

الــثاني : - أن كثيرًا من أنواع العدول في النص المختار وهو سورة الكهف قد تم العدول فيها خدمة لموسيقى السورة كلها ، أو لموسيقى الموضوع الذي تعرضه في آيات هذه الفواصل ، ويعتبر ذلك نموذجًا عامًا لجميع السور ذات الروي الموحد

حـــركة أو حـــرفًا أو السور ذات المقاطع المتماثلة أو المتقاربة أو التي يمكن درس موسيقى فواصلها باستخدام قوانين الإيقاع السبعة .

إن العــدول فـــي الفواصـــل بجميع أنواعه – يعد مصدرًا مهمًا من مصادر الإبـــداع المعجز ؛ لأنه مع إعجازه ينتقل الكلام من مستوى اللغة المثالي إلى مستوى الـــلغة الإبداعـــي ، ذلـــك المستوى الذي يتفاوت المتكلمون في استخداماته، كأساليب للتعبير عن مكنوناتهم .

وقـــد أعجـــز القرآن جميع أهل الفصاحة والبيان في جميع جوانب إعجازه ، وعلى رأسها نظمه بجميع جوانب إبداع ، وعلى رأسها العدول بكل أنواعه .

لأن العـــدول في الصيغة أو في النحو أو في الأسلوب يعد شكلًا من الأشكال الـــتي تميزت بها لغتنا العربية الجميلة لأن جميع نصوص هذه اللغة قد احتوت على شـــكل أو أكثر من أشكال العدول الأسلوبي ، لكن القرآن الكريم قد احتل قمة البيان ، وقمـــة الإعجـــاز فـــي استخداماته العدولية خدمة للمعاني ، أو خدمة للإيقاع الداخلي والخارجي للآيات والسور .

وســـوف يكون درسنا لعدد من ألوان العدول الأسلوبي في هذا المبحث بمثابة رد عملي على كل صوت ينكر اهتمام النص القرآني بالإيقاع أو مراعاة الفواصل .
وســـوف نـــدرس أولًـــا بإذن الله ألوانًا من التقديم والتأخير في بعض سور القرآن ثم نختمها بعرض لسورة الكهف كاملة .

١- تقديم المفعول به في الفاصلة على الفعل :-

أ- " **إياك نعبد وإياك نستعين** " الفاتحة ٥ .

قال القرطبي[١] : قوله : إياك نعبد رجع من الغيبة إلى الخطاب على التلوين ؛ لأن مـــن أول السورة إلى هاهنا خبرًا عن الله سبحانه ، وثناءً عليه ، كقوله سبحانه : وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا ..."

ثم قال القرطبي : ونعبد معناه نطيع ، والعبادة الطاعة والتذلل ..... وإن قيل لم قُـــدِّم المفعـــول على الفعل ؟ قيل قُدِّم اهتمامًا ، وشأن العرب تقديم الأهم ، يذكر أن

---

(١) القرطبي ١٤٥/١

أعـــرابيًا ســـب آخر فأعرض المسبوب عنه ، فقال له الساب : إياك أعني ، فقال له الآخـــر : وعـــنك أعرض " فقدم الأهم ، وأيضًا لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود ، فلا يجوز نعبدك ونستعينك .

وأيضًا لئلا يتقدّم ذكر العبد والعبادة على المعبود فلا يجوز نعبدك ونستعينك ، ولا نعبد إياك ونستعين إياك ، فيقدم الفعل عل كناية المفعول ، وإنما يتبع لفظ القرآن قال العجاج :

– في التقديم

إياك أدعو فتقـــبل ملقـــي   واغفر خطاياي وكثير ورقي

أما قوله إليك حتى بلغت إياكا فشاذ ومعناه : أي : سارت هذه الناقة إليك حتى بلغتك

قال أبو حيان : زعم الزمخشري أن المفعول لا يتقدم على عامله إلا للتخصيص فكأنه قال ما نعبد إلا إياك ، لكن التقديم عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول فقد ســـب أعرابي أعرابيًا فأعرض عنه فقال له : إياك أعني فقال له : وعنك أعرض ، فقـــدم كـــل منهما الأهم ثم تحدث أبو حيان عن الالتفات الذي حدث في : إياك نعبد وإياك نستعين بأنه جاء من العدول من الغائب إلى الخطاب والمخاطب هو رب العزة سبحانه فلا معبود سواه ولا يستحق العبادة إلا هو مالك الملك [1]

وقـــد حاول أبو حيان أن يدلل على صحة العدول في فاصلة آية سورة الفاتحة بـــورود ذلـــك في عدة مواضع من السور القرآنية مثل ورد ذلك في سورة البقرة : **وَإِيَّـــايَ فَارْهَـــبُونِ** (٤٠)، **وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** (٤١) وسورة القصص ٦٣ **قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ** (٦٣) " .

ثـــم توقف أبو حيان قليلًا عند عرض آيات سورة القصص راضيا على ما قاله الزمخشري حولها

---

(١) البحر : جـــ ١ /٢٤ ، وانظر الكشاف جـــ ١ / ٦٠ ، ٦١ وقد قال الزمخشري نصًا : وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى : " **قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون** " – ومثله : " **قل أغير الله أبغي ربًا** " ونحن نلاحظ أن هذه المواضع ليست فواصل .

قال أبو حيان : ربنا – منادى منصوب – هؤلاء : مبتدأ

والذيــن أغويــناهم " صــفته – أغويناهم كما غوينا : خبر وكما غوينا صفة لمطـــاوع أغويناهم ، أي : فغووا كما غوينا ، أي تسببنا لهم في الغي فقبلوا منا " ثم قال أبو حيان ، وهذا الإعراب قاله الزمخشري .

لكــن أبا علي ينكر ذلك ويقول إلا يجوز هذا الوجه لأنه ليس في الخبر زيادة عــلى ما في صفة المبتدأ ثم أعرب أبو علي: الذين أغوينا " خبرًا ، وأغويناهم كلام مســتأنف " وقــال غيره : لا يستبعد الوجه الأول لأن الفضلات في بعض المواضع لازمة .

ثم قال أبو حيان : تبرأنا إليك منهم ما كانوا يعبدوننا إنما عبدوا غيرنا ، وإيانا مفعول بعبدون لما تقدم انفصل وانفصاله لكون يعبدون فاصلة راس آية ، ولو اتصل لم يكن فاصلة ".

ثــم نقــل أبو حيان عن الزمخشري : أن إخلاء الجمليتين من العاطف لكونها مقرونين لمعنى الجملة الأولى [1]

إن الآيــات متصــلة ببعضها في المعاني اتصالها في الألفاظ بداياتها ووسطها ونهاياتهــا ، لقد بدأت الآيات بتعقيب الله سبحانه على ما يؤول إليه أمر كل من سار فــي طــريق الإلحاد مدعيا – ادعاء – عدم معرفته بالمصير المحتوم . قال تعالى : ويوم يناديهم فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون " قال الذين حق عليهم القول : ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا ، تبرأنا إليك ، ما كانوا إيانا يعبدون "

إن هؤلاء يعترفون بما كان منهم إنهم لم يغووا إلا باختيارهم ، ولم يفرض أحد عــليهم الإغــواء بل زين لهم فصنعوه، و زينوه لغيرهم ... وتظهر هذه المعاني في التوجيهين التاليين للآية :-

١- هؤلاء   الذين أغوينا

مبتدأ   خبره

---

(1)- البحر ٧ / ١٢٨ الكشاف جـ ٣ /١٨٨ .

٢–هؤلاء	الذين أغوينا	أغويناهم	كما غوينا
مبتدأ	صفة	خبر	مصدر مؤول مجرور بالكاف
ما	كانوا	إيانا	يعبدون
نافية	كان + الواو	مفعول مقدم	فعل مضارع + فاعل (واو الجماعة)
	فعل ناقص + اسمه	ضمير منفصل للنصب	
	الجملة خبر كان في محل نصب		

وتقـدم الضمير إيانا خرج من أفواه هؤلاء الكافرين وهم يرتجفون في موقف المسـاءلة والحساب فيحاولون دفع شبهة أن يكونوا قد طلبوا من غيرهم أن يعبدهم، إن غيرهم كانوا يعبدون أصنامًا ... آلهة أخرى ... إلخ

وهم – يحسبون – أنهم بذلك سينجون من عذاب الله وكأننا بهم نتذكر مجرمًا أو لصًـا أو منحرفًا قد تم القبض عليه فيحاول دفع العقاب عنه بإلقائه كل تبعة بعيدًا عنه حتى إنه قد تصل به الرغبة في النجاة فيتهم المجني عليه ...!!

لقـد تم العدول إلى فصل الضمير عن فعله، وتقديمه عليه، ليحمل لنا شيئًا مـن تفصـيلات هذا المشهد وليكون ذلك عونًا مستمدًا من تناغم فواصل الآيات في إيقاع نغمي معبر مؤثر مطلوب لسياق الآيات.

ب– أفغير دين الله يبغون " آل عمران ٨٣.

قـال الآلوسـي[1]: وإنمـا جـاء تقديم المفعول من باب الاتساع ولشبه يبغون بالفاصـلة، وقيـل إن هذا قول لا تحقيق فيه عند ذوي التحقيق؛ لأنا لم ندع توجه الإنكار إلى الذوات كما لا يخفى.

وقيـل: إن تقديـم المفعول لأنه المقصود بالإنكار لا للحصر كما توهم؛ لأن المنكر هو اتخاذ غير الله ربًا ولو معه.

ثـم إن الإنكار بالهمزة لا يتوجه به إلى الذوات بل يتوجه به إلى الفعال – التي هي الابتغاء ومتعلقه دين الله ".

وقد يسأل سائل: لماذا جئت بهذه الآية وهي ليست فاصلة هنا؟

---

(١) الآلوسي جـ ٣ / ٢١٣

ولهـذا أقـول إن قـول الآلوسي رحمه الله – إنما جاء تقديم المفعول من باب الاتسـاع ولشبه يبغون بالفاصلة هو سبب ذكري لهذه الآية في هذا الموضع ، وذلك لكـي أقول لكل مَنْ أصابه الحرج في التعامل مع النص القرآني إنّ كبار علمائنا قد أحسّـوا بجمال القرآن وبعذوبة إيقاعاته التي تتطلب أحيانًا عدولًا في النسيج الداخلي للآيـات – لا فاصلتها – فتقدم أو تؤخر حفاظًا على الإيقاع العام للسورة أو الإيقاع الخـاص للآيـات ومعانيها – نعم لقد تم العدول هنا لشبه يبغون بالفواصل !!! وهذه خاصـية مـن خواص اللغة النموذجية المثالية التي تحافظ على موسيقى كلماتها إذا انضـمت إلى بعضها في عقد واحد فتجمل ذلك العقد بجعل نغماته متآخية مع بعضها ليكون ذلك العقد – السورة – أو الآية – متناغمًا مع جاراته .

أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)

قـال الآلوسي[1] : هؤلاء مبتدأ وكانوا يعبدون خبره – وإياكم مفعول يعبدون، قُـدّم للفاصلة مع أنه أهم لأمر التفريع واستدل بتقديمه على جواز تقديم خبر كان إذا كـان جمـلة عليها كما ذهب إليه ابن السراج فإن تقديم المفعول مؤذن بجواز تقديم العامل .

وتعقـب ذلـك أبو حيان : بأن هذه القاعدة ليست مطردة ، ثم قال والأولى منع ذلك إلا أن يدل على جوازه سماع من العرب .

والعـدول إلى صـيغة الماضي للدلالة على التحقق أي : أنت الذي نواليه من دونهم ، فلا موالاة بيننا وبينهم .

د- وقال تعالى : **أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ** (٨٦)" الصافات ٨٦ (٣٧)

فهـذه الآية قد تقدم فيها المفعول به – وهو اسم ظاهر وليس ضميرًا – آلهة ،" وتقـدم أيضًا المفعول له " إفكًا " وبهذا التقديم تم العدول عن الأصل وهو " أتريدون آلهة دون الله إفكًا ".

ثـم انظـر إلى حسن عكس الرتبة بإيراد المفعول لأجله أولًا ، ثم المفعول به الموصـوف بشـبه الجملة ثم الفعل وفاعله ، فالآية كما تعلم استفهام إنكاري ومادام

---

(١) الآلوسي ٢٢ / ١٥١

معـــناها الإنكـــار فـــإن ترتيب ألفاظها ينبغي أن يكون بحسب الأولوية في استحقاق الإنكار وأول الألفاظ بالإنكار لفظ إفكا ، لأن الكفر قد يكون ميراثًا عن الآباء ولكنه قد يكـــون انحرافًا عن الحق متعمدًا لا ينفع معه الدليل على فساده فذلك هو الإفك ثم يلي في الإنكار أن يذهب الإفك عن إشراك آلهة مع الله فإذا كانت الآلهة دون الله لا معه فهذا أوغل في الشرك ويضاعف من سوء ذلك كله أن يكون ذلك بإرادتهم واختيارهم ولو أن سياق الكلام كان على صورة أخرى مثل : أتريدون آلهة دون إفكًا لانطفأ كل ما كان في الكلام من حرارة الإنكار ، ولبدا الكلام وكأنه سؤال لهم عما يفضلونه من أنواع الشرك ؟!! [1]

وقـــد وجدنا أن المفعول لأجله وهو آخر المفاعيل ترتيبًا قد تصدر هذا الشاهد يتـــلوه المفعـــول به ونعته ؛ وذلك لأن أول ما تعلق به الاهتمام هو السببية التي عبر عنها المفعول لأجله ، لأن الكفر عن ضلال قد ترجى له الهداية ، أما الكفر عن إفك فذلك انحراف مع تدبير وكيد وإصرار [2]

فالأصـــل تقـــدم الفعل فالفاعل فالمفعول فالصفة فالمفعول لأجله بالأهمية ولكن عدل عن الأصل وتقدم المفعول لأجله ليلي همزة الاستفهام الإنكاري لأن الاهتمام قد تعلق به ، ثم تبعه المفعول به في شدة الاستنكار ثم وصف المفعول.

ولعلنا ندرك الإعجاز الإلهي العظيم في ترتيب المباني من العام إلى الخاص ، وقد تمت إعادة توزيع الرتبة من أجل الهدف المعنوي ، ومعنى المعنى كما يقول عبد القاهـــر الجـــرجاني :- لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك[3].

هـــــ- قال تعالى :- **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)** " الإنسان " ٧٦ (٨)

---

(١) – البيان في روائع القرآن جـــ ١ / ٩٥ .

(٢) – المصدر السابق نفسه .

(٣) – دلائل الإعجاز : ص ٢٦٧ .

وأصـــل الكـــلام : ويطعمون مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا الطعام على حبه " ، وتقديم المفعول الثاني مع الجار والمجرور ينقل الآية من لغة الإيصال " النفع " إلى مستوى لغـــة الانفعـــال ، فإطعـــام الطعام مع تقديم الجار والمجرور يختلف عن إطعامه مع تأخيره ، وكأن هؤلاء الناس : يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

وهـــذا المعـــنى لا نصـــل إليه مع تأخير الجار والمجرور، ومجيء الآية على الأصـــل لا يحمـــل لـــنا آيـــة شحنة عاطفية وهو ما يسمى في علم الأسلوب درجة الصفر[1] كما يقول الأسلوبيون .

بيـــنما نقـــلت الآيـــة مع العدول شحنة انفعالية مؤثرة نتيجة نقل المفعول الثاني والجـــار و المجرور من منطقة الظلام إلى منطقة النور ، حيث صار محط الاهتمام وتقـــدم المفعول الثاني بالرتبة – أدى إلى تقديم الجار والمجرور بالأهمية لأنه مرتبط بـــه معنويًا فهو حال من المفعول وبذلك تترتب الآية من العام إلى الخاص عدولًا بعد أن كـــانت تترتب من الخاص إلى العام أصلًا ، كما أن تأخير " على حبه " يشعر بأن المطعميـــن هم المحبوبون كما كان في عملية التقديم رعاية للفاصلة إذن فعملية إعادة توزيـــع الرتـــبة تمـــت من أجل تحقيق الهدفين الكبيرين ، الهدف المعنوي والهدف اللفظي.

ومن العدول إلى تقديم المفعول به :

قوله سبحانه : " وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " البقرة ٥٧ "

قال د. بحيري[2]: عني عبد القاهر بالوجه الأول من وجوه النظم وهو التقديم والتأخير عناية كبيرة تتمثل ليس في تقديمه على الوجوه الأخرى فحسب ، بل في كثرة أمثلته وتشعبها وتعدد طرق التحليل ومعاييره وأدواته، وقد صدر معالجته لمسائله بالتأكيد على ثبات القاعدة واطرادها ، ولزوم تحقيق الفائدة أو القيمة في جميع

---

(١) – شكري عياد : اللغة والإبداع ص ٤٤ والبلاغة الأسلوبية – محمد عبد المطلب ٣٢٩ .

(٢) بحيري ص ٢٠٧

أحوال الكلام إذ يقول في دلائل الإعجاز[1]: " واعلم أنّ من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء أو تأخيره قسمين فيجعل مفيدًا في بعض الكلام ، وغير مفيد في بعض ، وأن تعلل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر أو الكاتب ، حتى تطرد بهذا قوافيه ولذلك سجعه ، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى ، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلًا على الفاعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال "

وقد بدأ عبد القاهر بمعالجة مسائل التقديم والتأخير في الاستفهام أولًا ثم النفي ثم الخبر ، ثم تحدث عن الجمل المحددة للقاعدة النحوية ثم الجمل التي خرجت عن القاعدة .

لقد علّق الآلوسي على تقديم المفعول في مثل هذه الآيات أكثر من تعليق، وكلها تعليقات لها أهميتها وقيمتها .

قال : وتقديم المفعول يحتمل أن يكون لمجرد الاهتمام به ورعاية للفاصلة، من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبًا للقصر كابن الأثير ومن تبعه ، كما في قوله سبحانه : وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم " [2]

ويحتمل أن يكون لقصر المظلومية عليهم على رأي مَنْ يرى التقديم يفيد القصر وهو رأي الجمهور" [3]

وفي موضع آخر انصرف الآلوسي إلى أمر آخر في فاصلة هذه الآيات ذلك الأمر هو الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار "[4]

ثم قال في موضع آخر : تقديم المفعول " أنفسهم " يفيد في القصر ، قصر ظلمهم على أنفسهم مهما امتد إلى غيرهم " [5]

---

(1) دلائل الإعجاز ص ١٠٨

(٢) الآلوسي : جـ ١١ / ١٢٦ .

(٣) السابق : جـ ١٠ /١٣٥ .

(٤) السابق : جـ ١٠ /١٣٥ .

(٥) الآلوسي : جـ ٩ / ١١٦ .

ثم قال : ويشعر كلام بعضهم أن تقديم المفعول على الوجه الأول لرعاية الفاصلة وعلى الوجه الثاني للإشارة إلى التخصيص، وأن سبب ظلمهم أنفسهم هو التكذيب أو أن التكذيب هو ظلمهم لأنفسهم ، أو يؤدي إليه " [١] .

ثم قال الآلوسي[٢] : معلقًا على قوله سبحانه : " **وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** "

هذا تأكيد لما فهم من الكلام قبل ذلك إشعارًا وتصريحًا وقرئ ولكنّ بالتشديد ، على أن أنفسهم اسمها وجملة يظلمون خبرها والعائد محذوف والتقدير يظلمونها وليس مفعولًا مقدمًا كما في قراءة التخفيف واسمها ضمير الشأن لأنه لا يحذف إلا في الشعر كقول الشاعر :-

وما كنت ممن يدخل العشقُ قلبه ولكنّ مَنْ يبصر جفونك يعشق

وتعين حذف الضمير فيه لمكان مَنْ الشرطية ، التي لا تدخل عليها النواسخ

وتقديم أنفسهم على الفعل للفاصلة ، لا للحصر ، وإلا لا يتطابق الكلام ؛ لأن مقتضاه وما ظلمهم الله ولكن هم يظلمون أنفسهم ، لا غيرهم ، وهو في الحصر لازم.

وقال أبو حيان معلقًا على آية سورة البقرة :-

وقُدّم معمول الخبر عليه هنا وهو قوله : أنفسهم ليحصل بذلك توافق رؤوس الآي والفواصل ، وليدل على الاعتناء بالإخبار عمن حل به الفعل ولأنه من حيث المعنى صار العامل في المفعول توكيدًا لما يدل عليه ما قبله، فليس ذكره ضروريًا ، وقد تأخر التوكيد عن المؤكد وذلك أنك تقول : ما ضربت زيدًا ولكن ضربت عمرًا فذكر ضربت الثانية أعادت التأكيد لأن موضوعها أن يكون ما بعدها منافيًا لما قبلها ، لذلك يجوز أن تقول ما ضربت زيدًا ولكن عمرًا ، فلست مضطرًا لذكر العامل فلما كان معنى قوله : "ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" في معنى ولكن ظلموا أنفسهم ... فلما اجتمعت هذه المحسنات لذكر المفعول كان تقديمه أفصح هنا " [٣] ثم تحدث أبو حيان عن أمرين آخرين :_

---

(١) السابق .

(٢) الآلوسي جـ ٤ / ٣٧

(٣)- البحر : جـ ١/ ٢١٦ .

الأول أن المضارع هنا بمعنى الماضي قال : " ويظلمون صورته صورة المضارع ، وهو ماض من حيث المعنى وهذا من المواضع التي يكون فيها المضارع بمعنى الماضي ثم قال أبو حيان : ولم يذكره ابن مالك في التسهيل وذكره غيره " وتحدث عن أهمية استخدام " لكن " في مثل هذا الأسلوب حيث قال : ولكن هنا وقعت أحسن موقع ؛ لأنه تقدم قبلها نفي وجاء بعدها إيجاب ... لأن الاستدراك الحاصل بها إنما يكون يدل عليه ما قبلها بوجه ما ، وذلك أنه لما تقرر أنه قد وقع منهم ظلم فلما نفي ذلك الظلم أن يصل إلى الله تعالى بقيت النفس متشوفة و متطلعة إلى ذكر مَنْ وقع به هذا الظلم فاستدرك بأن ذلك الظلم الحاصل منهم إنما كان واقعًا بهم " إنهم يظلمون أنفسهم ، إنهم يضرون أنفسهم " ودخلت كانوا هنا مشعرة بأن ذلك من شأنهم ومن طريقتهم ولأنها أيضًا تكون في كثير من المواضع تستعمل حيث يكون المسند لا ينقطع عن المسند إليه نحو قوله " وكان الله بكل شيء عليمًا "، فكان المعنى ولكن لم يزالوا ظالمي أنفسهم بكثرة ما يصدر من المخالفات " (١)

نعم لقد أحسن أبو حيان وأحسن الآلوسي ، وأحسن غيرهم ممن قال بقولهم في تقديم معمول هذا الفعل يظلمون " بعدما تقدم عليه مثله " ظلمو+ نا " وبعد أن تقدمه نفي وما ظلمونا ثم مجيء " لمن " بينهما وبعدها كان+واو الجماعة الضمير العائد على الضمير " في ظلمونا ، أو العائد على نفس مرجع الضمير ظلمونا " .

إننا أمام تركيب خاص جاءت عناصره منظومة نظمًا خاصًا ، خدم نظامه بهذه الكيفية جوانب كثيرة لا ينفصل بعضها عن بعض فيها :-

أولًا : خدم فواصل الآيات وبخاصة فاصلة هذه الآية " ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " وكل آية جاءت مماثلة لها .

الثاني : أن هذا النظام الذي جاءت عليه هذه الآية أو هذا الجزء من الآية قد لفت نظر أبي حيان فأعاد النظر فيه مرارًا وبين العلاقات التي قامت بين كل عنصر من عناصره وربطته بما قبله وما بعده موسيقيًا ودلاليًا ، وأصبح لكل عنصر من عناصر هذه التراكيب قيمة لا يمكن إغفالها ، فالنفي وبعده الفعل الماضي مسندًا إلى

---

(١)- البحر : جـ ١ /٢١٥ .

واو الجماعة ونا المفعولية – التي تعود على الذات العلية رب العزة سبحانه – " وما ظلمونا " ثم تجيء بعده أداة من أدوات الاستدراك " لكن " فتقع في هذا النظم أحسن موقع وأجمله وأمكنه ثم يجيء بعدها الفعل الماضي الناقص الناسخ مسندًا إلى واو الجماعة " كانوا " ثم يجيء بعد ذلك المفعول " أنفس " مضافًا إلى ضمير جمع الغائبين " هم " أنفسهم " وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم ....."

ثم يجيء العامل على خلاف المتوقع كما جاء معموله على خلاف المتوقع إننا كنا نتوقع منهم أن يحفظوا أنفسهم أو أن يكرموا أنفسهم أن يعتزوا بأنفسهم ، لا !! إن شيئًا من ذلك لم يحدث إنهم يظلمون أنفسهم " وكما كنا نتوقع منهم أن يصرفوا ظلمهم إلى الآخرين أو إلى نفوس غيرهم فجاءت الفاصلة لتفاجئنا بأنهم " أنفسهم يظلمون " إنها حقيقة غريبة سيعلمون عاقبتها في الدنيا والآخرة .

هكذا تحقق – الفاصلة بعدولها إلى تقديم المعمول " أنفسهم " على فعله يظلمون كل ما كانت تريد تحقيقه من جرس موسيقى لتتآخى الفواصل فيما بينها ومن دلالات دقيقة خفية قوية تنبه لها أسلافنا العظام .

لقد وردت مادة " ظلم – ظلمونا – ظلمناهم – يظلمون – ظلم – ظالم – ظلام – أظلم ..."

وردت هذه المادة مادة ظلم ومشتقاتها في القرآن الكريم قرابة ثلاث مائة وتسع عشرة مرة ٣١٩

وقد وردت هذه المادة مع النفس " أنفسهم " "نفسه" وصورها مرتين مع المشتق اسم الفاعل .

ظالمي أنفسهم " النساء ٩٧ " .

" **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** " النحل ٢٨ " .

وجاءت صيغة ظلام {٤} مرات ومعمولها جار ومجرور .

١- **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** " فصلت ٤٦ " .

٢- " **وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** " آل عمران ١٨٢ " .

٣- **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** " الأنفال ٥١ " .

٤- ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ " الحج ١٠ " .

وجاءت مع النفس ٤٥ مرة أي جاءت لفظة النفس معمولة لها ٤٥ مرة مذكورة معها على سبيل المفعولية .

لكنها جاءت متأخرة عليها حوالي عشر مرات : ولكن ظلموا أنفسهم (ظلم+ نفس) .

وجاءت متقدمة عليها حوالي ٣٥ مرة .

جاء الفعل ظلم متقدمّ على لفظة " النفس " ١٠ مرات .

وجاء الفعل " ظلم " بعد لفظة النفس حوالي ٣٥ مرة .

وجاءت مادة " ظلم " اسم فاعل مرات عديدة لم تذكر معها لفظة النفس مفعولة به لها إلا مرتين وقد تأخر المفعول فيها على عامله المشتق مرتين .

وفي بقية المواضع المتبقية كانت مادة " ظلم " وما يشتق منها لا يذكر معها المفعول أو يذكر ويكون ضميرًا أو اسمًا ظاهرًا ويجيء بعد الفعل .

وكل ذلك له دلالته في مواضعه في مثل ما ذكرنا نموذجًا له في " سورة البقرة " وفي غيرها من السور الكريمات .

راجع المعجم الفهرس ص ٥٥٢ مادة " ظلم " : يظلمون : فسوف تقرأ معي النصوص الآتية : -

" وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " البقرة ٥٧ " .

" وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " آل عمران ١١٧ " .

" فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ " الأعراف ٩ " .

" وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " الأعراف ١٦٠ " .

" فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ " الأعراف ١٦٢ .

" سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ "الأعراف ١٧٧".

" فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " التوبة ٧٠ " .

" إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " يونس ٤٤".

" وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " النحل ٣٠ " .

" **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** " النحل ١١٨ " .
" **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** " العنكبوت ٤٠ " .
" **فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** " الروم ٩ " .
" **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ** .... " الشورى ٤٢ " .

ومن العدول عن الحال المفردة إلى الحال الجملة الاسمية قوله سبحانه :

" **وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** " التوبة ٨٤ " (١).

ولم يقل وماتوا فاسقين .

حيث استخدمت الفاصلة الحال الجملة بدلًا من الحال المفردة .

حيث إن النَّظْم الموسيقي للآية يتطلب حالًا جملة تتناغم مع طول الآية ، وتتناغم مقاطع الفاصلة فيها مع بقية مقاطع الآية نفسها .

فسياق الآيات كلها سياق فضح للمنافقين في حياتهم وعند مماتهم وقبل دفنهم ، وهذا كله سياق ممتد يحتاج إلى الإطناب وتعديد نقم الله وتنكيله على هؤلاء المنافقين، حتى إن كانوا محسوبين على الإسلام فإن بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن يحرموها حتى توديع أجسادهم الدنيا بعد أن فارقتها أرواحهم .

إن مجـيء الحـال جملة اسمية مشتملة على رابطين هما : الواو والضمير " وهم " يـزيدنا يقينًا بأن وصمة الفسق قد لازمتهم طوال حياتهم حتى آخر نَفَسٍ من أنفاسهم وأنهم سيلقون الله عليها وسيحشرون أيضًا عليها .

العدول إلى التأخير :

ومن العدول التركيبي قوله سبحانه :- " **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** " الرعد ٣٨ " .

وقاله سبحانه :- " **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** " . ق ١٩ " . حيث إن معنى لكل أجل كتاب أي : لكل كتاب أجل " والمعنى مفهوم ولذلك جاءت الصيغة الأخرى وهي بمعنى الثانية .

---

(١) القرطبي جـ ٨ / ٢١٨ .

وكذلك قوله سبحانه : "وجاءت سكرة الموت بالحق " أي : وجاءت سكرة " الحق بالموت "؛ لأن الحق يأتي بها وتأتي به [1] .

والسبب وراء هذا العدول التركيبي هو أن المعنى واحد ؛ لذا جاز الترخص في مثل هذه التراكيب بالتقديم والتأخير .

قال الفراء : العرب تضع– الحرف– يقصد الكلمة : في غير موضعه إذا كان المعنى معروفًا[2]

وكذلك قولهم يتهاون الشاعر بوضع الكلمة على صحتها لاتضاح المعنى عند العرب [3] .

أولًا المعنى " لا يشكل على أحد " [4] .

ومن ذلك قوله سبحانه : " **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً** " البقرة ١٧١ " فقد شبههم بالراعي ، والمراد تشبيههم بالمرعي وقد فسّر أبو عبيدة ذلك قائلًا : وإنما الذي ينعق هو الراعي ، ووقع المعنى على المنعوق به وهي الغنم ، نقول : كالغنم التي لا يسمع عندما ينعق بها راعيها والعرب تريد الشيء فتحوله – فتعدل به – إلى شيء من سببه " يقولون : أعرض الحوض على الناقة أي:– أعرض الناقة على الحوض .

ويقولون : هذا القميص لا يقطعني أي : لا أقطعه ، وأدخلت القلنسوة في رأسي أي : أدخلت رأسي في القلنسوة .

ومن ذلك قوله سبحانه : ولما سكت عن موسى الغضب " فيها عدول تركيبي كان في الأصل ولما سكت موسى عن الغضب ومن ذلك قوله سبحانه : " **وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** " القصص ٧٦ " ما إنّ العصبة لتنوء بالمفاتيح ؛ أي تثقلها [5]

---

(١)– الفراء : ٢/ ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٨١٣ .
(٢)– الفراء : ٣/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
(٣)– الفراء ١/ ٩٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ .
(٤)– الفراء : ٣/ ١٨٢ .
(٥) تأويل مشكل القرآن ص ٢٠٣ .

ويجعل الفراء المعنى ما إن مفاتحه لتنيء العصبة أي : تميلهم من ثقلها

لكن الفراء لا يقول بهذا العدول التركيبي إلا بشرط ورود ذلك في النقل عن المفسرين ؛ لأن المعنى دون العدول مفهوم ولا يحتاج إلى إعادة ترتيب وقد أشار بعض النحاة وبعض المفسرين إلى أن مثل هذه الآيات فيها قلب أو تفسر على القلب ولكن القلب لا يجوز أن يفسّر به النص القرآني وكذلك التوهم.

قال ابن قتيبة: إن القلب على الغلط لا يجوز أن يحكم به على كتاب الله عز وجل لو لم يجد له مذهبًا

لكن العدول عن تركيب إلى تركيب بتقديم أو تأخير أو بحذف أو بغير ذلك أمر تقره النصوص الصحيحة الفصيحة التي ليس بها اضطراب أو ضرورة .

١- تقديم التمييز على الفاعل :-

" **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)** "الصف ٣ "

فالأصـــل : كبر أن تقولوا ما لا تفعلون مقتًا عند الله ولكن عدل عن الأصل للهدف المعنوي لبيان شدة مقت الله سبحانه وتعالى للنفاق ، وقد حقق هذا العدول بجانب ذلك هدفًا لفظيًا آخر هو رعاية موسيقى الآيات المتتابعة على الواو والنون " **لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)** " .

وقـــد ظـــن ظـــان أن فـــاعل الفعل كبُر مقدر قال الفراء أضمر في كبر اسمًا يكون مـــرفوعًا: لكن الآية لا تحتمل التقدير أو الإضمار لأن فاعل الفعل كبر هو المصدر المؤول قولكم ما لا تفعلون وهو النفاق وقد ذكر ذلك الكسائي وابن هشام [١]

٢- تقديم الجار والمجرور على التمييز :-

قوله سبحانه :- **وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** " النساء ٤١ ".

وقوله سبحانه :- **وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ** " النحل ٨٩ " .

ففي آية سورة النساء لاحظنا أن الآية ترتبت من العام إلى الخاص ، وفي آية سورة النحل ترتبت الآية من الخاص إلى العام .

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم جـ ٣/ ١٧ ، ٢٣٣ .

وقــد رأى بعــض العــلماء أن العدول في الآيتين ما تم إلا من أجل مراعاة الفاصلة فقط[1].

غيــر أنــنا نرى أن مراعاة الفاصلة هنا كانت في المقام الأول ولكنها ليست مقصــودة لذاتها فقط بل إن مقاصد أخرى كانت وراء العدول فمراعاة العام والخاص والتدرج من العام إلى الخاص ومن الخاص إلى العام لهي مقصد من مقاصد العدول في آية سورة النساء كما هو واضح .

تقديم الوصف الجملة على الوصف المفرد أمنًا للبس :-

ورد ذلــك في قوله تعالى : " **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** " المائدة (٥) ٥٤ .

فقــد تــم العدول عن الأصل في هذه الآيات أمنًا للبس ؛ لأن مجيء الآية على الأصــل يحــول المعنى في الآية إلى جعل حب الله منصرفًا إلى الكافرين بدلًا من انصــرافه إلى المؤمــنين ، وهذا خلاف الأصل ، وخلاف تفاصل الآيات في القرآن كله.

وقد أفادت الآيات أيضًا أمرا مهما هو بطلان قول من قال إن الوصف بالفعل لا يتقدم على الوصف بالاسم إلا في ضرورة الشعر ، حيث تقدم الوصف بالجملة الفعلية في غير ضرورة – يحبهم ويحبونه – ثم جاء بعدها النعت المفرد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " واكتمل ذلك كله بدلالة الجملة الفعلية على التجدد والاستمرار[2]

تأخير الصفة :

٥- **أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ** (٥) [3]

يقرأ بالرفع " أليم " صفة لعذاب ، أخر لأجل الفاصلة وقر أغير واحد من السبعة " أليم " بالجر على أنه صفة " رجز " وجعله صفة عذاب أما قولهم : والجر للمجاورة فمما لا يلتفت إليه .

---

(١) البيان في روائع القرآن جـ ٩٨

(٢)- البيان : جـ / ١٩٤ والإنصاف جـ١ / ١٦٠ ودراسات لأسلوب القرآن القسم جـ ٣ /٩٦ .

(٣) الآلوسي ٢٥ /١٤٤

قـــال د. حماســـة : إن تأخيـــر لفظة أليم من أجل الفاصلة فتح بابًا لأهل الصنعة يدخلون منه ويخرجون حيث وجدنا مَنْ يقول : أليم : قرئت من غير واحد على الجر وهي بذلك تكون صفة للفظة " رجز " .

وقـــال آخـــرون : إن الرجز لا يوصف بأنه أليم ولكن العذاب هو الذي يوصف بذلـــك، أما مجيء لفظة أليم مجرورة فإما أن يكون على المجاورة وأداء على تقدير موصوف محذوف .

وأما قراءة الرفع فلا إشكال فيها حيث تكون أليم مرفوعة لأنها صفة لعذاب وتقدم عـــليها الجـــار والمجرور وهو صفة أيضًا لأن الجار والمجرور يتوسع فيهما ما لا يتوسع في غيرهما

إذن فالآية كانت قبل العدول هكذا لهم عذاب أليم من رجز " على قراءة رفع أليم وهي صفة لعذاب " .

أمـــا قـــراءة الجر أليم " فلا يكون فيها عدول ؛ لأن لفظة " أليم " لن تكون نعتًا مؤخرًا للفظة عذاب " بل ستخضع لتأويلات كثيرة في كثير منها ضعف.

فـــإذا عدنا إلى القراءة الأولى برفع " أليم " فسنجد أنها مقبولة في سياقها ؛ لأنها وصـــفت العـــذاب بأنه سيكون على هؤلاء أليمًا وجاء الفصل بتقديم الجار والمجرور ليؤكـــد على هذا المعنى وليحقق للفاصلة القرآنية في سورة سبأ لونًا جميلًا من جمال الموسيقى المتآلفة مع جاراتها فقد جاءت الآية الرابعة – قبل هذه الآية مباشرة **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)**

ثـــم جـــاءت الفاصلة في الآية الخامسة هكذا : **وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَـــئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٥)** ثم تتوقف الآيات عن استخدام "روي الميم حتى الآيـــة ٢٧ : **قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)** وتختفي قافية الميم في كل السورة ويستبدل عنها بقافية النون في بعض المواضع من السورة .

فــلو جــاءت الآيـــة عـــلى قافية الزاي هكذا لهم عذاب أليم من رجز لحدث في موســيقى الآيـــات خـــلل كبير قد تلافته الآيات بالعدول إلى التأخير في لفظة " أليم " لتنسجم الآيات كلها في هذا اللون الموسيقي الجميل .

وقد تكررت الآية في سورة الجاثية آية ١١

بـــنفس العــدول : هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (١١) "

وقـــد تكـــرر روي الميـــم في هذه السورة لتشكل مع روي النون عددًا كبيرًا من المقاطع تدخل قانون التغيير ولنا أن ننظر في الآية قبل العدول ثم نضعها مع جاراتها لـــنعرف كيـــف نجح العدول في الابتعاد عن الخلل الموسيقي الذي كان سيحدث في الآيات إن لم يحدث فيها عدول .

تقديم الحال

٦- " **فكـــلوا منها حيث شئتم رغدًا** " أي واسعًا هنيئًا ونصبه على المصدرية أو الحالية من ضمير المخاطبين وأخر هذا المنصوب – رغدًا – هنا مع تقديمه في آية آدم عليه السلام ، قيل لمناسبة الفاصلة في قوله تعالى : وادخلوا الباب ســـجدًا والخلاف في نصب الباب كالخلاف في نصب القرية معنى ودلالة لا إعرابًا .

ومن تقديم الحال أيضا

" **وَقَـــالَ الْمَـــلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** "

بـــتقديم الحال أعني من قومه على الوصف – أعني الذين كفروا ولو تأخر لتوهم أنـــه من صفة الدنيا لأنها هاهنا اسم تفضيل من الدنو وليست اسمًا والدنو يتعدى بـــ من وحينئذ يشتبه الأمر في القائلين أهم من قومه أم لا ؟

فقدم لاشتمال التأخير على الإخلال بيان المعنى المقصود ، وهو كون القائلين من قومه . وحين أمن هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة : **فَقَـــالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** بتأخير المجرور عن صفة

المـــرفوع الثالث أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصـــلة ، كقوـــله سبحانه : **وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)** ولمشاكلة رءوس الآي وكقوله سبحانه : **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧)** " فلو قدّم موسى لفات التناسب في الفواصل ؛ لأن قبله يخيل إليهم أنه تسعى ، وبعده: **إِنَّـــكَ أَنْـــتَ الْأَعْلَى** وكقوله **وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ** " فإن تأخير الفاعل عن المفعول لمناسبته لمـــا بعده ، وكقوله سبحانه : **إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**، وهو أشكل بما قبله لأن قبله " **مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ** " .

تقديم الحال – الظرف

٧– **بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)**

قال الآلوسي[١]: والمضارع للاستمرار التجددي وهو مع فاعله خبر ولديهم حال قُــدّم للفاصـــلة أو خبر ولديهم قُدّم للفاصلة أو خبر أيضًا وجملة المبتدأ أو الخبر إما عطف على ما يترجم عنه بلى أو حال أي : نسمع ذلك والحال أن رسلنا يكتبونه .

تقديم الجار والمجرور فاصلة

٨– " **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦)** طه ٦٦ .

فأصل الآية قبل العدول : يُخَيّل أنها تسعى من سحرهم إليه " لكن النص عدل عن هذا الأصل لأمن اللبس لأن مجيء الأصل يجعل " من " بمعنى الابتداء وليست بمعنى السببية وأظن أن السبب هو المقصود وقد ترتب الآية من العام إلى الخاص عدولًا من أجل أمن اللبس وقد أسهم هذا في رعاية الفاصلة القرآنية ومن هنا نقرر أن العدول قد تـــم لا مـــراعاة للفاصلة فحسب بل تم مراعاة للفاصلة وللمعنى الذي تحمله الآية مع العـــدول إذ هو مع العدول على النحو الآتي : " يخيل إلى موسى بسبب سحر هؤلاء السحرة أنها تسعى "

ولكـــن المعـــنى قبل العدول : يخيل – سعيها – من سحرهم إلى موسى " فالجار والمجرور متعلق بـــ يخيل وليس بـــ تسعى وترتيب الآية كالتالي :–

١– يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى

---

(١) الآلوسي جـــ ٢٥ /١٠٤

٢- يخيل أنها تسعى من سحرهم إلى موسى [١] .

تقديم الجار والمجرور :-

٩- ولَـئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) آل عمران " .

قال الآلوسي[٢] وادعّى بعضهم أن تقديم هذا المعمول لمجرد الاهتمام ، ويزيده حسنًا وقوع ما بعده فاصلة .

وقال آخرون : ولولا هذا التقديم لوجب توكيد الفعل بالنون لأن المضارع المثبت إذا كـان مستقبلًا وجب توكيده مع اللام خلافًا للكوفيين حيث يجوزون التعاقب بينهما وظاهـر صـنيع بعض المحققين يشعر بأن في هذه الجملة مقدرًا بقرينة ما قبله أي : **وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ** .....

١٠- تقديم الجار والمجرور الخبر على المبتدأ

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) القمر

وقـدم الجار والمجرور رعاية للفاصلة وتشويقًا إليه ومن للتبعيض أو للتبيين بـناء على المختار من جواز تقديمه على المبين ، وقال الرضي ، وإنما جاز التقديم في من التبعيضية لأنها أصلًا صفة لمقدار قبلها ؛ ليحصل البيان بعد الإبهام[٣] .

ومن تقديم الجار والمجرور - تقديم الخبر :

وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ

قدّم الجار والمجرور رعاية للفاصلة ، وفيه الفصل بين المعطوف والمعطوف عـليه بالجـار والمجرور والنحويون في جوازه مختلفون وقد يجعل هاد خبرًا لمبتدأ مقدر ، أي وهو هاد أو أنت هاد ، وفيه التفات [٤].

---

(١) - خصائص التعبير القرآني : جـ ٢ /١٧٣ .

(٢) الآلوسي جـ ٤ /١٠٥

(٣) الآلوسي جـ ٢٧ / ٧٩

(٤) جـ ١٣ / ١٠٨

ومن تقديم الجار والمجرور

- وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٣٤)

أي وليس لهم واقٍ من الله تعالى يقيهم ويمنع عنهم عذابه تعالى أبدًا فكان للاستمرار والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار ، وفي الثانية زائدة ومن الأولى متعلقة بـ واق وقدم الجار والمجرور للاهتمام والفاصلة لأن اسم الله تعالى قيل لم يقع مقطعًا لفواصل [1].

وقيل إن من الأولى بمعنى بدل أي ما كان لهم بدلًا من المتصف بصفات الكمال واقٍ .

العدول إلى إعادة الذكر بتكرار الضمير :-

١٢- **وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)** طه ٣٦

قال الآلوسي: الضمير الأول مبتدأ خبره كافرون ، وبه يتعلق بذكر وقُدِّم رعاية للفاصلة ، وإضافته لامية – أي: على معنى اللام والضمير الثاني توكيد لفظي للأول والفصل بين العامل والمعمول بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول جائز ويجوز أن يقصد بذكر الرحمن توحيده على أن ذكر مصدر مضاف إلى المفعول أي : وهم كافرون بتوحيد الرحمن المنعم عليهم .

ومن تقديم الجار والمجرور

١٣- **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢).**

– وفي العنكبوت **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧)**

على قراءة الياء – الغيبة – فيها صرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجبًا منهم ولهم مما فعلوه ووقع الضمير في الآية الأولى دون الثانية ، على ما بيّن الخفاجي بأن سر ذلك بأنه لما سبق في هذه السورة قوله تعالى : **أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)** أي : " يكفرون بدون ضمير وهنا بدون ضمير لأدى ذلك إلى اعتقاد أن الآية تكرار لسابقتها فجاء بالضمير لنفي ذلك الاعتقاد ، قيل إن الضمير جيء به ليكون في الكلام الثاني تأكيد على الكلام الأول .

---

(١) الآلوسي ٢٤ /٢١

وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفاصلة ، ولتحقيق ما سبق ذكره .

١٤- ومن تقديم الجار والمجرور

ثـــم إليه ترجعون ": وتقديم إليه للفاصلة وللدلالة على الحصر إذ المعنى إليه تعالى لا إلى أحد غيره [١].

ومن تقديم الجار والمجرور على الفعل

١٦- أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) يس ٢٣ / ٥

اخـــتار لا يـــرجعون على لم يرجعوا للدلالة على استمرار النفي مع مراعاة الفاصلة قال الآلوسي : وهذا ركيك وأرك منه جعل الضميرين يرجع أولهما لمعنى كم ، والـــثاني عـــلى ما يتبادر فيهما من رجوع الأول لمعنى كم والثاني لمن نسبت إليه الرؤية وأنّ وصلتها علة لأهلكناهم والمعنى أنهم لا يرجعون إليهم فيخبرونهم بما حلّ بهم ونُقل عن الفراء أنه يعمل يروا في كم أهلكنا وفي أنهم إليهم من غير إبدال ولا نعرف كيف يكون ذلك .

وزعم ابن عطية أنّ أنَّ وصلتها بدل من كم ولا يخفى أنه جعلها معمول أهلكنا كمـــا هو المعروف ولا يسوغ ذلك لأن البدل على نية تكرار العامل ، ولعله أراد بدل مـــن كم وقال أبو حيان : الذي تقتضيه صناعة العربية أن أنهم ... معمول لمحذوف دل عـــليه المعـــنى وتقديره قضينا أو حكمنا أنهم إليهم لا يرجعون والجملة حال من فـــاعل أهلكنا على ما قال الخفاجي قال الآلوسي وأرى ذلك أبعد عن القيل والقال بيد أن فـــي الدلالة على المحذوف خفاء فإن لم يلصق بقبلك لذلك فالأقوال بين يديك ولا حجر عليك وكأني بك تختار – ما نقل عن السيرافي ولا بأس به .

وقـــرأ ابن عباس والحسن إنه بكسر الهمزة على الاستئناف وقطع الجملة عما قبـــلها من جملة الإعراب وقرأ عبد الله " ألم يروا من أهلكنا " فإنهم على قراءة الفتح بدل اشتمال ورد بالآية على القائلين بالرجعة من الشيعة وغيرهم .

---

(١) الآلوسي جـ ٢٤ / ١٠

ومن تقديم الجار والمجرور

١٧- إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) الأعراف ٢٠٦

قال الآلوسي [1]: وتقدم الجار والمجرور رعاية للفاصلة .

لكنّ ذلك ليس على إطلاقه إذ إن تقديم الجار والمجرور ليس فيه رعاية الفاصلة فقط ، بل جعل السجود مقصورًا على الله سبحانه دون غيره من مخلوقاته .

تقديم الظرف

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) المرسلات ٥٠

وأيا ما كان الأمر فالفاء في جواب شرط مقدر والظرف صفة حديث وجوز أن يكون متعلقًا بـ يؤمنون قدم للفاصلة وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي تؤمنون بالتاء الفوقانية وهو موافق لقوله سبحانه : **وفي خلقكم** وقرأ طلحة : توقنون من الإيقان .

ومن العدول إلى التقديم

١٩ – تقديم الجار والمجرور في الغاشية

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩)

قال الآلوسي : قدم لسعيها اعتناء به ، ورعاية للفاصلة ، واللام هنا ليست للتعليل ، بل هي مثل الباء في المعنى في مثل : رضيت بكذا أي : راضية بسعيها وذكر بعض المحققين أنها مقوية لتعدي الوصف بنفسه وقيل في الكلام حذف مضاف مقدر أي لثواب سعيها راضية وقيل : اللام للتعليل أي : لأجل سعيها في طاعة الله راضية[2]

٢٠ – تقديم الجار والمجرور على المشتق أو على الفعل :

لقد وردت مشتقات كثيرة في القرآن الكريم وورد منها عدد لا بأس به في فواصل الآيات القرآنية بيد أن لدينا عددًا من هذه المشتقات كنت أريد درسها في

---

(١) الآلوسي جـ ٩ / ١٥٥

(٢) الآلوسي جـ ٣٠ / ٧٥ .

مبحث العدول الصرفي ، لكنني آثرت درسها في العدول الأسلوبي لأن العدول لم يتم فـــي الصـــيغة وإنما تم في متعلق هذه الصيغة ، بالتقديم أو التأخير فنجد الصيغة قد تقدمت على الجار و المجرور مرة ، ومرة أخرى يتقدم عليها الجار والمجرور فمثلا نجد ما يلي :

وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ونجد أيضًا : **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "

وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩)

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

وجاء في مواضع أخرى : **خَالِدًا فِيهَا – خَالِدٌ فِي النَّارِ** .

تقديم الجار و المجرور

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) **فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)** "

قال الآلوسي[١]: إن يوم عند جميع الحذاق ظرف لمحذوف يدل عليه أي يرجعه يوم وقال الزمخشري وجماعة ظرف لرجعه واعترض بأن فيه فصلًا بين العامل ومعموله بأجنبي وأجيب تارة بأنه جائز لتوسعهم في الظرف و تارة يقال : إن الفاصل هنا غير أجنبي لأنه إما تفسير أو عامل على المذهبين .

وقـــال عصام الدين : إن الفصل بهذا الأجنبي كاللافصل لأن المعمول في نية التقديم عليه وإنما أخر لرعاية الفاصلة لكن أبا حيان يرى أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها، وكذلك ما النافية على المشهور المتصور .

لقـــد وردت مادة بصر في القرآن ١٤٨ مرة وقد جاءت صيغة بصير متقدمة عـــلى الجـــار والمجرور في ستة مواضع فقط في القرآن الكريم في الفاصلة أما بقية مواضـــع ورودهـــا فـــي الفاصـــلة وفي غير الفاصلة فقد وردت متأخرة على الجار والمجرور **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** [٢]

---

(١) الآلوسي جـ ٣٠ / ٩٩

(٢) – المواضع التي تأخر الجار والمجرور علي المشتق بصير هي :– البقرة ٩٦ – آل عمران ١٥ – آل عمران ٢٠ – آل عمران ١٦٣ – والمائدة ٧١ – وغافر ٤٤ .

وقـد جـاءت صـيغة اسـم الفاعل " خال " خبرًا مرفوعًا فتقدم عليها الجار والمجرور : هم فيها خالدون " في الفواصل لمناسبة جاراتها في السياق الذي وردت فيه " هم فيها خالدون ".

ولكنها جاءت منصوبة " خالدين " خالدًا " فتقدمت على متعلقها الجار والمجرور " خالدًا فيها "

وذلك على النحو الآتي :

هـود ٣٣ مكية : **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٢٣)

وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) يونس ٢٦ مكية .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) الأعراف ٤٢

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) [١]" الأعراف ٣٦

النساء ١٤ ، ٩٣ التوبة ٦٣

" **خَالِدًا فِيهَا** " – " **خَالِدٌ فِي النَّارِ** " – محمد ١٥

" **خَالِدِينَ فِيهَا** " الحشر ١٧

قـال الآلوسي تعليقًا على تقديم الجار والمجرور على لفظة بصير قال : وتقدم الجار والمجرور " **إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** البقرة ١١٠ للفاصلة أو للحصر ؛ ردًا على مَنْ يزعم عدم شمول علمه سبحانه وتعالى كل مخلوقاته [٢]

---

(١)– هم فيها خالدون ٢٧ البقرة ، ٣٩ ، ٨١ ، ٨٢ ٢١٧ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، آل عمران ١٠٧ آل عمران ١١٦ ، المائدة ٨٠ ، الأعراف ٣١ ، ٤٢ ، التوبة ١٧ ، يونس ٢٦ ، ٢٧ يونس ، هود ٣٣ ، الـرعد ٥ ، الأنبياء ٣٤ ، ٩٩ ، ١٠٢ المؤمنون ١١ ، المؤمنون ١٠٣ ، الزخرف ٧١ ، ٧٤ ، المجادلة ١٧ .

(٢) – وورد قبله " **ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير** " " البقرة " .

وإذا كان الآلوسي قد وضع يده على سر من أسرار التقديم في موضع واحد – بالإضـــافة إلى السر الموسيقي فقد اهتم معظم المفسرين وأصحاب كتب المعاني بأن تقديم الجار و المجرور على المشتق كان من أجل الفاصلة وهم يقصدون من أجل أن تنـــتظم الفاصلة مع جاراتها في نغم واحد بديع جميل حتى يتأكد لجميع المسلمين أن القـــرآن معجز بمعانيه معجز بموسيقاه التي ما تكررت في أي نص آخر ولن تتكرر إلى قيام الساعة .

أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ التوبة ١٧

وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ٧١

قـــال الآلوسي[١] تعليقًا أي لعظم ما ارتكبوا وإيراد الجملة الاسمية للمبالغة في الخلود والظرف تعلق بالخبر مقدَّم عليه للاهتمام به ، ومراعاة للفاصلة .

ومن التقديم – تقديم الجار والمجرور على المشتق

وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)

قال الآلوسي : وتقديم الجار والمجرور في عليهم رعاية للفاصلة.: .

ومن تقديم الجار والمجرور على المشتق قوله تعالى :

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ

قال الآلوسي : وفيها متعلق بـــ خالدون قُدِّم عليه رعاية للفاصلة .

تقديم الجار والمجرور

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِـــمْ فَـــلَمَّا تَوَفَّيْتَـــنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) المائدة .

قال الآلوسي[٢]: والتقديم في (على كل شيء شهيد) لمراعاة الفاصلة .

ومن تقديم الجار والمجرور

فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) " الأعراف ٩ "

---

(١) الآلوسي جـــ ٧ /٧٠

(٢) جـــ ٨ /٨٥

قال الآلوسي[1] : وقدم الجار والمجرور رعاية للفاصلة .

تقديم الجار و المجرور

وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) النحل ١٦ [2]

قرئ النُّجُم – النُّجْم مثل سُقُف – رُهُن – والقول بأن ذلك جمع على فعل أولى مما قيل إن أصل النجوم فحذفت الواو وزعم ابن عصفور أن قولهم النجم من ضرورة الشعر .

وتقديم الجار والمجرور للفاصلة والضمير المنفصل كناية عن قريش أو عن غيرهم .

قال قتادة والنخعي : وقيل : تم الكلام عن قوله : **وَعَلَامَاتٍ** ثم ابتدأ وقال : **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)** " وعلى الأول : أي وجعل لكم علامات " ثم ابتدأ وقال : **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)** [3]

تقديم الجار والمجرور

فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) [4]

وأيا ما كان فلها متعلق بـ مالكون ، واللام مقويه للعمل وقُدّم لرعاية الفواصل مع الاهتمام أما إيثار الجملة الاسمية فللدلالة على الاستمرار وذللناها لهم ، أي صيرناها سهلة غير مستعصية عليهم في شيء مما يريدون حتى الذبح .

تقديم الظرف على الفعل

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) [5] وهذه الجملة يجوز أن تكون خبرًا بعد خبر لهم وجوز أن تكون هي الخبر والظرف متعلق بالفعل قُدّم للفاصلة ، والالتفات عن خطابهم بسبب عنادهم .

---

(١) الآلوسي جـ ٨ /٨٥

(٢) – الآلوسي : جـ ١٤ / ١١٧ .

(٣)– القرطبي : جـ ١٠ /٩٠ .

(٤) الآلوسي ٢٣ / ٥١

(٥) الآلوسي ٢٥ / ١١٧

ومن تقديم الضمير على ما يفسره في قوله سبحانه : " **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى** (٦٧) ". والأصل فأوجس موسى في نفسه خيفة .

ثانيا وأخيرا : التقديم والتأخير في فواصل آيات سورة الكهف دراسة أسلوبية:

اســـم الســـورة : الكهف ٦٣ – ٦٥ موضع عدولي في سورة الكهف من ١١٠ مائة آية وعشرة

رقم الآية	النص المصحفي مع العدول	النص المصحفي قبل حدوث العدول	نوع العدول	ملاحظات
١	وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا	ولم يجعل عوجًا له	تقديم الجار والمجرور على الفعل	
٢	أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا	أن أجرًا حسنًا لهم	تقديم الجار والمجرور الخبر على اسم الناسخ	
٣	مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا	ماكثين أبدًا فيه	تقديم الجار والمجرور على ظرف الزمان	
٦	فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا	فلعلك باخع نفسك أسفًا على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث	تقديم الجار والمجرور على المفعول له	
٩	كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا	كانوا عجبًا من آياتنا	تقديم الجار والمجرور على المصدر المؤول بمشتق	
١٢	لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا	لنعلم أي الحزبين أحصى أمدًا لما لبثوا	تقديم الجار والمجرور على تمييز أفعل التفضيل	
١٥	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا	افترى كذبًا على الله	تقديم الجار والمجرور على معمول الفعل	

رقم الآية	النص المصحفي مع العدول	النص المصحفي قبل حدوث العدول	نوع العدول	ملاحظات
١٦	وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا	ويهيئ لكم مرفقًا من أمركم	تقديم الجار والمجرور على المفعول	
١٧	فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا	فلن تجد وليًا مرشدًا له	تقديم الجار والمجرور	
١٨	وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا	ولملئت رعبًا منهم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به – أو التمييز	
١٩	وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا	ولا يشعرن أحدًا بكم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٢١	لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا	لنتخذن مسجدًا بكم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٢٢	وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا	ولا تستفت أحدًا فيهم منهم أو منهم فيهم	تقديم الجار والمجرور على المفعول	
٢٤	وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا	لأقرب رشدًا من هذا	تقديم الجار والمجرور على تمييز أفعل التفضيل	وفيه قراءة شاذة رشدًا
٢٧	وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا	ولن تجد ملتحدًا من دونه	تقديم الجار والمجرور على المفعول	
٣٢	وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا	وجعلنا زرعًا بينهما	تقديم الجار والمجرور على المفعول	
٣٣	وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا	وفجرنا نهرًا خلالهما	تقديم الجار و المجرور على التمييز	

رقم الآية	النص المصحفي مع العدول	النص المصحفي قبل حدوث العدول	نوع العدول	ملاحظات
٣٤	أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا	أنا أكثر مالًا منك	تقديم الجار والمجرور على التمييز	
٣٦	لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا	خيرًا منقلبًا منها أو منقلبًا خيرًا منها	تقديم الجار والمجرور على التمييز	
٣٨	وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا	ولا أشرك أحدًا بربي	تقديم الجار والمجرور على المفعول	
٣٩	إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا	أقل مالًا وولدًا منك	تقديم الجار والمجرور على تمييز أفعل التفضيل	
٤١	فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا	فلن تستطيع طلبًا له	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٤٢	يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا	لم أشرك أحدًا بربي	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٤٥	وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا	وكان الله مقتدرًا على كل شيء	تقديم الجار والمجرور على المشتق	
٤٦	خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا	خير ثوابًا عند ربك	تقديم الظرف على معمول أفعل التفضيل	
٤٧	فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا	فلم نغادر أحدًا منهم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٤٨	أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا	أن لن يجعل موعدًا لكم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٥٠	بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا	بئس بدلًا للظالمين	تقديم الجار والمجرور على تمييز بئس	

رقم الآية	النص المصحفي مع العدول	النص المصحفي قبل حدوث العدول	نوع العدول	ملاحظات
٥٢	وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا	وجعلنا موبقًا بينهم	تقديم الجار والمجرور على المفعول	
٥٥	أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا	أو يأتي العذاب الناس قبلًا	تقديم المفعول الضمير على الفعل حيث استخدم الضمير بدلًا من التصريح بالاسم	
٥٨	لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا	لن يجدوا موئلًا من دونه	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٥٩	وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا	وجعلنا موعدًا لمهلكهم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٦١	فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا	فاتخذ سبيله سربًا في البحر	تقديم الجار والمجرور على الحال	
٦٢	لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا	لقد لقينا نصبًا من سفرنا هذا	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٦٣	وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا	واتخذ سبيله عجبًا في البحر	تقديم الجار والمجرور على الحال	
٦٤	فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا	فارتدا قصصًا على آثارهما	تقديم الجار والمجرور على الحال	
٦٥	وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا	وعملناه علمًا من لدنا	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٦٧	قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا	قال إنك لن تستطيع صبرًا معي	تقديم الظرف على المفعول به	
٦٨	وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا	وكيف تصبر على ما لم تحط خبرًا به	تقديم الجار والمجرور على المفعول أو التمييز	

رقم الآية	النص المصحفي مع العدول	النص المصحفي قبل حدوث العدول	نوع العدول	ملاحظات
٦٩	وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا	ولا أعصي أمرا لك	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٧٠	حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا	حتى أحدث ذكرًا لك منه	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٢	لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا	لن تستطيع صبرًا معي	تقديم الظرف على المفعول به	
٧٣	وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا	ولا ترهقني عسرًا من أمري	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٧٦	قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا	قد بلغت عذرًا من لدنيّ	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٧٧	لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)	لاتخذت أجرًا عليه	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٨٣	سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا	سأتلو عليكم ذكرًا منه	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٨٤	وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا	وآتيناه سببًا من كل شيء	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٨٦	وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا	وإما أن تتخذ حسنًا فيهم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٨٨	وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا	وسنقول يسرًا له من أمرنا	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٩٠	لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا	لم نجعل سترًا لهم من دونها	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	

٩١	وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا	وقد أحطنا خبرًا بما لديه	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٩٤	عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا	على أن تجعل سدًا بيننا وبينهم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٩٥	أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا	أجعل ردمًا بينكم وبينهم	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٩٦	قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا	آتوني أفرغ قطرًا عليه	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
٩٧	وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا	وما استطاعوا نقبًا له	تقديم الجار والمجرور على المفعول به	
١٠٠	وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا	وعرضنا جهنم عرضًا يومئذ للكافرين	تقديم الجار والمجرور والظرف على المفعول المطلق	
١٠٢	إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا	اعتدنا جهنم نزلًا للكافرين	تقديم الجار و المجرور على المفعول الثاني أو الحال	
١٠٥	فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا	فلا يقوم لهم وزن ، فلا يقوم وزن لهم	عدول في صيغة الفعل فيتحول المفعول إلى فاعل ويتقدم على الجار والمجرور	
١٠٨	لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا	لا يبغون حولًا عنها	تقديم الجار والمجرور على المفعول	
١٠٩	وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا	ولو جئنا مددًا بمثله	تقديم الجار والمجرور على المفعول	
١١٠	وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا	ولا يشرك أحدًا بعبادة ربه	تقديم الجار والمجرور على المفعول	

فإذا ألقينا نظرة على الجدول الخاص بسورة الكهف سوف نجد أن العدول قد حدث في فواصل هذه السورة أكثر من ٧٥ مرة من مجموع آيات هذه السورة التي عددها ١١٠ مائة آية وعشرة.

كان العدول إلى تقديم الجار والمجرور أكثرها ورودًا حيث بلغ عدد المرات التي تقدم فيها الجار والمجرور حوالي ٥٥ خمس وخمسين مرة تقدم فيها الجار والمجرور على المفعول به ، أو على الحال أو على تمييز أفعل التفضيل أو على الفعل أو على المصدر أو المشتق أو على المفعول المطلق أو على المفعول لأجله أو على اسم الناسخ .

هذا إلى جانب أنواع أخرى من العدول مثل العدول إلى تقديم الظرف على المفعول أو عدول عن تغيير في صيغة الفعل – على قراءة شاذة – إلى قراءة الجمهور فينتصب الاسم على المفعولية بدلًا من رفعه على الفاعلية وهذا يعني أنه كان للقراءات في هذه السورة مما لم يذكره الجدول نصيب واضح فقد عدل في فواصل هذه السورة عن أكثر من قراءة شاذة خدمة لموسيقى هذه الفواصل، المتناغمة في نظام واحد بديع جميل ولأجل ذلك أيضًا ثمة أنواع أخرى من العدول لم ينص عليها الجدول مثل العدول إلى إطالة الجملة – التركيب – بذكر صفة أو مفعول مطلق أو حال أو غير ذلك مما دلت عليه ألفاظ الآية وكأن وجوده جاء فضلة والحقيقة أن وجوده لم يكن فضلة ، بل كان عنصرًا أساسيًا له أهميته في موسيقى الفواصل وله أهميته في دلالة الآية كما أن هذه السورة قد احتوت على أنواع مركبة من العدول فقد يتم في فاصلتها عدولان تكون الفاصلة صاحبة لهذين العدولين فمثلًا قوله سبحانه : **وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا** " أو " **كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** " فلفظة عجبًا الثانية قد حدث فيها عدولان عدول بتقديم الجار عليها وعدول بمجيئها حالًا جامدة مؤولة بمشتق أي عاجبين وهكذا في مواضع متفرقة .

لقد حدث في هذه السورة كما هو واضح من الجدول أنواع عديدة من العدول كان أكثرها العدول إلى تقديم الجار والمجرور – والجار والمجرور كما يقول النحاة – رحمهم الله – يتوسع فيه ما لا يتوسع في غيره وبحدوث هذه الأنواع العديدة من

أنـــواع العدول انتظمت الآيات في مؤسيقى بديعة جميلة ، سيطرت حركة الفتح على جميـــع فواصــــلها ، وبهذا العدول المتعدد المتنوع تمكنت فواصل هذه السورة من أن تجيء على وزن عروضي واحد بكل ما يحدث فيه من جواز في تغيير حركاته حيث جـــاءت فواصــــل هـــذه السورة على وزن فاعلن وقد تشكل هذا الوزن على الصور الآتية:

جاء – على فَعَلن– ٥٠ خمسين مرة

وجاء على فعِلن ٣٤ أربعًا وثلاثين مرة

وجاء على فُعْلن ٩ تسع مرات

وجاء على فاعلن ٩ تسع مرات

وجاء على فعِلن مرة واحدة

وجاء على فَعَلن مرة واحدة (١)

لقــد انـــتظمت هذه السورة الكريمة في هذا النص المعجز في موسيقاه وفي تركيـــبه وفـــي اختيار ألفاظه وفي نظمها وفي دلالة هذا النظم دلالة فيها مثالية وفيها إبـــداع فتم لها ما أرادت من إيصاله من معان عالية وتم لها تأثيرها الذي ظهر جماله فـــي فواصلها ولقد صدق الشيخ سيد قطب حينما تحدث عن بدايات هذه السورة فقال :– وتشترك الألفاظ بنظمها في العبرة وجرسها في النطق في تفظيع هذه الكلمة التي يقولونها فهو يبدأ بكلمة : كبرت لتشعر السامع بالفخامة و الفظاعة وتملأ الجو بها ثم يجعـــل الكـــلمة الكـــبيرة تمييزًا لضميرها في الجملة – كبرت كلمة زيادة في توجيه الانتباه إليها ... وتشارك لفظة أفواهم في تضخيم هذه الكلمة ، وتفظيعها فالناطق بها يفتح فاه في البدء بنطقها في مقطعها الأول ثم تتوالى الهاءان من أفواههم فيمتلئ الفم بهما قبل أن يطبق على الميم في نهاية لفظة " أفواههم " ، وبذلك يشترك نظم الجملة وجـــرس اللفظة في تصوير المعنى ورسم الظل ويعقب على ذلك بالتوكيد عن طريق الـــنفي والاســـتثناء " **إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** " ويختار للنفي كلمة إن النافية فيتم العدول

---

(١) – صـــاحب هذا الاكتشاف هو د . الحسناوي الذي قال : إن الوزن العروضي لفواصل سورة الكهف هو فاعلن لكل جوازاته " ولم يزد على ذلك ، انظر الفاصلة في القرآن ص ٢٧٢ .

إليهـــا بدلًا من "ما " النافية – لأن في الأولى صرامة بالسكون الواضح أما في الثانية فمـــد فيـــه شــــيء من الليونة والمطلوب اختيار اللفظ الذي فيه شيء من القوة لزيادة التشديد في الاستنكار ولزيادة التوكيد على كذب هذه الكلمة التي قالوا (١)

وتصديقًا لما سبق أن قررناه حول هذه السورة وحول أثر العدول في فواصلها يجمل بنا أن نمر على بعض مواضع العدول في هذه الفواصل لنتدبر الآثار الموسيقية الجميـــلة التي أحدثتها ونستمتع به ، و نتملى الآثار الدلالية العميقة التي أحدثها ذلكم العـــدول فـــي فواصل هذه السورة وبخاصة فيما يتعلق بالتقديم والتأخير فيكون ذلك نموذجًا لجميع سور القرآن التي توحدت فواصلها إما في حركة رويها وإما في حرف الـــروي وإما فيهما معًا ويكون ذلك أيضًا نموذجًا لجميع السور ذات الروي المتقارب فـــي نوع الحرف أو يكون نموذجًا للسور ذات المقاطع المتساوية أو التي دخلها أحد قوانيـــن الإيقاع السبعة كل ذلك يمكن الانتفاع به عندما نستعرض مجموعة من أنواع العدول في هذه السورة على النحو الآتي :-

تقديم الجار والمجرور على الحال – أو المفعول :-

وتقدم الحال الجملة على الحال المفردة

" " **الْحَمْــدُ لِــلَّه الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِه الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُــنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِــلْمٍ ...** " " ١-٤ فالأصـــل أن يتقدم الحال المفرد قيمًا بالرتبة أو المنزلة – ؛ لأن الحـــال المفرد أول على صاحبه من الحال الجملة ولكن تقدم الحال الجملة بالرتبة هو من قبيل تقدم العام على الخاص ؛ ليتصل الخاص بما يفسِّر معنى لفظة " قيمًا " وهو إنذار البأس وتبشر المؤمنين بأجر الحسن ثم إنذار الذين ادَّعوا لله تعالى ولدًا .

ولو تقدمت – قبل العدول – لبدا كأن الكتاب قد أنيطت به هذه المهام لأنه لا عوج فيه عندئذ .

---

(١) – ظلال القرآن مجلد ٤ / ٢٢٦٠ .

ولا يبدو هناك علاقة بين السبب والمسبب لأن مجرد كونه غير ذي عوج لا يؤهــل لهــذا الوظائف فلا بد أن تكون له القوامة ليقوم بها أو تقوم به فالسبب سبب للقوامة لا للاستقامة " لذلك تمت إعادة توزيع الرتبة وتقدم العام على الخاص من أجل أمن اللبس ، فتناسبت المباني بعضها مع بعض ؛ لأن الغرض ليس توالي الكلم بعضه وراء بعــض فـــي النطق بل الغرض هو تناسق دلالاتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل كما يقول عبد القاهر الجرجاني[1]

ويقــول العســكري : في الآية تقديم وتأخير كأنه قال احمدوا الله على إنزال القرآن قيمًا لا عوج فيه ، ومن عادة البلغاء أن يقدموا الأهم

لكن الرازي أنكر أن يكون في الآية تقديم وتأخير ، قال الرازي : ولم يجعل لـــه عوجًـــا " يدل على أن الكتاب مكمل في ذاته وقوله " قيمًا " يدل على أنه مكمل بغيـــره فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى، وأن ما ذكروه من تقديم وتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه ووافق الكرماني على ذلك.

لكن أبا حيان يرى أن جملة لم يجعل له عوجًا جملة حالية ، وصاحبها الكتاب ولفظة قيمًا حال ثانية لكنها حال مفردة.

ثـــم ناقش أبو حيان وقوع حالين لذي حال واحد بدون عطف ورأى أن كثيرًا من النحاة منعه [2]

ثـــم قـــال أبـــو حيان : والظاهر أن الضمير في له عائد على الكتاب وعليه الـــتخاريج الإعرابية السابقة وزعم قوم أن الضمير في "له " عائد على عبده والتقدير عـــلى عـــبده وجعله قيما ، وكلام أبى حيان في الضمير المتصل بلام الجار هو بيت القصيد حول العدول في هذه الآية .

فالآيـــة حدث فيه أكثر من عدول منه ما يخص الفاصلة القرآنية ، ومنه ما لا يخصها بشكل مباشر .

---

(١)- دلائل الأعجاز : ص ٤٩ – ٥٠ بتصرف ، والبيان جـــ ١ /١٠٤ .

(٢)- الـــبحر المحيـــط ٦ /٦٩ " وقـــال القرطبي : وزعم الأخفش والكسائي والفراء وأبو عبيدة وجمهور المتأولين أن في هذه الآية تقديمًا وتأخيرًا القرطبي جـــ ١٠/ ٣٥٢ والفراء جـــ ٢ /٦٣ .

فــتقديم الحال الجملة " وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا " على الحال المفردة – قيمًا " فيه عدول إلى تقديم الحال الجملة على الحال المفردة ، لكن هذا العدول قد لا يكون له أثر واضـــح عـــلى فاصلة هذه الآية فإن قدمنا الحال المفردة " قيما " وذكرناها قبل الحال الجمـــلة فالفاصلة هي هي" ولم يجعل له عوجًا " لكن المعنى المقصود لن يتحقق بهذا التقديم إذن فالعدول لم يتم من أجل الفاصلة ؛ لأن الفاصلة لم تستفد منه شيئًا .

أمـــا العدول في تقديم الجار والمجرور "له." على المفعول الثاني أو الحال " عوجـــا" فهـــو عدول متعلق بالفاصلة وخاص بها إذ إن هذا العدول قد خدم موسيقى الآيـــات وجعل موسيقى هذه الفاصلة متآخية مع الفواصل المجاورة لها هذا أمر وأمر آخر قد سبق أن أشرت إليه ألا وهو أن الجار والمجرور له لو تأخر فجاءت الفاصلة كـــالآتي : ولـــم يجعل عوجًا له ؟!! لأدّى هذا إلى خلل في موسيقى الآية مع الآيات المجاورة لها ولأدى هذا أيضًا إلى خلل آخر يتعلق بمرجع الضمير فقد يظن ظان أن الضـــمير فـــي له يعـــود على عبده لا إلى الكتاب " وسياق الآي مع جارتها وأكثر المفسرين على أن مرجع الضمير في له هو الكتاب

وبناء على هذا فإن العدول في هذه الآية قد حقق غرضين مهمين هما إزالة اللبس وتأصيل المعنى المقصود من الآية والثاني : تفادي حدوث خلل في نغم الآيات لم تتهيأ الأذن لقبوله هنا في هذا الموضع .

عدول بتقديم الجار والمجرور الخبر على الاسم :-

وَيُبَشِّـــرَ الْمُؤْمِـــنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)

فقـــد جـــاء اســـم أن مؤخرًا (أجرًا " مع أنه موصوف بـــ " حسنًا " وكونه موصوفًا يبيح مجيئه على الأصل متقدمًا لا متأخرًا لكن النص القرآني عدل عن هذا الأصل وجاء باسم أن أجرًا مؤخرًا لخدمة الفاصلة أولا ثم لخدمة سياق الآية ثانيًا قال أبـــو حيان : وحذف المفعول الثاني من " ينذر " وصرح بالمنذر به لأنه هو الغرض المسوق إليه فاقتصر عليه ثم صرح بالمنذر في قوله حين كرر الإنذار فقال : وينذر الذيـــن قالوا اتخذ الله ولدًا " فحذف المنذر أولًا لدلالة الثاني عليه ، وحذف المنذر به

لدلالة الأول عليه وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة " ثم قال أبو حيان : ولما لم يكرر البشارة أتى بالمبشر والمبشر به والظاهر أن لينذر متعلقة بـــ أنزل ثم قال أبو حيان : " والأجر الحسن هو الجنة قد كنى عنها ولما كنى عنها بالأجر الحسن قال : **مَاكِــثِينَ فِيهِ أَبَدًا** جعله ظرفًا لإقامتهم ولما كان المكث لا يقتضي التأبيد قال أبدًا وهو ظرف دال على زمن غير متناه [1] .

وبمثل ذلك قال الزمخشري [2]

وتبقى قضية العدول إلى تقديم الخبر الجار والمجرور على اسم " أن " في أن لهم أجرًا حسنًا هي المحور الرئيس في هذه الفاصلة ، فلولا هذا العدول لجاءت الآية غيـــر متــناغمة مع جاراتها بل إن توجه الاهتمام إلى هؤلاء المؤمنين الذين يعلمون الصــــالحات ما كان سيحصل لو جاء التركيب على الأصل ولساد إحساس بعدم تميز الذين يعلمون الصالحات من المؤمنين على غيرهم .

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)

والآيـــة قـــبل العـــدول – على الأصل – كانت هكذا فلعلك باخع نفسك على آثـــارهم أسفًا إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ولنا أن نلاحظ كيف سيصاب النغم الموسيقي للآية عندما لا تختم بالفاصلة " أسفًا " وتختم بـــ " بهذا الحديث " إن ذلك كان سيصيب الآية بخلل واضح يؤدي إلى نفور السمع منها .

هذا أمر وأمر آخر لا يقل أهمية عن سابقه ذلك لأن تأخر المفعول لأجله كان ذا مغزى مهم فرضه سياق الآية فقد عرضت على التركيب عوارض عديدة أدت إلى طوـــله وبعـــد الفاصـــلة عن بدايتها نقطة الارتكاز والانطلاق فبخع النفس بعد موت هؤلاء كفارًا غير مؤمنين بهذا الحديث غير واضحة أسبابه فجاءت هذه اللفظة لتصنع هذا الاحتراز إنه أسف على موت هؤلاء كفارًا .

---

(١)- البحر المحيط جـــ ٦ /

(٢)- الكشاف : ٢ /٤٧٢ .

العدول إلى إطالة التركيب من أجل الفاصلة :-

ورد ذلك في قوله سبحانه : " أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا "

وفـــي : فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّـــا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِـــتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) .

فـــالملاحظ أن الآيـــات .. رعاية للفاصلة – قد استخدمت وسائل فصيحة في الكـــلام العربي لكي تجيء فواصلها متناغمة متآخية ، فجاءت بهذه الألفاظ " حسنا " بعـــد أجرًا " وأسفًا " بعد باخع نفسك ولفظة عددًا " بعد سنين " ومثل هذه التصرفات في الأسلوب العربي تصرفات مقبولة مباحة قد نحتاج إلى استخدامها لأغراض كثيرة مـــنها أغـــراض لفظيـــة ، ومنها أغراض معنوية وقد خدمت هذه الإطالة في الجمل والـــتراكيب التي وردتْ فيها الجانب الدلالي والجانب اللفظي للآية فبرغم أن لفظة أجرًا جاءت منصوبة في سياقها لكن جمال الآية ما كان سيكتمل بها بمفردها لا على المستوى الموسيقي ، لا على المستوى الدلالي .

فأما الجَانب الدلالي " فلفظة " الأجر برغم أنها توحي بإيجابية الجزاء إلا أن هذه الإيجابية ما كانت ستكتمل لو لم تذكر بعدها الصفة " حسنًا "

وبذكر الصفة " حسنًا " اكتمل الجمال الموسيقي أيضًا لقرب الجرس الموسيقي للفظة " حسنًا " . من فواصل أخواتها في الآيات السابقة واللاحقة لها .

وهكذا يمكن قول ذلك مع لفظة " سنين " ولفظة " عددًا " ولفظة " باخع ..... أسفًا "، وصعيدًا جرزًا " فبرغم أن كلمة الفاصلة قد سبق في الآية ما يشير إليها وهو ما يسمونه بالتوشيح والتصوير لكن ذكرها لا غناء عنه لفظًا ومعنًى

إطالة الجملة بذكر الحال :-

ومن ذلك قوله سبحانه : ... **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ــ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)**

فقــد جاءت الفاصلة بذكر لفظة " عجبًا " إطالة للتركيب إطالة تكميلية أساسية لا إطالة ثانوية على سبيل الفضلة.

فقد وجد النحويون والمفسرون في ذكر لفظة " عجبًا "دلالات كثيرة تنضم إلى وجودهــا مــن أجل الفاصلة فقد بدأ الحديث عندهم حول مرجع الضمير في : فاتخذ ســبيله في البحر " أيعود على موسى أم يعود على الحوت كما عاد في قوله : **فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا**

وإذا عاد على موسى كانت عجبًا من كلام موسى أي : أنه يتعجب من عودة الحيــاة إلى هــذا الحوت الذي لم يبق فيه إلا جزء منه ثم تعود الحياة إليه ويسير في الــبحر وهنا يندهش موسى ويقول : " عجبًا " أي : عجبًا لهذا الحوت الذي دبت فيه الحياة مرة أخرى بعد أن أكل نصفه !!

العدول إلى قراءة قرآنية متواترة :

لقد كان للقراءات القرآنية نصيب لا يستهان به في هذه السورة ، فقد لاحظنا أن الــنص القــرآني قــد عدل إلى اختيار القراءة التي تخدم موسيقاه وتخدم مقاصده ومعناه ، لذلك وجدنا أن القراءة المتواترة – قراءة جمهور القراء عشرة أو سبعة هي القــراءة المعــدول إليهــا في الفاصلة بدلًا من قراءة أخرى شاذة – لا تخدم موسيقى الفواصل في هذه السورة ، وربما لا يكون لها نفس العمق الدلالي الذي نتج عن قراءة الجمهور .

ومن ذلك مثلًا قراءة ضم الراء وسكون الشين في لفظة رُشْدًا " فقد عدل عن هــذه القراءة خدمة لموسيقى فواصل هذه السورة ، قال ابن عطية : وقراءة الجمهور أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد .[1]

---

(١)- الــبحر المحيط : جـ ٦/ ١٠٨ من الآية ٢٤ وقد وردت في السورة آية ٦٦ **عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّــا عُلِّمْتَ رُشْدًا** فشاكلت ما بعدها الآية ٢٤ قرأها الجمهور بفتح الراء والشين لمشاكلة الفواصل السابقة عليها .

وكذلك تم العدول إلى قراءة الجمهور في قوله سبحانه : ولا يشعرن بكم أحدًا (١٩) وهــذه قراءة جمهور القراء ، ولو قرئ النص بالقراءة الشاذة التي رويت عن أبي صالح وقتيبة ويزيد بن القعقاع لأصبحت هكذا : ولا يشعرن بكم أحدٌ[١]

وهــذه القــراءة كانت ستؤدي إلى خروج على النظام الموسيقي المبني على حــركة الفــتح لجميع فواصل السورة ولتحول النهي إلى نفي – إخبار – وفرق بين دلالـــة النهي ودلالة الإخبار ، أو قد يكون ولا يَشْعُرَنَّ بكم أحدُ " هي الأخرى نهي ، لكــن الأســلوب حــدث فيــه التفات بارع نقل المعنى من سياق النهي المباشر إلى المخاطبين إلى سياق النهي غير المباشر الذي يشبه الخبر .

ومــن العــدول في القراء ة من أجل الفاصلة ما ورد في قوله سبحانه : أو يصبح ماؤها غورًا فلن تستطيع له طلبًا " حيث قرأها الجمهور " غورًا " ففتح الغين ، وقرأ البرجمي غؤرًا " بهمز الواو من غارت عينه غؤورًا .

أمـــا تقديـــم الجار والمجرور " له " في فلن تستطيع له طلبًا " فجعل الضمير عــائدًا عــلى الماء أي لن يقدر على طلبه لكونه ليس مقدورًا على رَدّ ما غوّره الله تعالى [٢]

إذن فتقديم الجار ومعه الضمير جعل نفي الاستطاعة مسلطًا على الماء الغائر لا على طلب هذا الماء .

ومــن العدول في القراءة لأجل الفاصلة ما ورد في قوله سبحانه : فلم نغادر منهم أحدًا " فقد روي أن الجمهور قرأ: نغادر بنون وكسر الدال مبنيًا للفاعل الذي هو صـــاحب العظمة في نون نغادر ، وقرئ بالتاء في تغادر إسنادًا إلى الأرض أو إلى القدرة وقرئ يُغادَر بضم الياء وفتح الدال ورفع أحد على البناء للمفعول وجعل " أحد " نـــائب فاعل، وقد عُدِل عن هذه القراءات كلها إلى قراءة الجمهور التي تجعل أحد " منصوبة " أحدًا " على المفعولية مع نون العظمة التي تشير إلى الله سبحانه :–

---

(١) – البحر المحيط : جـــ ٦ /١١١ .

(٢)– البحر : جـــ ٦ /١٢٩ .

وبنصـــب " أحدًا " تتناغم الفواصل وتتآخى في عقدها الموسيقي المتتابع في توحد وجمال .

وبذلك العدول تحقق للآيات ما تقصده من توكيد الإخبار بعظمة المنتقم الجبار العظيـــم المتعال ، عندما يخبر بنفسه وبعظمته عن نفسه ، وعن عظمته ، إنه إخبار المتحدي لكل مخلوقاته القادر على كل شيء .

مـــن القراءات المختارة المعدول إليها لأجل الفاصلة قراءة بناء الفعل يشرك لـــلفاعل عـــلى الخـــبر أو بالتاء على جعل " لا " ناهيه : لا تشرك ، ونصب أحدًا "والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم[١]

وقد عدل عن قراءة أخرى تبني الفعل للجمهور وترفع " أحد " ولا يشرك في حكمه أحد .

وهـــي قراءة تؤدي إلى انفراط العقد الموسيقي للحركة التي بنيت عليها جميع فواصل هذه السورة وهي الفتح .

ومـــن القراءات المعدول عنها في هذه السورة ما ورد في قوله سبحانه : **فَلَا نُقِيـــمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** فقراءة الجمهور المعدول إليها : فلا نُقيم لهم ... وزنًا " بنون العظمة .

وقد روُيت في ذلك قراءة معدول عنها وهي قراءة عبيد بن عمير حيث روي أنه قرأ : " فلا يقوم لهم يوم القيامة " وزن " وكذلك قرأ مجاهد[٢]

قال عبيد بن عمير : يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة " ؛ لأن أمثال هؤلاء لا حسنات لهم ، ومن لا حسنة له فهو في جهنم [٣]

---

(١)- الكشاف : جـ ٢ /٤٨١ .

(٢) - القرطبي : جـ ١١ /٦٦ .

(٣)- السابق : ٧٧ .

إن الآيـــة قد حدث فيها عدولان : عدول بتقديم الجار والمجرور والظرف : لهـــم يـــوم القيامة وهما أمران مهمان يجب الانتباه إليهما لأن هؤلاء الناس كانوا في الدنيا أشداء أقوياء

فظنوا أنهم كذلك في الآخرة فإذا الأمور غير ما ظنوا ثم جاءت الفاصلة على وزنًــا " بــدلا وزن " بالسكون أو الرفع ؛ لأن حركة الفتح هي الحركة الأثيرة في جميع فواصل هذه السورة فكان إيثارها لتناغم موسيقاها مع موسيقى جاراتها في نظام بديع جميل آسر .

الاستغناء بالمفرد عن الجمع [1]:

" وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا "

وقـــد عدلـــت الآيـــة عن لفظة أعضادًا قيل تحقيرًا لهم ، وزاد في تحقيرهم تصـــريحه بذكرهم بدلًا من الكفاية عنهم في قوله وما كنت متخذ المضلين " بدلًا من متخذهم

قـــال الزمخشري : ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذا المضلين عضدًا

صرح بذكرهم بعد أن كان قد كنى عنهم تحقيرًا لهم ؛ لأنهم لا بد مفضوحون مخذولون " وعضدًا " أي : أعوانًا ، ووضع الاسم موضع الضمير ذما لهم وتحقيرا ، فإذا لم يكونوا عضدًا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم أعوانًا "

ثـــم أورد الزمخشري قراءات كثيرة في عضدًا " والذي يهمنا هنا أن الفاصلة قـــد اســـتغنت عن ذكر " الجمع " لا من أجل موسيقاها ، بل من أجل المعاني المهمة التي يدل عليها المفرد فاستغنت بالمفرد عن التعبير بالجمع لما ذكرنا فكان ذلك عدولًا واستغناءً مقبولًا .

وعند إلقاء نظرة عجلى على فواصل هذه السورة نلحظ ما يلي :

---

(١) سوف أقوم بدراسة وافية عن الاستغناء في فواصل القرآن الكريم في بحث مستقل بإن الله .

في الآية رقم (٩) نلحظ عدولًا مركبًا في لفظة عجبًا بين كونها مصدرًا مؤولًا بمشتق عاجبًا أو عاجبين ، وبين كونها جاءت متأخرة على الجار والمجرور وقد خدم ذلك الفاصلة

وفي رقم ١٢ نجد العدول إلى تأخير " أمدًا " قد أفسح المجال أمام آراء كثيرة منها ما يرى أن أمدًا متعلقة بـــ لبثوا = لبثوا أمدًا ومنها رأي يرى أن هذا الظرف هو تمييز لأفعل التفضيل أحصى ، وتعدد دلالات كل منهما تمنح النص ثراء وتأثيرًا .

وفـــي (١٥) نجـــد تقديـــم الجار والمجرور على الله يشير إلى هول وفظاعة هـــؤلاء المفترين الكذب ، إنهم يفترونه على الله " فهو تقديم يفيد التهويل و الاندهاش مـــن فعـــلهم وبهذا التقديم يتم للفواصل انتظامها في حركة الفتح والوزن العروضي المساعد على إيقاعها الجميل.

فـــإذا وصـــلنا إلى آية رقم (٢٢) **وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا** وجدنا عناصر التركيب مكونة مما يلي :

-لا الناهية + تستفت + فيهم + منهم + أحدًا المفعول فقد استتر الفاعل وجوبًا في المضارع تستفت ثم جاء تركيبان كلاهما شبه جملة فيهم – منهم فإذا قدمنا لفظة " أحدًا " المفعول لجاءت الآية هكذا و لا تستفت أحدًا فيهم منهم أو منهم فيهم ".

ولا يخفى ما في التركيبين المعدول عنهما من لبس واضح وركاكة بينة .

وفـــي الآية(٢٤) يتأخر التمييز رشدًا فَعَلن ، وبتأخيره تأكدت قاعدة الفصل بيـــن الـــتمييز و أفعل التفضيل ويستمر العدول في الآيات ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، خدمة للفواصل مع بقية الآيات المجاورة لها وفي الآية ٣٦ نجد تأخير " منقلبًا " أتاح فرصة لمن أراد أن يجعل " منقلبًا " معمولًا للفعل " أجد " وفرصة لجعله تمييزًا لأفعل التفضيل " خير " هذا بالإضافة إلى مراعاة موسيقى الآيات ، ولو تقدمت لفظة منقلبًا لفسد كل ذلك حيث ما كنا سنجد إلا تأويلًا واحدًا وسنعقد الجمال الموسيقي للآيات مع هذه الفاصلة .

وفـــي الآيـــة رقم ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٣ ، نجد إطالة التركيب بما هو مفيد للموسيقى وللدلالات التي تحملها الآيات كما سيأتي وفي الآية ٦٢ تخصيص لأسباب

النصب إنها من السفر لا من شيء آخر ولا يضاف إليها شيء آخر فلو تقدم المفعول، لقـد لقينا نصبًا من سفرنا " لاحتمل الكلام أن يكون هناك أسباب أخرى لهذا النصب منها السفر ومنها غيره .

وفي الآية ٦٥ تظهر قيمة تقديم الجار والمجرور حيث يتم به تخصيص آخر لمصدر هذا العلم إنه من عند الله لا من أي جهة أخرى .

وفي ٦٧ يجيء الظرف معي متقدمًا على المفعول خبرًا ليتحدد به نوع الصبر والشخص الذي سيتم معه لا عليه هذا الصبر ، ويتكرر هذا التركيب لتأخذ منه درسًا عظيمًا في طلب العلم بين المعلم والمتعلم ، حيث ينبغي أن يتصف المتعلم بالصبر مع المعلم على طلب العلم وإلا فاتهما خير كثير وبخاصة هذا المحتاج إلى العلم .

وينجح تقديم الجار والمجرور على المفعول به في الآيات من ٧٦ – ٩٧ في المحافظة على النغم الموسيقي المنبعث من تتابع حركة الفتح في فواصل هذه الآيات مع جارتها .

حـتى تمر على ٩٦ **قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)** " فيتأخر المفعول " قطـرًا " فينفسـح أمامنا النظر وتتسع أمامنا الدلالات فننظر هل القطر معمول للفعل آتوني : آتوني قطرًا أفرغ عليه ؟ !! [١] .

أم أنه مفعول للفعل أفرغ وكلا المعنيين له ما يؤيده ، لكن هذا التأخير كان لا بد منه لأجل القافية – أو الفاصلة كما يسميها المرحوم سيد قطب فإذا وصلنا إلى آخر مفعول في السورة " أحدًا " وجدناه متأخرًا على الجار والمجرور بعبادة ربه ليتأكد لنا سر هذا التقديم والتأخير وأهميته في بادئ السورة وفي خاتمتها ولقد صدق الشيخ سيد قطـب عـندما تحدث إجمالًا عن هذه السورة فقال : القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة ، ففي أولها قصة أصحاب الكهف ، وبعدها قصة الجنتين ، ثم إشارة إلى قصـة أدم وإبليس وفي وسطها قصة موسى مع العبد الصالح وفي نهايتها قصة ذي القـرنين ، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة ، فقد استغرق إحدى وسبعين آية من مائة وعشرة ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على هذه

---

(١)– معاني القرآن للفراء : جـ ٢ / ٢٠٥ .

القصـــص ثم يتخلل ذلك ذكر لمشاهد القيامة وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة مهمة أو معنى قويًا [1]

والمحور الأساسي للسورة كلها هو تصحيح العقيدة الذي يقرره بدؤها بالحمد لله، وختامها بالأمر بعبادة الله وحده وعدم الشرك به.

وبعد

فقد ظهر لنا من خلال متابعة ظاهرة العدول في فواصل القران الكريم ، أنها ظاهرة أسلوبية أصيلة في كلام العرب درج عليها اللسان العربي وجاء القرآن الكريم بهـــا فـــي فواصله ليحقق من خلالها أهدافا دلالية ، وأهدافا إيقاعيا لا تنفك عن هذه الأهداف الدلالية .

ومـــا كـــان القـــرآن ليصل إلى قلوب وعقول العرب – بعد توفيق الله – إلا باستخدام هذا الإيقاع المؤثر الآخذ بنياط قلوبهم من خلال فاصلة متجاورة مع فاصلة أخرى ومتناغمة معها ، سالكة في تحقيق هذا التناغم المؤثر عددا كبيرا من الأساليب العدولية .

ولقد ظهر أيضا من خلال هذا البحث أن كثيرا من علمائنا القدامى قد اكتشفوا ظاهـــرة الأســـلوب العدولي في القرآن الكريم ، وفي فواصله بصفة خاصة وأن هذه الظاهـــرة قـــد تعـــاونت مع فواصل القرآن الكريم في إحداث هذه الإيقاعات الكثيرة الجميلة في كثير من سور القرآن الكريم وكثير من آياته .

وبـــناء عـــلى هذا فلا يمكن لمن يقولون برفض ظاهرة الأسلوب العدولي في فواصل القرآن الكريم أن يقولا ذلك؛ لأنهم بذلك لا يريدون أن يجعلوا القرآن الكريم من جنس كلام العرب .

وقـــد ثـــبت بالدليل القاطع شيوع ظاهرة الأسلوب العدولي في كلام العرب شـــعرا ونثرا ، فقد استطاعت الصفحات السابقة – على إيجازها – أن تضع القارئ على كثير من مواضع العدول في آيات القرآن وسوره ، وقد استطاعت الفواصل ذات الأسلوب العدولي أن تتناغم مع جاراتها لإحداث الإيقاعات المؤثرة على أذن وعقول

---

(١)- ظلال القرآن مجلد : ٤ / ٢٢٥٦ .

وقـــلوب العرب ، وعلى أذن وعقول وقلوب كل من يسمعون القرآن إلى يوم الدين ، فقــد جـــزم جل المتخصصين في تلاوة القرآن الكريم وقراءته أن تأثير إيقاع القرآن وتأثير نغماته من خلال نسيج آياته ونظم تراكيبه وإيقاع فواصله هو الذي يمكن أن يعول عليه في التأثير على سامعي القرآن الكريم لأول مرة ، ثم تتعاون هذه العناصر مـــع دلالة الآيات ومعانيها لإحداث ما يهدف إليه القرآن وهذه مرحلة لاحقة للمرحلة الأولى لا تنفصل عنها ولا تكتمل إلا بها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المراجع والمصادر

- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
- إعجـاز القـرآن – عـبد الكريم الخطيب – دار الفكر العربي ١٣٨٣ هـ، ١٩٦٤ م .
- الإعجاز في دراسات السابقين – عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي .
- إعـراب القـرآن ، لأبـي جعفر النحاس ، تحقيق د. زهير غازي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٧ م .
- الاقتراح في علم أصول النحو ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق وتعليق د. أحمد محمد صقر .
- الإنصاف في مسائل الخلاف ، لابن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة .
- أوضـح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة ، ط. ٢ ، ١٣٦٣ هـ ، ١٩٤٤م.
- الـبحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر ، ط . ٣ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .
- بدائع الفوائد ، لابن القيم الجوزية ، المكتبة الأزهرية
- الـبرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر، ١٩٥٧ م .
- البلاغة الأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٨٤.
- بـناء الجمـلة العـربية ، لأستاذي الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق ، ط.١ ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦م.
- الـبيان القـرآني ، د. محمد رجب البيومي، نشر مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م .
- البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان ، ط. عالم الكتب .
- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، المكتبة التجارية بالقاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٣ م ، ط.٣ .
- تـأويل مشـكل القرآن ، لابن قتيبة بتحقيق السيد أحمد صقر – دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٣ ه ، ١٩٥٤ م .
- التبيان في إعراب القرآن ، للعكبري ، المكتبة التوفيقية ، ط. ١، ١٩٧٩ م .
- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار المعارف ، ط ١٠ .
- التغـني بالقـرآن د. لـبيب السعيد – إصدار الهيئة العامة للتأليف والنشر – المكتبة الثقافية ، ع ٢٥١ ، ١٩٧٠ م .
- التفسـير البياني للقرآن الكريم – بنت الشاطئ د. عائشة عبد الرحمن – دار المعارف بمصر ١٣٩١ هـ.
- تفسير القرطبي ، دار الكتاب العربي .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر .
- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، ط. ٣ ، ١٩٧٩ م ، دار الشروق بيروت .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، مطبعة السعادة بمصر ، ط. ١ ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .
- دراسـات لغويـة تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، سعيد بحيري ، مكتبة الزهراء ١٩٩٧
- دلائـل الإعجـاز ، عـبد القاهر الجرجاني ، بتصحيح محمد عبده ومحمد الشنقيطي ، مطبعة المنار بالقاهرة ، ١٣٣٠ هـ .
- دور الرتبة والمنزلة والموقع في الظاهرة النحوية ، عزام محمد ذيب أشريدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م ، دار الفرقان ، عمان .

- رســالة دكــتوراه بــدار العلوم القاهرة، للباحثة عائشة الأنصاري بعنوان " الظواهــر الــنحوية في فواصل القرآن الكريم ، تحت رقم ١٨١ / ١٠٨٨، ١٩٩٧ م .
- روح المعــاني للآلوســي ، مطبعة الحلبي بمصر ١٣٠١ هــ ، ودار الفكر بيروت ، لبنان .
- شــرح التســهيل ، لابن مالك، تحقيق د.عبد الرحمن السيد ، ود.محمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط.١، ١٩٩٠م.
- شــرح الكافيــة للرضي الاستراباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هــ ، ١٩٨٥ م .

صــور الــبديع – فــن الأسجاع " د. علي الجندي – دار الفكر العربي بالقاهرة ١٣٧٠ هــ =١٩٥١م،

- العلم والشعر لريتشاردز ترجمة د. مصطفي بدوي
- الفاصلة القرآنية د. عبد الفتاح لاشين، طبعة دار المريخ، الرياض .
- الفاصــلة فــي القرآن ، لمحمد لحسناوي ، طبعة المكتب الإسلامي ، ودار عمار، عمان، الأردن ، ١٤٠٦هــ = ١٩٨٦ م .
- في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار العربية، بيروت ١٣٨٧هــ = ١٩٦٨م، ط٤
- القاعدة النحوية دراسة نقدية د . أحمد عبد العظيم ، دار الثقافة للنشر ، مصر ١٩٩٠م ص ١٠٨ .
- الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق ودراسة : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، ط ٤ ، ١٤٢٥هــ ، ٢٠٠٤ م .
- الكشــاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٥٣ م .
- الكشــف عــن وجوه القراءات السبع وعللها ، لمكي بن أبي طالب ، تحقيق محيي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٤ م .

- لسان العرب ، دار المعارف ، مصر .
- اللغة والإبداع ، شكري عياد ، عالم المعرفة .
- مجــاز القرآن لأبي عبيدة ، عارضه بأصوله وعلق عليه ، د . محمد فؤاد سيزكين ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- مجــلة الوعـــي الإسلامي، عدد ٢١، ص ١٦ – ٢٣، مقال بعنوان "فواصل القرآن" كامل السيد شاهين .
- مجــلة لـــواء الإسلام – عدد ١٠ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـــ، مقال بعنوان : موسيقى القرآن .
- المخصص لابن سيده تحقيق الشنقيطي ، وبمعاونة عبد الغني محمود ، بولاق ، ١٣١٨ هـــ .
- المذكـــر والمؤنث لابن الأنباري ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، رمضان عبد التواب ، ط. ١٩٩٩ .
- مشـــكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط.٢ ، ١٤٠٥هـــ .
- معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة ، تحقيق فائز فارس ، ط.١، ١٩٧٩م.
- معـــاني القرآن للفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، مطبعة عالم الكتب ، لبنان .
- معـــاني القـــرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي ط. دار الحديث، القاهرة.
- معجم المصطلحات النحوية ، د. سمير نجيب اللبدي ، دار الفرقان ، ١٤٠٦ هـــ ، ١٩٨٦ م ، عمان ، الأردن .
- المقتضب للمبرد ، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، ١٣٨٦ هـــ .
- الممـــنوع من الصرف بين التقعيد والاستعمال مجلة كلية دار العلوم بالفيوم ٢٠٠١ م .

- من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ، مطبعة الأنجلو المصرية ، ط. ٢ .
- من بلاغة القرآن د. أحمد أحمد بدوي – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٥م
- من منهل الأدب الخالد – محمد المبارك – طبعة أولى عام ١٩٦٠ م.
- موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥ م ، ط٣
- النحو الوافي للشيخ عباس حسن – رحمه الله – الدار العالمية .

الفهرس
المقدمة
بين يدي هذا البحث
العدل والعدول لغة واصطلاحًا
العدل في كتب اللغة
الفصل الأول العدول الصرفي
العدول في الصيغ في بعض فواصل القرآن
١- العدول إلى المصدر بدلًا من اسم الفاعل
٢ -العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فعيل
٣- العدول إلى صيغة فُعَل بدلا من صيغة فاعل ورد ذلك
٤- العدول من صيغة فاعل إلى فُعَلَة : في سورة الهُمَزة
٥- العدول إلى وزن فاعل بدلًا من مفعول
٦-العدول في الصيغة من صيغة مفعول إلى صيغة فعيل
ثانيًا : وهكذا في كل آيات الكتاب العزيز
وأما العدول من صيغة مفعول إلى صيغة فعيل
ومن العدول عن صيغة مفعول إلى صيغة فعيل
٣- العدول في صيغة " عقيم "
العدول في الصيغة في سورة الشمس
١- العدول من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع في
٢- العدول في صيغة الماضي من دسس إلى دسّى في قوله سبحانه
٣- العدول في صيغة المصدر من طغيانها إلى طغواها
العدول في الصيغة من فعيل إلى فاعل
من "وليّ" إلى "وال "

١- تقديم التمييز على الفاعل
٢- تقديم الجار والمجرور على التمييز
تقديم الوصف الجملة على الوصف المفرد أمنًا للبس
تأخير الصفة
تقديم الجار والمجرور فاصلة
العدول إلى إعادة الذكر بتكرار الضمير
تقديم الجار والمجرور على الفعل
تقديم الظرف
تقديم الجار والمجرور في الغاشية
تقديم الجار والمجرور على المشتق أو على الفعل
ومن التقديم – تقديم الجار والمجرور على المشتق
تقديم الظرف على الفعل
ثانيا وأخيرا : التقديم والتأخير في فواصل آيات سورة الكهف دراسة أسلوبية
العدول إلى إطالة التركيب من أجل الفاصلة
إطالة الجملة بذكر الحال
العدول إلى قراءة قرآنية متواترة
ومن العدول في القراء ة من أجل الفاصلة
الاستغناء بالمفرد عن الجمع